نزيه أبو نضال

مواجهات سياسيّة

مع

نايف حواتمة كريم مروّة منير شفيق

ناجي علوش د. صادق العظم

ومناظرتان حول:

- مقولة الأمم والقوميّات العربيّة
- نظريّة العوالم الثلاثة الصينيّة

نزيه أبو نضال

مواجهات سياسية

دار ابن رشد للطباعة والنشر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى

حزيران (يونيو) ١٩٧٨

تقديم

مقدمة اولى لا بد منها :

هذا التقديم يتجاوز ضرورات التقيد بما هو شائع ومعتاد في كتابة مقدمة لكتاب سياسي ، وهدفنا هو ازالة بعض المسائل الاشكالية المرتبطة بالقضايا المثارة على هامش المواجهات ، والتي تناولت العديد من القوى والاتجاهات السياسية والفكرية .

احد هذه الاشكالات وربما اكثرها بروزا وحساسية تتصل بظاهرة **تعميم** القضية المحددة (موضوع الخلاف والرد) والدافع المحدد (اللحظة السياسية) ليصبحا **موقفا** من الطرف الاخر بكل جوانبه الفكرية والسياسية وبصورة دائمة ايضا . ومن اجل توضيح ذلك سنعطي مثلا من ردنا على الرفيق « كريم مروة » . فالقضية المثارة هنا تناولت على وجه التحديد مناقشة « امكانية وجود حل مرحلي للقضية الفلسطينية » . . وقد جاء هذا الرد في ذروة المعركة السياسية التي شهدتها الساحة الفلسطينية عندما طرح شعار « السلطة الوطنية » .

ظاهرة **التعميم** الاشكالية تتم بسحب موقف فكري وسياسي من الحزب الشيوعي اللبناني يتناول مختلف مواقفه وطروحاته ، ليس فقط في اللحظة السياسية المحددة ، وانما بصورة دائمة ايضا . ان من طبيعة موضوعات الرد عموما اقتصارها على جانب محدد او قضية من موقف ما ، تجري عملية الحوار من حولها او

نقتصر عليها ، وليس مطلوبا في مثل هذا المجال تحديد اوجه الاختلاف او الالتقاء حول عشرات المسائل الاخرى .

ان وجود مثل هذه الاشكالية ، وما تثيره من حساسيات ونزاعات تكشف عن غياب **شرطية** اساسية في عمل القوى السياسية التقدمية وهو قدرتها على التعايش على ارضية **(الوحدة والصراع)** . ما الذي يحدث في مقابل ذلك ؟ عند التقاء القوى السياسية حول موقف او برنامج موحد ، فهذا يعني اعلان (هدنة يتجنب اي طرف خلالها المساس بمواقف او بمشاعر الطرف الاخر (حرصا) على اللقاء وعلى الوحدة . وحين تنتهي (الهدنة) وهي تنتهي لانها هدنة فان الصراع سرعان ما يحتدم الى الحد الذي يستحيل معه الحديث عن اية وحدة .

ان غياب التقاليد الديمقراطية في نضال القوى السياسية والتي تقوم على مبدأ « الصراع والوحدة » سيظل من العوامل الاساسية المعوقة لقيام جبهة وطنية متحدة حقيقية على الصعيدين المحلي والعربي ، وهذه المسألة لن يحلها سوى المزيد من المواجهات الشجاعة والديمقراطية بين القوى ، ورغم اية اشكالات مفترضة .

اشكالية اخرى تطرحها هذه المواجهات تتصل بالاسلوب واللغة المستخدمة والتي تصل احيانا الى درجة عالية من النقد الساخر والحاد . هذه الاشكالية تتصل بجانبين ، الاول هو اعتقاد البعض ان النقد الساخر والهجوم الشديد على فكرة معينة او موقف معين يعني السخرية من الطرف الاخر **كشخص او كقوة سياسية** ، وليس من الموقف او وجهة النظر التي يمكن ان تصيب او تخطىء . ونموذج ذلك الرد على الصديق المناضل ناجي علوش او على الرفيق نايف حواتمه . هذا الخلط بين التعرض لموقف سياسي وبين صاحب هذا الموقف **شخصيا** يطرح مسألة على جانب من الاهمية ، ان الموقف السياسي حين يطرح علنا بين اوساط الجماهير يصبح ملكا للنقاش العام ، ويحق لاي طرف ان يؤيده او يرفضه .. يدعمه او يسعى لتحطيمه بكل الاساليب الممكنة وبغض النظر عن مصدره ،

صحيح ان النقاش هنا سيمس صاحب الموقف ، ولكنه سيمسه فقط من خلال الرد على الموقف اساسا والذي بات بمجرد طرحه ملكية عامة . وانطلاقا من ذلك فان الاشكالية المتصلة بالاسلوب او بحدة النقد والتي ستتناول بالضرورة منهجية صاحب الموقف ، وكشف تناقضاته وخطأ تحليلاته .. الخ .. ستبدو شخصية بالنتيجة ، ومهما بلغت درجة الحرص في هذا المجال . اما الجانب الاخر المتصل بالالتباس أو الخلط السابق وبعلاقته بهذه المواجهات فيعود الى ارتباطها بمعارك سياسية حادة وعنيفة شهدتها الساحة الفلسطينية خصوصا ، خلال السنوات الماضية ، مما يعني انعكاس هذه الحدة على عدد من المواجهات ، والتي قد لا تبدو ضرورية الان ، والاجواء اكثر هدوءا ، الا ان القضايا موضوع الخلاف لا زالت مطروحة ، مما يعني ضرورة نشر المواجهات كاملة وبتواريخها المحددة .

ان مجرد وجود **ضرورة** لهذا التقديم .. لهذه البديهيات السابقة يكشف عن وجود مأساة فعلية تتمثل بغياب الحس الديمقراطي والممارسات الديمقراطية ، وفي اوساط القوى الاكثر الحاحا على الديمقراطية ، مما يعني اهمية **وضرورة** تعميق الحس الديمقراطي وممارسته بدون مقدمات من هذا النوع .

مقدمة ثانية

على مدار السنوات الخمس الماضية شهدت الساحة الفلسطينية اساسا ، والعربية عموما حركة جدل واسعة تناولت مختلف القضايا السياسية والنظرية . هذه الظاهرة رغم ما رافقها من سلبيات كشفت عن علامات صحة في العقل العربي ارتقى به من دائرة الصراعات السياسية ذات الافق الضيق والمسدود ، الى آفاق الصراعات الفكرية والنظرية ، لقد جاءت هذه النقلة النوعية كنتاج موضوعي للتطورات والانعطافات النوعية التي شهدها الواقع :

كما يحدث عادة نقد انفجر الوعي بفعل الصدمة . .

الصدمة الاولى جاءت مع ضربة حزيران ١٩٦٧ فأطاحت بالعديد من المسلمات والبديهيات والمقدسات ، وفي لحظة البحث عن البدائل والمخارج وشروط التجاوز ظهر الفدائي الفلسطيني « مموها » . . وبندقية . . وكوفية . . وشعار : حرب الشعب طويلة الامد .

كان احساس العزاء بعد الهزيمة اقوى من الاحساس بضرورة البحث عن شروط التجاوز وشروط الانتصار ، فتمت المبايعة بما يشبه الاجماع . . وكان ان ظهرت مسلمات وبديهيات ومقدسات جديدة . . كان يبدو ان هذا هو كل الحل . .

الصدمة الثانية جاءت مع ضربة ايلول ١٩٧٠ ، وتركت بصماتها الحادة التي اخذت شكل علامات استفهام تحتاج الى اجابات سريعة ، فالجسد الفدائي المثخن بالجراح لا زال تحت تهديد السكين . . فانفجر الوعي .

نحن الان نعيش في الزمن الفاصل بين انفجار الوعي وتحققه في ارض الواقع .

الصراعات الفكرية والنظرية التي يشهدها هذا الزمن هي المقدمات والممهدات الضرورية التي تصيغ شروط التجاوز والتحقق . . ومن أجل ذلك وقفنا خلال السنوات الماضية في وجه الانحرافات النظرية والاوهام السياسية بمختلف تنويعاتها واشكالها . . واذا كنا اليوم نضم هذه المواقف مع عدد من الكتابات الجديدة بين دفتي كتاب فلاننا نشعر باطمئنان وتواضع ، بأن مسيرة الاحداث قد اثبتت صحة هذه المواقف بخطوطها العامة والرئيسية . اما قضايا الخلاف المتضمنة في هذه المواجهات والمواقف ، فلا زالت موضوعات حية لمواجهات مستمرة .

بيروت كانون الثاني ١٩٧٨
نزيه ابو نضال

حركة الثورة العربية

بين واقع التجزئة .. ووحدة المهمات والاداة

الاحتلال .. التجزئة .. الاستغلال . هذا هو الثالوث غير المقدس الذي ترزح تحت نيره الملايين العربية الممتدة من المحيط الاطلسي غربا الى عربستان شرقا ، ومن لواء الاسكندرون شمالا الى الصومال جنوبا .

وفي مواجهة هذا الثالوث تتحدد اهداف ومهمات النضال العربي الراهن : **التحرير .. الوحدة .. الاشتراكية** . ان العناصر التي تتشكل منها **قوى** الاحتلال والتجزئة والاستغلال لا تجلس — كما يبدو — في خندق واحد مقابل **جبهة القوى** التي تناضل من اجل التحرير والوحدة والاشتراكية . ان خريطة المعركة متداخلة ومتشابكة ، وحتى متقابلة ايضا .. فهذه **قوى** الاستغلال والتجزئة « تقاتل » ضد **قوى** الاحتلال في نفس المرحلة التي تقاتل فيها **قوى** التحرير ضد **قوى** الاستغلال والتجزئة .

هل ندعو الى « فك اشتباك » بين القوى المتقاتلة في الجبهة الواحدة ؟ !

ام ندعو لانتقال بعض عناصر الجبهة الى خندق الاعداء حتى تتحدد ملامح المعركة بوضوح . وتتعين اطراف الصراع المختلفة ؟!

في تقديرنا ان **الاجابة** على هذين السؤالين ستظل مدار البحث

الاساسي للفكر العربي المعاصر .. وفي تقديرنا ايضا ان مسيرة الحركة الثورية العربية وانتصارها رهن بصحة الاجابة على هذين السؤالين . ونحن بدورنا لا ندعي هنا سوى الاسهام بمداخلة متواضعة في هذا المجال .

□

في مواجهة السؤالين السابقين ، تثار عادة مجموعة من التساؤلات والاعتراضات والاجابات :

اذا كانت قوى التجزئة والاستغلال « تقاتل » ضد قوى الاحتلال . فيصبح من البديهي اذن أن تتشكل جبهة عريضة تضم قوى متعددة هدفها الاول التحرير فقط . وبعد انجاز هذه المهمة يمكن التحول الى انجاز مهمة الوحدة ونشكل لها جبهة جديدة من القوى المستعدة للنضال من اجلها ... الخ ...

الا ان هذه الاجابة التي يقدمها عادة دعاة « التضامن العربي » تصطدم بتساؤلات مختلفة :

ـ اذا كانت اولويات النضال الفلسطيني هي التحرير فهل هذه الاولويات هي ذاتها في المغرب مثلا ؟

ـ اذا كانت قوى الاستغلال تقاتل ضد قوى الاحتلال فما علاقة هذه القوى المستغلة بالامبريالية الاميركية وما علاقة هذه الاخيرة بقوى الاحتلال ؟

ـ اليس النضال ضد الاحتلال متضمنا ايضا بالنضال ضد التواجد والنفوذ الامبريالي المتعدد الاشكال في اكثر من قطر عربي ؟ وضد مرتكزاته المحلية انظمة وطبقات وافرادا ؟

ـ القتال ليس هدفا .. التحرير هو الهدف . فهل هدف القوى المستغلة (بكسر الغين) هو التحرير أيضا ؟

في مواجهة هذه التساؤلات يمكن اثارة تساؤلات مضادة ايضا : اذا كانت قوى الاستغلال تقاتل « اسرائيل » وفي نفس الوقت على علاقات وثيقة بالامبريالية الاميركية اضافة الى انها لا تستهدف تحرير فلسطين فهل نضعها في سلة واحدة مع قوى الاحتلال ؟ ونقاتل الجميع معا ؟!

ان من يرى اولويات النضال العربي دون ان يرى واقع التجزئة سيسقط في تناقض مؤكد .

كذلك فان من يدعو الى جبهة موحدة مع قوى الاستغلال دون ان يحدد شكل الصراع الدائر **الان** معها سيسقط في تناقض آخر . . ودائما فان الجمع الميكانيكي بين المتناقضات يقود اصحابه الى الوقوع في تناقضات جديدة .

لقد اردنا من اثارة هذه المجموعة من التساؤلات الاعتراضية المتبادلة ، استخلاص **جوانب** صحيحة من مواقف متعارضة ، وذلك تمهيدا لايجاد **اجابة** صحيحة على السؤالين الاساسيين .

□

لم يكن غريبا ان العقل الانشائي العربي الذي افرزته البرجوازيات العربية المرتبطة ، قد تعامل مع المشروع الصهيوني في فلسطين باعتباره تحديا وطنيا ودينيا ، وانتهاكا للكبرياء والكرامة العربيتين فقط . وليس باعتبار هذا المشروع ثمرة للعلاقة العضوية بين البرجوازية اليهودية والامبريالية العالمية . . اي انه بصورة اساسية يمثل تحديا **طبقيا ايضا** بجوهره وباهدافه .

اضف الى ذلك الدور الذي يلعبه الكيان الصهيوني في تمزيق الوطن العربي جغرافيا ، ونشاطه المستمر ضد قيام اية وحدة عربية . من هنا نستطيع القول ان الكيان الصهيوني يمثل :

١ ــ مركز الاحتلال (نضال وطني)

٢ ــ مركز التجزئة (نضال قومي) .

٣ ــ مركز الاستغلال (نضال طبقي) .

يتبين من ذلك ان النضال **الحقيقي** لتحرير فلسطين هو نضال من اجل الوحدة وضد الاستغلال الطبقي .. كما ان النضال من اجل الوحدة **الحقيقية** هو نضال من اجل التحرير والاشتراكية .

وهذا يفسر بصورة جلية لماذا لا تقاتل البرجوازيات العربية المرتبطة **فعليا** لتحرير فلسطين ، ★ ولا تقاتل **فعليا** من اجل الوحدة ، وتقاتل **فعليا** لتكريس القهر والاستغلال .

اولويات النضال

ليس صدفة اننا حرصنا فيما سبق على ترتيب اولويات النضال بالتحرير ثم بالوحدة وبعد ذلك بالاشتراكية ، فنحن نعتقد ان اولويات النضال في المرحلة التاريخية الراهنة وعلى امتداد المنطقة العربية تتحدد **بصورة رئيسية** على هذا النحو انطلاقا من ان التناقض الرئيسي محدد بأعلى اشكاله مع الكيان الصهيوني وهذا بالطبع لا ينفي وجود التناقض الرئيسي ايضا مع الامبريالية وامتداداتها بالمنطقة العربية .. ومعنى ذلك ان ساحة الصراع الاساسية هي فلسطين والارض العربية المحيطة بها .

الا ان ترتيب الاولويات لا يعني تقسيما زمنيا لانجاز مهمات النضال بمعنى ان نحقق هدف التحرير ثم ننتقل لتحقيق الوحدة ومن ثم لتحقيق الاشتراكية .

★ لقد سبق لنا في اكثر من مجال ان حددنا موقفنا من حرب تشرين باعتبارها « حرب تحريك وليست حرب تحرير ، وبأن هذه الحرب تتفق مع ايديولوجية القوى الطبقية التي قادتها ، كما انها تختلف عن ايديولوجية القوى الطبقية التي خاضتها » .

ان عملية النضال لانجاز المهمات الثلاث تسير بشكل مشترك ولكن بتواتر متفاوت . أي ان حركة جهدنا الاساسية تتركز اولا على هدف التحرير ثم الوحدة فالاشتراكية . هذا الايقاع المتفاوت لمسيرة النضال يصح بصورة رئيسية في منطقة الصراع (فلسطين والارض العربية المحيطة بها) .. الا ان الايقاع نفسه لا يصح بنفس الصورة على بلد كالمغرب مثلا .

ان حركة النضال المغربي وهي ترفع شعارات المرحلة الثلاث (تحرير ، وحدة ، اشتراكية) ستجد نفسها ملزمة بتركيز جهدها الاساسي اولا لانجاز مهمات الثورة الديمقراطية الاشتراكية ضد الوجود والنفوذ الامبريالي لتتمكن الملايين المغربية المناضلة بعد ذلك من الاسهام في معركة التحرير .

ان هذه الايقاعات المتفاوتة لحركة النضال العربي مسألة طبيعية في ظل واقع التجزئة من جهة وفي ظل التفاوتات المختلفة في ولادة وتشكل البرجوازيات العربية ، وهنا نحتاج الى وقفة قصيرة .

لم تتشكل البرجوازيات العربية بصورة طبيعية في رحم الراسمال العربي ، وبالتالي لم تأت ولادتها تامة عبر مخاض ثورة بورجوازية عربية ضد الاقطاع وشبه الاقطاع العربي . لقد ظهرت البرجوازيات العربية في كنف « حاضنات » راس المال الاجنبي المختلفة ولا زال معظم هذه البرجوازيات الى الان متصلاً « بالحبل السري » مع هذه الحاضنات .

ان البرجوازيات العربية « المرتبطة » ستظل بحكم تشكلها وولادتها عاجزة عن القيام بحركتها المستقلة الى ان تقطع « الحبل السري » الذي يربطها بالامبريالية وهذه لن تكون مهمة « الوليد المشوه » لكنها مهمة القابلة (الثورة المسلحة)

لقد جاء تشكل البرجوازيات العربية في فترات زمنية متباعدة وفي مرحلة اقتسام الوطن العربي بين الدول الاستعمارية المختلفة ،

مما قاد بالنتيجة الى تفاوت واضح في درجة نمو هذه البرجوازيات على قاعدة تجزئة الوطن العربي .

في مواجهة هذا الواقع « التاريخي » : البرجوازيات العربية المشوهة والمرتبطة ، التشكلات الاجتماعية المتفاوتة ، التجزئة .. نجد انفسنا ايضا في مواجهة واقع « **جغرافي** » رئيسي ممثل باحتلال فلسطين يحدد لنا مسبقا اولويات النضال ، حتى وان جاء ذلك متعارضا مع مهمات النضال ضد الواقع التاريخي : القضاء على البرجوازيات المرتبطة وتحقيق الوحدة من أجل تجميع القوى المناضلة **فعلا** ضد القاعدة الامبريالية في فلسطين . ان حل هذه المعادلة الصعبة هي المهمة الاولى التي تواجه الثورة الفلسطينية المسلحة **وحركات** الثورة العربية ، وذلك بتنظيم ايقاع مسيرة الثورة العربية بما يتناسب مع الوضع المحدد جغرافيا وتاريخيا في كل قطر .. وهذا ما يمكن ان نسميه سيمفونية الثورة العربية التي لا زالت تنتظر « **المايسترو** » الذي يقود ويحدد الايقاعات الموحدة والمتفاوتة ..

هذا المايسترو هو التنظيم الثوري العربي الواحد . الا ان ذلك موضوع آخر . يكفي هنا أن نقول بان ولادة هذا التنظيم رهن بامتلاك رؤية علمية موحدة لمهمات النضال العربي ورهن باكتشاف **حركات** الثورة العربية لقوانين الصراع الراهن وايقاعاته المتفاوتة ، من خلال الممارسة النضالية الحية فذلك هو الطريق الوحيد لقيام **حركة** الثورة العربية بقيادة تنظيمها الواحد .

□

تمر المنطقة العربية بأوضاع تاريخية لا سابق لها ، سواء على صعيد تعدد المهمات الملقاة على عاتق القوى الثورية ، وسواء على صعيد مواقف القوى الطبقية المختلفة من انجاز هذه المهمات .
هذه الاوضاع التاريخية المستجدة ترتبط اساسا بالمتغيرات

النوعية التي اعقبت الحرب الكونية الثانية ، وحيث انتزعت الامبريالية الاميركية دور الزعامة في المعسكر الراسمالي بدون منازع . وراحت بسرعة هائلة تسعى لفرض سيطرتها في كل مكان . وقد ترافق هذا الدور وهذا السعي مع ما وصلت اليه بنية الاقتصاد الاميركي من تشكل مجموعة ضخمة من الكارتلات والتروستات المملاقة التي تمد نفوذها وسيطرتها على كافة مقدرات الحياة الاقتصادية في العالم الراسمالي .

وعبر هذه الشبكة الهائلة من الاحتكارات الصناعية والمالية المدعومة بآلة الحرب الاميركية اخذت تتشكل وبصورة لم يسبق لها مثيل **وحدة السوق الراسمالي العالمي** ، وبالتالي تشابك مصالح البرجوازيات المختلفة وخضوعها للاحتكارات الاميركية : من مزارع البن في اميركا اللاتينية الى الانتاج الصناعي في المانيا الغربية واليابان مرورا باحتكارات النفط الهائلة في البلاد العربية . وفي ظل هذا التشكل لوحدة السوق الراسمالي ، لم يعد مستغربا ان تنخفض قيمة « الين » الياباني بسبب اشتعال بئر من النفط في السعودية ، أو ان تنخفض قيمة المدخرات المالية لعدد من الدول النفطية العربية عدة بلايين من الدولارات بسبب تخفيض قيمة الدولار الاميركي .

ان تحديد السمات الاساسية للمرحلة التاريخية الراهنة على النطاق العالمي يسهم مباشرة في تحديد خريطة القوى الطبقية في بلادنا وتعيين مواقعها الفعلية ودورها في المعركة ، اضافة الى تحليل وضعها الخاص ، ورؤية مجموعة العناصر المختلفة التي قد تلعب دورا سلبيا أو ايجابيا في التأثير على دور هذه القوى .

وان اي تناول **لمواقع** القوى الطبقية بمعزل عن هذا الوضع العالمي المحدد لن يقود الا الى مجموعة من الاوهام المضللة .

ولنأخذ على سبيل المثال دور البرجوازيات العربية فيما يتصل بمهمات النضال الراهنة :

هناك من اصحاب النوايا الطيبة من يعتقد بأن المصلحة

الطبقية الفعلية للبرجوازيات العربية هي بتحرير الارض المحتلة في فلسطين والبلاد العربية ، ومثالهم على ذلك الدور الذي لعبته البرجوازيات القديمة كالبرجوازية الصينية مثلا ضد الاحتلال الياباني ، ولهذا تراهم يدعون الى تشكيل جبهة عريضة من كل الجماهير والانظمة والطبقات من اجل تحرير الارض .

وهناك من اصحاب هذه النوايا من يعتقد ايضا ان المصلحة الفعلية للبرجوازيات العربية هي بتحقيق الوحدة العربية ، لان البرجوازية برايهم تسعى دائما لتوسيع سوقها المحلي وتوحيد السوق القومي ، ومثالهم على ذلك البرجوازيات الاوروبية التي انجزت مهمات الوحدة القومية في اوروبا (فرنسا ، المانيا ، ايطاليا) .

وبالطبع فان ما يترتب على مثل هذه الطروحات ، ومن اجل انجاز مهمات النضال التاريخية (تحرير ، وحدة) أن ندعو الى التحالف مع هذه الطبقات ، وان نعتبر التناقض معها ثانويا في مواجهة التناقض الرئيسي : العدو الصهيوني والامبريالية .

واضح ان مثل هذه التحليلات وهذه الامثلة لا تصمد للحظة واحدة امام النقد العلمي لانها تفتقد اساسا الى رؤية المتغيرات في الوضع العالمي ، وانعكاس ذلك على طبيعة البرجوازيات العربية ودورها الراهن . ففي الربع الاول من هذا القرن وقبل أن توحد الامبريالية الاميركية السوق الراسمالي العالمي . كان هناك هامش واسع امام البرجوازية الصينية المحلية لتدافع عن مصالحها ضد الغزو الياباني ، ولكن تذكروا ان « ماوتسي تونغ » قد اكد مرارا ان الكمبرادور الصيني الذي ترتبط مصالحه مع اليابان هو قوة معادية للشعب وللجبهة الوطنية . وهذا الكمبرادور الصيني في ذلك الوقت كان قوة هامشية ضعيفة ، بينما كانت البرجوازية المحلية (الوطنية) تحتل موقع القوة والتأثير داخل الطبقة البرجوازية الصينية .

اما الان وفي بلادنا فان الوضع يختلف نوعيا ، فالقوة

البرجوازية الاساسية هي الكمبرادور الذي ترتبط مصالحه مباشرة مع الامبريالية الاميركية والسوق الرأسمالي العالمي الموحد تحت قيادة الولايات المتحدة . فهل ننتظر من البرجوازية الكمبرادورية العربية ان تقاتل هذه الامبريالية وقاعدتها الصهيونية في فلسطين ؟!

هذا التحليل يجبب من احد جوانبه على الافتراض الاخر الذي يتوهم ان المصلحة الفعلية للبرجوازيات العربية هي بانجاز عملية الوحدة القومية .

ومثل هذا التصور لا يقفز فقط فوق الوضع التاريخي ولكنه ايضا يتجنب تحليل الطبيعة الخاصة للبرجوازيات العربية والتي تختلف نوعيا عن طبيعة البرجوازيات الاوروبية التي انجزت مهمة التوحيد القومي .

ان الدافع الفعلي المحرك للبرجوازية باتجاه توسيع وتوحيد السوق القومي هو بالاساس كون هذه البرجوازية منتجة تحتاج الى الاسواق ، ومن هنا فقد ترافقت عمليات التوحيد القومي في اوروبا مع عمليات الانتقال من المانيفاكتورة الى الانتاج البضاعي الضخم والثورة الصناعية ، وبالتالي بالاندفاع نحو تحطيم الحواجز الجمركية الاقطاعية . فهل مثل هذا الانتاج البضاعي موجود لدى برجوازياتنا العربية ، أم ان هذه البرجوازيات بحكم ولادتها المشوهة ونشوئها وتطورها وارتباطها الذيلي بالرأسمال العالمي وبتحالفها مع الاقطاع وشبه الاقطاع ليست اكثر من سمسار او وسيط بين مراكز الانتاج الرأسمالي الغربي وبين السوق المحلي ، مما يبعدها تماما عن لعب اي دور قومي توحيدي يأتي على حساب مصالحها الطبقية . بل اكثر من ذلك فانه يدفعها لتكريس نهج اقليمي في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية العربية ، كما هو حادث الان بالفعل .

والا كيف يمكن لنا ان نفسر صراخ هذه البرجوازيات المتواصل من اجل الوحدة العربية دون ان نتقدم بخطوة عملية واحدة الى الامام ؟

يتوهم بعض اصحاب النوايا الطيبة ان سبب ذلك وجود عناصر شريرة وافراد عملاء ومتآمرين يخربون الوحدة وضد المصالح الحقيقية للبرجوازيات العربية الحاكمة التي لا تعرف (مصلحتها) . فيتطوع هؤلاء الى **تفهيم** هذه البرجوازيات بحقيقة مصالحها .

نحن من جهتنا لا نفهم التاريخ ولا نفسره بهذه العقلية التآمرية ، كما اننا لن نتطوع لتفهيم البرجوازية فهي يقينا تعرف مصلحتها اكثر منا ، وهي تمارس هذه المصلحة بتعزيز تحالفها مع الامبريالية وبالصلح مع العدو الصهيوني . وبسحق كل القوى الوطنية ومن بينها اصحاب النوايا الطيبة انفسهم .

□

ان تحديد اطراف التناقض في المنطقة العربية لا يعني بالضرورة **وحدة** مهمات النضال ، كما انه لا يحدد **اولويات** هذا النضال .

واذا كانت التجربة التاريخية قد اكدت على الاهمية القصوى في تحديد اولويات النضال (تحرير ثم اشتراكية) فان مثل هذه التجربة تتصل بأوضاع امم موحدة اساسا كالامة الصينية .

اما في وضع كوضع الامة العربية فان تحديد مهمات النضال واولوياته (تحرير ، وحدة ، اشتراكية) يقفز من فوق واقع التجزئة ويطرح اولويات واحدة للنضال في كل من فلسطين والمغرب مثلا مع استحالة ذلك .

كما ان الحديث عن مهمات نضال منفصلة على ضوء واقع كل قطر يقفز بدوره عن حقيقة وجود امة عربية واحدة ووطن عربي واحد ومهمات نضال واحدة .

ان المزج بين وحدة النضال وتفاوت اولوياته ، وتحديد القوى الطبقية المشاركة فيه هي المعادلة الصعبة والجديدة دون سابقة والتي على صحة حلها يتوقف انتصار الثورة العربية .

لقد برهنت تجربة النضال العربي المعاصر على ان كل انجاز او انتصار يحققه احد اطراف جبهة الثورة العربية ينعكس بصورة ايجابية ومباشرة على مجموع جبهة الثورة كما ينعكس سلبا على مجموع معسكر الاعداء .

لقد ادى انتصار حركة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ في مصر الى الاطاحة بالاحتلال الانكليزي في مصر وبمختلف اشكال الوجود والنفوذ الامبريالي ، كما اطاحت بطبقة الاقطاع وشبه الاقطاع لمصلحة البرجوازية المحلية اساسا وبصورة مؤقتة ، ولمصلحة بقية الطبقات الشعبية بصورة نسبية .

كذلك نجد ان حركة ٢٣ يوليو قد اشاعت مناخا قويا في معاداة الاستعمار واحلافه المتعددة كما اسهمت بصورة ايجابية كبيرة في اشاعة مناخ الوحدة العربية وتحرير فلسطين ★ .

من زاوية اخرى نجد ان حركة الكفاح المسلح الفلسطيني ضد الكيان الصهيوني قد عكست مناخا ايجابيا تحرريا وقوميا على نطاق الوطن العربي والمنطقة ايضا .

ان كشف وتعميم قوانين النضال المركب على امتداد الساحة العربية يمثل اسهاما اساسيا في تكامل اشكال النضال العربي وفي وحدة اداته .

واذا كان بناء المجتمع العربي الديمقراطي الاشتراكي الموحد يمثل هدف النضال العربي في هذه المرحلة التاريخية ، فان تحقيق

★ لسنا هنا بصدد تحديد موقف شامل من حركة ٢٣ يوليو ودورها التاريخي ، وسنتعرض لهذه المسالة بصورة مفصلة في مجال آخر .

ذلك لا يتم الا عبر التحليل الدقيق لواقع كل قطر أو منطقة عربية ، ومن خلال خوض اشكال النضال الملائمة في كل قطر ، وبما ينسجم مع البرنامج العام للنضال العربي :

وحدة المهمات والاداة والهدف ، مع تفاوت اولويات النضال وتكاملها .

رد على القائلين بوجود « امم وقوميات عربية »

كرست البرجوازيات العربية ، ومن مواقعها في قمة السلطة ، نهجا اقليميا في الحياة الفكرية والسياسية العربية .

وانتصبت « مخافر » الحدود الجمركية على امتداد الوطن العربي ، لتحمي وراءها المصالح الطبقية لهذه البرجوازيات .

ويتوهم الكثيرون ان هذه البرجوازيات تقف ضد مصالحها الفعلية ، والمتمثلة اساسا بتوسيع السوق . مما يترتب عليه على المستوى النظري والسياسي ، الرهان على هذه البرجوازيات بلعب دور وطني قومي بالغاء الحواجز الجمركية واقامة الوحدة العربية ، الا ان ذلك يتم بعد ان (تكتشف) هذه البرجوازيات مصالحها الحقيقية !!

ان الخلل الاساسي في مثل هذه الاوهام والرهانات يتصل بمسألتين هامتين :

الاولى : سحب الدور البرجوازي الاوروبي في عمليات التوحيد القومي على البرجوازيات العربية .

الثانية : عدم فهم الطبيعة الخاصة للبرجوازيات في بلادنا ، وغياب اي **دور منتج** فعلي لها ، مما يتطلب ضرورة توسيع السوق القومي وتوحيده .

ان محاولة الباس الثياب القومية التوحيدية الخاصة

بالبرجوازيات الاوروبية في القرن الثامن عشر لبرجوازياتنا العربية في هذا القرن لن ينتج عنه سوى « كاريكاتور » قومي توحيدي .

فقد جاءت البرجوازيات الغربية في ظل تراكم متعاظم لرأس المال ، ترافق مع مرحلة الانتقال من « المانيفاكتورة » الى الانتاج الصناعي الضخم . كما ترافق مع التدفق الهائل للذهب من العالم الجديد على ايدي البرتغاليين والاسبانيين والذي لم يلبث ان نزل الى اسواق التداول الاوروبية المختلفة ، مما تطلب مزيداً من الاستثمارات في مجالات الانتاج المختلفة .

المصالح الفعلية للبرجوازيات التجارية وللبرجوازيات الصناعية الصاعدة كانت تصطدم يوميا مع الاقطاعيات المتناثرة وحواجزها الجمركية ، مما يتطلب ازالة هذه العوائق ـ الحواجز ـ من وجه القوة البرجوازية المتعاظمة من اجل توسيع السوق اساسا امام انتاجها البضاعي ، وتحت شعارات التوحيد القومي المختلفة .

اذا انتقلنا الان الى البرجوازيات العربية ، فسنجد ان ولادتها « لم تكن نتيجة طبيعية لتراكم رأس المال العربي وفي اطار ثورة برجوازية عربية للاطاحة بالاقطاع ، واحلال علاقات الانتاج الرأسمالية الجديدة ، بل جاءت ولادتها في كنف « حاضنات » رأس المال الغربي . ولهذا نجدها عبر تشكلها واستمرارها تخضع لقانونين اساسيين :

الاول : التعايش مع الاقطاع والتحالف معه .

الثاني : استمرار ارتباطها « بالحبل السري » مع « حاضنات » رأس المال الغربي والاعتماد عليه وارتباط مصالحها به . » (١)

---

١ ـ حركة ٢٣ يوليو : الموقع الطبقي والدور التاريخي ـ مقال سابق للكاتب ـ دراسات عربية ـ العددان ١٠ ـ ١١ ـ ١٩٧٨ .

هذا الدور التابع والخاضع الذي مثلته البرجوازيات العربية حدد منذ زمن مبكر من هذا القرن المهمات المناطة بها من قبل البرجوازيات الغربية كوكيل ووسيط بين الانتاج البضاعي الغربي والسوق المحلي . ودور الكمبرادور هذا يختلف نوعيا عن دور المنتج ، وان انتمى الطرفان للبرجوازية . وهذا الاختلاف يحدد على الصعيد الوطني والقومي طبيعة الدور الذي سيلعبه كل طرف . ان ارتباط مصالح الكمبرادور البرجوازي المباشرة بمراكز الانتاج الغربي يحدد مهماته السياسية بالحفاظ على هذه المصالح واستمرارها . ولهذا نجد ان ٩٣٪ من حجم المبادلات التجارية العربية مع خارج المنطقة العربية (٢) ، فيما لا يتجاوز التبادل التجاري بين الدول العربية نفسها الـ ٧٪ . وزير التجارة الكويتي اعلن يوم ٣-١١-٧٧ ان حجم الواردات العربية من الولايات المتحدة يبلغ ثلاثين الف مليون دولار سنويا . هذه الارقام تكشف الحجم الفعلي للبرجوازية الكمبرادورية ودورها ومصالحها الفعلية ، كما تكشف الدور الضعيف والثانوي **للبرجوازية المنتجة** . اضف الى ذلك ان اقتسام الوطن العربي بين الدول الاستعمارية وفي فترات زمنية **متفاوتة** قد فرض نمط الانتاج البرجوازي على كل اقليم تم اقتحامه من قبل البرجوازيات الاوروبية ، مما ادى بالتالي الى تشكيلات اقتصادية ـ طبقية **متفاوتة** في درجات النمو . وفي نفس الوقت ارتبطت مصالح الطبقة العليا في كل منطقة من هذه المناطق بمتروبولات الغرب الاستعماري .

من هنا فان التجزئة لم ترسم فقط حدودا سياسية وجغرافية بين المناطق العربية ، ولكنها رسمت حدودا بين تكوينات طبقية متفاوتة تقف على رأسها شرائح لها مصلحة مباشرة في تكريس هذه الاوضاع واستمرارها .

وهذا هو المعنى الاشد خطورة للتجزئة ، واحد أهم عوامل

---

٢ ـ قضايا الخلاف داخل الحزب الشيوعي السوري ـ دار ابن خلدون ـ انظر ملاحظات العلماء السوفيات ص ١٣٦ .

استمرارها حتى الآن .

ولقد ادت هذه التشكيلات المتمايزة ، والتي ازدادت تمايزا وراء حواجزها الجمركية ، الى تكريس الاقليمية واشاعة المناخات المشجعة لها . الا ان انظمة البرجوازيات العربية رغم ذلك ، وفي مواجهة الاتجاهات الوحدوية العارمة لدى الجماهير العربية ، لم تستطع المجاهرة باقليميتها ، بل عمدت الى استغلال الشعارات الوحدوية لتفريغها من مضمونها وتحويلها الى جثث انظية تتحدث عن التضامن العربي ووحدة الصف ومنوعات التوحيد الشكلي التي سرعان ما تظهر وتختفي قبل صياح الديك .

في السنوات الاخيرة وبعد تراجع المد الناصري في المنطقة العربية ، وحيث بات السوق الرائج لمفهوم الوحدة هو التضامن ، اخذت بعض الانظمة وخصوصا في المغرب العربي تتحدث عن « امة » خاصة في الاطار العربي العام .

ومثل هذا الطرح ينسجم حقيقة مع المصالح الطبقية لهذه الانظمة ، مما يجعل الامر من زاويته (العلمية) مفهوما تماما ، وفي تقديرنا ان مثل هذا الاتجاه سيجري تعميمه وتكريسه لدى مختلف البرجوازيات العربية في المستقبل ، اذا لم يواجه بفعل ثوري جماهيري وحدوي مضاد .

على هذه الارضية ، ويقينا من مواقع ومنطلقات مختلفة ، بدأت بعض القوى السياسية الجديدة التقدمية بطرح مقولة جديدة :

ليس هناك امة عربية ، وليس هناك قومية عربية ، بل ان تاريخ هذه المنطقة لم يشهد في يوم من الايام لا وجود امة عربية ولا قومية عربية واحدة ، لكن هناك امماً وقوميات عربية مثل الامة المصرية العربية ، والقومية اليمنية العربية (٣) .. الخ ..

---

٣ ــ مجلة « الشيوعي المصري » ــ العدد الثالث ــ ص ٣٧ وكذلك كراس « الوحدة العربية ومسألة الاقليات » رابطة العمل الشيوعي .

ثم بعد هذه التأكيدات تدعو هذه القوى السياسية (للنضال) من اجل الوصول الى امة عربية اشتراكية واحدة .

من حق القوى السياسية التي تتبنى هذا الموقف ان تعرض وجهة نظرها كاملة قبل مناقشتها خاصة لعدم انتشار ما تكتبه على نطاق واسع يسمح لنا بالافتراض بأن من يقرأ هذا الرد قد اطلع على الادبيات السياسية لهذه القوى .

نقطة البداية التي ينطلق منها الرفاق اصحاب هذا الموقف ، هي التبني المطلق والكامل لتعريف ستالين للامة ، ولا بأس من ايراد هذا التعريف هنا لانه سيكون موضوعا لنقاشنا مع الرفاق .

« الامة واقع اجتماعي مستقر ، تكون بصورة تاريخية ، حيث تتشابك مقومات مشتركة من اللغة والارض والحياة الاقتصادية والتكوين السيكولوجي المعبر عنه في ثقافة مشتركة .

وهذه العناصر والمقدمات المشتركة ، لا بد ان تجتمع جميعا لكي نكون ازاء امة . بحيث يكون غياب احدى هذه الخصائص المميزة معناه غياب الامة » . (٤)

وحول المرحلة التاريخية التي تتشكل فيها الامة يورد الرفاق النص التالي للينين « الامة نتاج لا يمكن تفاديه وشكل لا يمكن تفاديه للعهد البرجوازي من التطور الاجتماعي » .

اما القومية فهي كما يقول الرفاق مرحلة سابقة على الامة . ومن اجل تأكيد ذلك يستشهدون بهذا النص الغامض والمشوش من أفانا سييف « وللمجتمع المعاصر الى جانب الطبقات ، جماعات قومية من الناس والامم . وقد ظهرت الامم متأخرة كثيرا عن الطبقات وبينما تشكلت الطبقات في مجرى ظهور المجتمع العبودي ،

---

٤ ــ ستالين ــ ما هي الامة ــ النص من كتاب الامة ، القومية ، الوحدة العربية والماركسية ــ دار الحقيقة ص ٢٢٧ .

فان الامم هي نتاج تطور الراسمالية » (٥) .

واضح ان مثل هذا النص لا يحدد شيئا فيما يتصل بمرحلة تشكل القومية ، فلا بأس ان نساعد الرفاق بنص سوفياتي آخر يوضح موقفهم . وصاحبة هذا النص هي « مودر جينسكايا » ، من اشهر الباحثين في معهد الفلسفة التابع لاكاديمية العلوم السوفياتية « ... والحقيقة ان الامة قد نبعت من تكوينات اجتماعية سابقة عليها كالعشيرة والقبيلة والقومية » . (٦)

بعد ان يتسلح الرفاق من اصحاب مقولة « الامم والقوميات العربية » بهذه الاستشهادات والمستندات (الماركسية) يسارعون على الفور الى تطبيقها على الواقع العربي والتاريخ العربي فيخرجون بالنتائج التالية :

ان الامة العربية ليس لها وجود قديم منذ ظهور الاسلام وما قبل ذلك كما يقول القوميون ، ذلك ان الامة هي مرحلة من مراحل التطور التاريخي للمجتمعات ، وتحديدا في مرحلة تطور الراسمالية .

ـ كذلك فان الامة العربية ليست امة في طور التكوين كما يقول الشيوعيون (٧) ، لانه بالاساس لم تكن هناك قومية عربية واحدة يمكن ان تتطور في مرحلة الراسمالية الى امة ، فالدولة المركزية *

---

٥ ـ وردت هكذا في « الشيوعي المصري » ونسبها كراس رابطة العمل الشيوعي لكتاب « اسس الفلسفة الماركسية » بعد ان اوردها بنفس النص .

٦ ـ مودر جينسكايا ـ مسالة الامة ـ ترجمة رفعت السعيد ـ مكتب يوليو ص .

٧ ـ قضايا الخلاف في الحزب الشيوعي السوري ـ انظر مداخلة بكداش ص ٢١٢ .

* الرفاق في رابطة العمل الشيوعي ، يتبنون مقولة الدولة المركزية هذه ، وعدم قيامها بدور التوحيد القومي ، ويذهبون الى حد تشبيهها بالدولة المركزية الرومانية التي بسطت وجودها في مصر وبلاد الشام .

العربية الاسلامية لم تحقق طوال وجودها مجتمعا عربيا قوميا واحدا بطبقاته وتشكيلاته الاجتماعية **وبحياته الاقتصادية المشتركة** وان بصورتها الاولية ، لكنها شكلت ملامح عربية عامة تتصل باللغة والدين ، بينما حافظ كل قطر على خصائصه القومية المتميزة .

وحين دخلت العلاقات الراسمالية على هذه المجتمعات نقلتها من مرحلة القومية المصرية العربية مثلا الى مرحلة الامة المصرية العربية .

اما تلك المجتمعات التي لم يصل التطور الراسمالي فيها الى الدرجة المناسبة فلا زالت تشكل قوميات فقط .

ولهذا كله ، فان هناك امما وقوميات عربية وليس امة عربية او قومية عربية .

هذا هو باختصار شديد الوضوح والاخلاص موقف الرفاق ، مما يسمح لنا بحق الرد الكامل عليه .

□

بداية ، نود ان نسجل تقديرنا للرفاق الذين طرحوا هذه الافكار والمقولات وبغض النظر عن موقفنا منها ، ذلك لانها تعبر عن ظاهرة صحية في تجاوز المسلمات والمقدسات الشائعة وطرحها للحوار والنقاش النظري والسياسي .

ذلك ان موضوعات الامة العربية والقومية العربية والوحدة العربية قد احتلت في وجدان المواطن العربي منزلة القداسة والايمان المطلق وتحولت الى « تابو » يحرم الاقتراب منه .

المفكرون الماركسيون والتقدميون ، والاحزاب الشيوعية العربية لم تتقد مجتى الان بأية دراسة **مادية** للتاريخ العربي ، واقصى ما تحقق في هذا المجال بعض الدراسات المتفرقة التي تتناول افكارا عامة لموضوعات جزئية بجهود فردية فقط .

اما المفكرون القوميون فقد انطلقوا من مواقعهم السياسية والايديولوجية لكتابة التاريخ العربي بهدف **البرهنة** على الوجود التاريخي للامة العربية والوحدة العربية * ، لكنهم بالمقابل لم يتقدموا خطوة صحيحة في قراءة هدا التاريخ وفق منهج المادية التاريخية لخصوصيات التاريخ العربي .

من هنا فان طرح مقولة الامم والقوميات العربية من قبل بعض القوى الشيوعية الجديدة ، يفتح الباب واسعا امام حوار نظري يتسم بالجدة والجدية . ويتجاوز لاول مرة تلك الاتهامات والانتقادات الشخصية التي كانت تطلق على اولئك الذين ينطاقون في مواقفهم السياسية من منطلقات اقليمية ، مصرية ، او لبنانية او شامية ، فتوزع عليهم الالقاب والتهم : فهذا فرعوني وذاك فينيقي . وذلك متآمر على الامة العربية . مما ترك المسألة بمجموعها في مجال الخلافات السياسية بمعناها الاتهامي والسطحي ، وبعيدا عن ميدان الحوار النظري الضروري في معالجة هذه القضايا .

والان الى الحوار المباشر مع الرفاق .

الخلل النظري في مقولة الامم والقوميات العربية يكمن اساسا في محاولة الرفاق تطبيق مراحل التطور الاجتماعي في اوروبا على مراحل التطور التاريخي للمجتمع العربي .

فاذا كانت المجتمعات الاوروبية قد عبرت مراحل المشاعية والعبودية والاقطاعية والرأسمالية ثم اخيرا الاشتراكية ، فلا بد اذن لمراحل التاريخ العربي ان تمر بنفس المراحل والا فليس هناك تاريخ عربي واحد ولا قومية عربية واحدة ولا امة عربية بالنتيجة .

وفي مراحل التطور التاريخي هذه لا بد لعناصر التشكيل القومي ان تنسجم مع هذه المراحل من العشيرة الى القبلية فالقومية

---

* راجع في هذا المجال كتابات ساطع الحصري ، ومحمد عزة دروزة ، وخصوصا كتابه الضخم (٨ اجزاء) ، « تاريخ الجنس العربي » .

في مرحلة التكوينات الطبقية في المرحلة العبودية والاقطاعية وصولا للامة في مرحلة التطور الراسمالي .

واذا لم تنسجم الامور ومراحل التشكيل القومي العربي مع هذه المراحل فالنتيجة معروفة : ليس هناك امة او قومية ، هناك فقط امم وقوميات عربية .

هذا الخلل النظري يقود بالضرورة والنتيجة الى التبني الكامل لتعريف ستالين للامة ، ومحاولة تطبيقه على الواقع العربي فيكتشف الرفاق بأن ليس هناك **حياة اقتصادية مشتركة** متطورة تاريخيا . ولما كان ستالين قد نبه الى ان غياب احدى الخصائص المميزة ، معناه غياب الامة ، فان الرفاق سرعان ما يصدرون حكمهم القاطع بأن ليس هناك امة عربية .

الشيوعيون الكلاسيكيون من قبل ، ونتيجة غياب العامل الاقتصادي المشترك هذا ، يعلنون بدورهم ان ليس هناك امة عربية ، بل هناك امة في طور التكوين .

نحن هنا ونظرا لضيق المجال سنقصر مناقشتنا بصورة اساسية على هاتين المسألتين : مراحل التطور ، والاقتصاد المشترك .

□

انماط الانتاج ومراحل التطور

كان من نتيجة انحلال المشاعية ان تولدت ثلاثة انماط انتاجية يحددها ماركس كما يلي :

١ ــ نمط الانتاج **الجماعي الاسيوي** .

٢ ــ نمط الانتاج القديم المتضمن قطاعا جماعيا وفرديا معا .

٣ ــ النمط الجرماني الذي كانت الغلبة فيه **للملكية الفردية** .

ويكون من البديهي ان سياق التطور اللاحق لكل نمط من الانماط الثلاثة متمايز عن الاخر . ويكون من البديهي ايضا ان يقوم كارل ماركس الماركسي الاوروبي ، ومعه انجلز ، بدراسة نمط الانتاج

الاوروبي الحديث انطلاقا من خلاله من تحديد سياق التطور اللاحق لهذا النمط ، وبمراحله الخمسة التي عبرتها وستعبرها هذه المجتمعات الاوروبية ذات الاصل الجرماني (نمط الانتاج) . وذلك بهدف تحديد مهمات النضال التاريخي امام البروليتاريا الاوروبية .

وفي المقابل يكون من البديهي ان يقوم الماركسيون والشيوعيون العرب بدراسة (نمط الانتاج الاسيوي) الذي اشار ماركس اليه ليحددوا السياق التاريخي الذي تطور من خلاله هذا النمط ، وما رافقه من علاقات انتاجية لاحقة ، وروابط اجتماعية تحدد المفاهيم المختلفة المتصلة بالتشكيلات القبلية والقومية .. الخ .. ولقد نبه كارل ماركس الى اهمية دراسة الظواهر الطبيعية والجغرافية في مناطق وبلاد معينة لعلاقة ذلك المباشرة بالظواهر الاجتماعية والسياسية في المراحل المختلفة ، ولكن اليس اسهل على (ماركسيينا) ان يتكئوا على المراحل الخمسة المشهورة ، وكفى الله المؤمنين شر البحث والتحليل ؟

يقول ماركس « المناخ والشروط الجغرافية ، ولا سيما وجود مساحات صحراوية شاسعة تمتد من الصحراء الافريقية ، عبر شبه الجزيرة العربية وفارس والهند وبلاد التتار الى هضاب آسيا الاكثر ارتفاعا ، قد جعلت من الري الصناعي بواسطة الاقنية ، وغيرها من الانشاءات المائية ، اساس الزراعة الشرقية .. وهذه الضرورة فرضت استعمال الماء باقتصاد وبالتشارك . واوجبت في الشرق تدخل الحكومة المركزي . ومن هنا تقع على كاهل الحكومات الاسيوية قاطبة وظيفة اقتصادية محددة ، وظيفة تأمين الاشغال الكبرى » (٨) .

هذا النمط من الانتاج اعتمد بصورة اساسية على الفلاحين ، بينما اعتمد النمط الجرماني المقابل على العبيد (الرق) ، ولهذا

---

٨ ــ انظر نمط الانتاج الاسيوي ــ جان شاتو ــ ترجمة جورج طرابيشي ــ دار الحقيقة ــ بيروت ــ ص ٨٤ .

سميت المرحلة الثانية من المراحل الجرمانية الخمسة بمرحلة الرق او العبودية ، والشرط الرئيسي في اطلاق اسم العبودية على احدى مراحل تطور المجتمع هو « سيادتها كأسلوب رئيسي لاستغلال العمل » (٩) .

في هذه المرحلة من مراحل تطور المجتمعات الاوروبيه الذي « اصبح فيه نظام الرق اساس كل انتاج ، صار عدد العبيد يفوق عدد الاحرار اضعافا عدة . فكان في اثينا ٢٦٥ الف عبد مقابل ٩٠ الف حر ، وفي قورنثوس ٤٦٠ الف عبد مقابل ٤٦ الف من الاحرار » (١٠) . على قاعدة هذه الاختلافات الاساسية في انماط الانتاج ، تم فرض علاقات الانتاج البرجوازي ذات الاصل الجرماني على علاقات الانتاج ذات النمط الاسيوي وبقوة المدافع « لتدك بعنف كل ما هنالك من اسوار صينية وتكره اشد البرابرة عداء وكرها للاجانب على الاستسلام وتجبر البرجوازية (الاوروبية) كل الامم في ظل موت يهددها ان تتبنى النمط البرجوازي في الانتاج » (١١) . . .

. . . هذه الاختلافات . هذا التمايز بين نمطي الانتاج الجرماني والاسيوي يتصل كما رأينا بالمجتمعات المائية الاسيوية وبقيام الدولة المركزية فيها . ولقد قفز ماركس من الآسيوي العام بمختلف ظروفه الجغرافية والمناخية الى الاسيوي الخاص المتصل بالمجتمعات المائية : مصر . الهند . الصين ، واطلق تسمية نمط الانتاج الاسيوي على الكل فيما هو يحدد الجزء ويتحدث عنه ، اعني انه تجاوز المناطق الصحراوية والسهبية والجبلية . نحن هنا

---

٩ ــ انظر مدخل الى المادية الجدلية ــ المادية التاريخية ــ (المجلد الثاني) ــ موريس كورنفورث ــ ترجمة محمد مستجير مصطفى ــ دار الفارابي ص ٧٢ .

١٠ ــ سيغال ــ لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ ــ دار دمشق ص ١٨ .

١١ ــ كارل ماركس ــ فردريك انجلز ــ البيان الشيوعي ــ مختارات المجلد الاول ص ٥٥ .

معنيون بالمناطق الصحراوية الافريقية وبالصحراء العربية ، وهذه المجتمعات كما نعلم هي مجتمعات قبائل بدوية متنقلة وليست مجتمعات حكومة مركزية ، وتتحدد سمة الحياة الاساسية فيها بسيادة نمط الاقتصاد المعاشي الرعوي الذي يتسق مع نسق اجتماعي له خصائص معينة تتشكل في اطاره العلاقات والقيم والمعتقدات . هذا النمط الخاص المتصل بظروف الحياة الصحراوية وشروطها الاقتصادية لم تتطور فيه حياة العشائر والقبائل زراعيا على غرار تطور حياة القبائل الجرمانية ، من العشيرة الى الفراتية (مجموعة العشائر) الى القبيلة فاتحاد القبائل ثم انحلال « روابط الدم » ، القبلية في مجتمع الطبقات في الدولة الاثينية والرومانية . (١٢) فمثل هذا التطور مرتبط بطبيعة الظروف الطبيعية والجغرافية في كل منطقة .

مرة ثانية هناك تمايز اشد واكبر بين نمط الانتاج **الصحراوي** (الاقتصاد المعاشي الرعوي) **الذي يفتقد الى امكانية التطور باتجاه الزراعة والحرف وعمليات التبادل التجاري وما يرافقها من عمليات تراكم مالي** .. الخ .. وبين نمط الانتاج الجرماني ، مما يحدد بالضرورة تمايز اشكال ومراحل التطور اللاحقة في كلا النمطين .

لسنا هنا بصدد تحديد مراحل التطور الاجتماعي للتاريخ العربي ، فهذا موضوع بحث طويل *** ، لكننا اردنا ان نسقط نظرية المراحل الخمس المشهورة التي حاول الكثير من (الماركسيين) الباسها لمراحل التاريخ العربي ، والتي بنى الرفاق على اساسها اخيرا مقولة الامم والقوميات العربية .

ان المنطقة العربية الان سواء بنمط انتاجها الاسيوي او الصحراوي قد تطورت معا بعد الفتح العربي في سياق تاريخي متميز

---

١٢ — انجاز — اصل العائلة — مختارات المجلد الثالث ص ٢٠٤ بتصرف .

*** — سيصدر قريباً للكاتب الجزء الاول من كتاب « الجذور التاريخية للامة العربية » وهو بعنوان التشكل القومي قبل الاسلام .**

وعبر مراحل خاصة . لا صلة لها بمراحل التطور الاوروبي الخمس .

وبالتالي فان التصنيفات والتعريفات والمستندات (الماركسية) المتصلة بمفاهيم الامة والتي تولدت عن اشكال سابقة كالقومية والقبلية والعشيرة والتي ترافقت مع مراحل التطور الاجتماعي الاوروبي الخمس . ليس لها هي الاخرى صلة بمفاهيم الامة والقومية المتصلة بالتاريخ العربي وبمراحل تطوره المتميزة والخاصة .

ومن أراد ان يصدر احكاما جازمة حول مسألة الامة او الامم . فعليه اولا ان يتسلح بالتصنيفات والتحليلات والمستندات المتصلة بالواقع العربي وظروفه التاريخية والمناخية والجغرافية وبالسياق التطوري المنطلق من هذه الظروف .

لنأخذ مثلا الجزيرة العربية قبل الاسلام . ولنتأمل هذه التعددية في انماط الانتاج :

ـ اليمن والممالك الجنوبية . ساد فيها نمط الانتاج الاسيوي (المائي) لكن حياتها الاقتصادية قامت على اساس دور الوسيط التجاري بين الهند والمناطق الشرقية وافريقيا وبين مصر واوروبا وما بين النهرين . ولقد ادى احتكار البطالمة لتجارة المحيط الهندي الى سقوط الممالك اليمنية تباعا . كما سقطت معها المدن القوافلية التي نشأت على طرق التجارة اليمنية كمدينة البتراء في الاردن .

ـ الحواضر الشمالية (مكة . المدينة . الطائف) نهضت حياتها الاقتصادية على اساس دور الوسيط التجاري ايضا الى جانب الرعي وبعض الزراعات المحلية الاستهلاكية المحدودة . لنلاحظ ان تجار مكة مثلا لا يراكمون الاموال باتجاه توسيع استثمارات انتاجية زراعية او حرفية فالطبيعة لم تمنحهم هذه الامكانية . كما فعلت مع القبائل الجرمانية . ثم لنتأمل سلسلة التطورات اللاحقة نتيجة هذا الاختلاف .

في دراسة لاكوست عن ابن خلدون والقبائل الصحراوية في شمال افريقيا يحدد هذا الشكل الخاص من الانتاج فيقول « ان الدول القبلية والتجارية ، الغنية من خلال مهماتها التوسطية بنوع خاص . تتميز اذن بنمط انتاجي اصطناعي على مدى واسع جدا . وهو نمط انتاجي . وان بمعنى خاص » .

فلقد انهارت بعض هذه الدول وتفككت عندما اتخذت التجارة طرقا اخرى . (١٣)

ـ وهناك نمط الاقتصاد المعاشي الرعوي السائد في مختلف مناطق الجزيرة العربية ، وقد سبق لنا الاشارة اليه .

على اساس هذه الانماط المتعددة . ورغم تعددها تكون تاريخيا عرب الجزيرة الذين قاموا من ثم بتعريب المنطقة السامية في بلاد الشام وما بين النهرين بسهولة كبيرة . بالاضافة الى مصر بصعوبة نسبية . وشمال افريقيا بصعوبة اكبر ، وبعضها مجتمعات تعيش في ظل نمط انتاج اسيوي (مائي) واخرى صحراوي . وما بينهما من اشكال ودرجات فكيف تمت هذه « الخلطة » التاريخية . وكيف نمت وتطورت مع محافظتها على طابعها العربي العام طوال اكثر من الف وثلاثمائة عام ؟

هذا الوضع التاريخي المتميز الا يحتاج الى دراسة علمية حقيقية قبل ان نسارع الى اصدار احكامنا القطعية على قوامه الراهن ، مستخدمين مقولات من نوع مقولة الامم والقوميات العربية ؟ وكل ما نملكه هو تعريف ستالين للامة . وجمل غامضة ومشوشة لافاناسييف ؟

من سوء حظ الماركسية في بلادنا ان معظم (الماركسيين) لا

---

١٣ ـ انظر اللغة والتمايز في التطور الاجتماعي ـ فرحان صالح ـ مجلة فكر العدد ١٣ ـ ١٤ ، ١٩٧٧ .

بريدون ان يفهموا ان الغالبية العظمى من الكتابات والادبيات الماركسية تتناول قضايا الحياة الاوروبية وصراعاتها وتاريخها بصورة عيانية محددة .

(ماركسيونا) يحولون المنهج المادي في قراءة التاريخ الى صيغة ، الى وصفة جاهزة يريدون قولبة التاريخ العربي على اساسها . وحين يكتشفون ان هذا التاريخ لا يدخل في قوالبهم الجاهزة ومراحلهم الخمس وما يتصل بها من مفاهيم الامة والقومية ، فانهم يسارعون فورا الى الغاء هذا التاريخ وتجزئته الى امم وقوميات ليسهل ادخاله في القوالب والصيغ والمراحل .

اضف الى ذلك كله ان هناك درجة عالية من الغموض والتشويش والاختلاط فيما يتصل بالتحديد العلمي الماركسي الدقيق لمفاهيم الامة والقومية حتى بالنسبة للمجتمعات الاوروبية . كتب مكسيم رودسون « لقد بنى ماركس نظرية حول الدولة ، وليس نظرية حول الامة » . ونقل عن س . ف . بلوم قوله : « اذا كان ممكنا الحديث عن نظرية ماركسية في القومية ، فينبغي ان يكون ذلك بمعنى وصف معمم لخصوصيات الامم الغربية الحديثة — وحول ملاءمة مثل هذا الوصف للمسائل القومية في اجزاء اخرى من العالم » (١٤) .

يلاحظ من يقرأ كتابات ماركس وانجلز ولينين ان استخدامهم لتعابير امة وقومية لا يحمل تحديدا مرتبطا بالمراحل التاريخية ، كما حاولت الادبيات السوفياتية المتأخرة ان تصنف ذلك بكثير من الحذلقة المدرسية : الامة في مرحلة التطور الراسمالي ، والقومية في المرحلة التي سبقتها واللاحقة لمرحلة الروابط العشائرية .

وقد خطر لنا ان نتناول احد الادبيات الماركسية واشهرها وهو

---

١٤ — انظر « الامة ، المسالة القومية ، الوحدة العربية والماركسية » مرجع سابق ، ص ١١ .

« البيان الشيوعي » (١٥) لنرى الكيفية التي جرى على اساسها استخدام تعابير **الامة والقومية** :

« اجتمع في لندن شيوعيون من مختلف **القوميات** ووضعوا « البيان » التالي الذي ينشر باللغات الانكليزية والفرنسية والالمانية والايطالية والفلمنكية والدانمركية » ص ٤٨ . فهل هي **قوميات** أم **امم** ؟

وحول الصبغة العالمية للانتاج البرجوازي الذي يصبح تعميمه وانتشاره « مسألة حيوية لكل **الامم المتمدنة** » وحيث تقوم مكان الانعزال المحلي « صلات شاملة بين **الامم** ، وتصبح **الامم** منعلقة بعضها ببعض في كل الميادين (. . .) وثمار النشاط الفكري عند **كل امة** تصبح ملكا مشتركا **لجميع الامم** . ويصبح من المستحيل اكثر فاكثر على اية **امة** ان تظل محصورة في افقها الضيق ومكتفية به . ويتألف من مجموع الاداب **القومية** والمحلية ادب عالمي » ص ٥٥ .

قد يبدو هنا ان تعبير امم يتصل بالامم المتمدنة . ولكن لاحظوا ان تعبير آداب قومية يشير الى آداب الامم . . . ولكن لنتابع :

« وتجر البرجوازية الى تيار المدينة **كل الامم حتى اشدها همجية** (. . .) وتنحني امامها رؤوس اشد **البرابرة** عداء وكرها للاجانب . وتجبر البرجوازية **كل الامم** ، تحت طائلة الموت ، ان

---

١٥ ــ اعتمدنا من اجل المقارنة على الترجمات التالية :

١ ــ ماركس ــ انجلز ــ البيان الشيوعي ــ مختارات ــ المجلد الاول ــ ص ٤٨ دار التقدم ــ موسكو .

٢ ــ بيان الحزب الشيوعي ــ ترجمة زاهي شرفان ــ دار الطليعة بيروت .

٣ ــ ماركس ــ انجلز ــ بيان الحزب الشيوعي ــ مكتبة الاشتراكية العلمية .

تقبل الاسلوب البرجوازي في الانتاج ★ » ص ٥٥ .

فهل هذه المجتمعات الهمجية والبربرية التي تعيش في ظل انماط الانتاج ما قبل الرأسمالية والتي تريد البرجوازية الاوروبية ان تفرض عليها في ظل موت يتهددها اسلوبها البرجوازي في الانتاج ، هل هي **امم كما** يقول البيان ام قوميات ام ماذا ؟

الرفاق اصحاب مقولة الامم والقوميات العربية يستشيطون غضبا اذا سمعوا احدا يتحدث عن امة عربية في مراحل سابقة من التاريخ العربي ، اذ كيف يجوز ان تطلق كلمة امة على مرحلة سابقة لمرحلة التطورا لرأسمالي ؟ .. نرجو من الرفاق الان ان يخففوا غضبهم قليلا ، او على الاقل ان يوجهوا جزءا منه لاصحاب « البيان » .

قد تقولون ان ماركس وانجلز يستخدمان تعبير امة هنا للاشارة الى مجتمع معين ، ولا يحددان مفهوما علميا لمعنى الامة يتصل بوحدة السوق والحياة الاقتصادية المشتركة وبقية العناصر الستالينية التي تشكل الامة .

حسنا ، ولماذا تفترضون بمن يتحدث عن امة عربية في مراحل تاريخية سابقة للرأسمالية انه يستخدم هذا التعبير للدلالة على وحدة السوق والحياة الاقتصادية المشتركة .. الخ .. حتى تنزلون اللعنات عليه ، وتتهموه بالجهل والتعصب ، وبالحديث عن امة عربية سرمدية .. الخ .. لا يمكن ان توجد الا في مرحلة الرأسمالية فقط ؟

★ الاستخدام الانتقائي لكلمتي الامة والقومية يتم بنفس الطريقة ايضا :

« The bourgeioisie Adraws all even the most barbarion nations into civiligation. ( )

It compels all natiods, on pain of extinction, to adopt the bourgeois mode of production, ...

Marx, Engels. « Manifesto of of the communist party ». Heritage of Western Civiligation P. 547 Prentice-Hall Co.,5th printing, 1962 .

الا ترون هنا بالتحديد انكم تفتعلون معركة لا مبرر لها ، فانتم تخلقون (المتهم) وتوزعون الاتهامات ، ثم تصدرون حكم الادانة . وحين نفتش حولنا لا نرى متهما ولا تهما ، فقط : صراخ الادانة .

لا نريد ان نطيل البحث حول الكيفية التي جرى فيها استخدام تعبيرات الامة والقومية . نكتفي لمن اراد التوسع في هذا المجال ان يراجع الصفحات ٥٦ و٧٤ و٨٣ و ٨٧ من « البيان الشيوعي » وكذلك ان يعود الى كتاب لينين « حق الامم في تقرير مصيرها » « المختارات » ، المجلد الاول ، الجزء الثاني ص ١٩٤ ، ومعروف ان اساس البحث المتصل بهذا الكتاب يتناول حق **الامم** التابعة للقيصرية الروسية والتي لم تصل الى مرحلة التطور الراسمالي .

اذا انتقلنا الان الى استخدام تعبير امة في اللغة العربية كإشارة محددة للمجتمع العربي والشعب العربي فنجد ان هذا الاستخدام يعود الى المراحل التي سبقت ظهور الاسلام ، واشير بـه الى المجموعة البشرية العربية في تمايزها عن الشعوب و « الامم » الاخرى كاليونان والرومان والفرس والمصريين الفراعنة والهنود ، وكل جماعة بشرية من هذه الجماعات يمكن ان يطلق عليها اسم امة بمعنى تحديد الهوية المتميزة لها عن غيرها وليس بشروط وعناصر الامة كما حددها ستالين .

والاستخدام الفرنسي يتم بنفس الطريقة ايضا :

« Les particularités et c ntrates nationaux des peuple s'effacent de plus en plus en même temps que se développen la bourgeaisie, (.....)

Dans La mesure où l'on supprime léxploitation de l'homme par l'homme, on supprime léxptoitation d'une nation par une autre nation.

« En même temps que L'opposition des classes ou sein des nations disparait L'antegonisme bes nations».

Karl Marx - Oeuvres «Le Manifcst Communiste» P. 179 180 Economic I, Bile de la Pleiade,

وآيات القرآن * العربي مليئة بالشواهد التي تؤكد هـذا المعنى : « وان هذه امتكم امه واحدة » (١٦) « ولكل امـة اجل » (١٧) .

« كذلك زينا لكل امة عملهم » (١٨) . « ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم » (١٩) كلما دخلت منكم امة لعنت اختها » (٢٠) « كنتم خير امة اخرجت للناس » (٢١) . ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم » (٢٢) . كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم » (٢٣) « ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله » (٢٤) .

الى آخر ما هنالك من آيات تشير بوضوح لاستخدام تعبير امة للاشارة الى قوم من الناس (هنا العرب) ، وقد جرى الاستخدام اللاحق لكلمة امة بهذا المعنى طوال مراحل التاريخ العربي الى الان . ونحن نعجب بالفعل كيف تجرأ معاوية ابن ابي سفيان على استخدام تعبير « امه » العرب » على الرغم من معرفته ان الامة لا توجد الا في مرحلة لاحقة من مراحل التطور الراسمالي ، كما انه يعرف ، اي معاوية ، بان السوق القومي في المرحلة الاموية لم يكن موحدا ويفتقد الى عنصر الحياة الاقتصادية المشتركة والذي بغيابه لا تكون هناك امة ، كما نبه ستالين بشدة

□

---

* انظر مفهوم الامة في القرآن — ناصيف نصار — دراسات عربية ايار ١٩٧٧ .

١٦ — سورة المؤمنون ، آية ٥٢ .

١٧ — سورة الاعراف آية ٣٤ .

١٨ — سورة الانعام ، آية ١٠٨ .

١٩ — سورة الحج ، آية ٣٤ .

٢٠ — سورة الاعراف ، آية ٣٨ .

٢١ — سورة آل عمران ، آية ١١٠ .

٢٢ — سورة يونس ، آية ٤٧ .

٢٣ — سور الرعد ، آية ٣٠ .

٢٤ — سورة النحل ، آية ٣٦ .

مما يرجح ان معاوية لم يكن ماركسيا ، على الاقل لم يكن ماركسيا على طريقة الرفاق .

لا شك ان الرفاق سيتذمرون الان ، لان رفضهم لوجود الامة العربية ليس بسبب التسمية وانما هو بسبب غياب العناصر والشروط (الستالينية طبعا) التي تحدد وجود او عدم وجود امة عربية اولا ، وفي مقدمة هذه الشروط الحياة الاقتصادية المشتركة والمتطورة تاريخيا .

الاقتصاد المشترك

سنعيد الى الاذهان اولا موقف الرفاق من مسألة الاقتصاد المشترك « ستالين لم يكن قد اكد عبثا على **فكرة اساسية** تؤكد على **(نفي)** وجود الامة عندما ينتفي وجود واحدة من **الخصائص المميزة الاساسية** التي حددها في كراسه الشهير (. . .) والاقتصاد المشترك ليس شيئا يمكن ارجاع غيابه الى اسباب طارئة وعرضية . . . فالاقتصاد المشترك **لا يمكن** ان يتحقق الا في نطاق تاريخي معين اي نطاق الراسمالية » (٢٥) (التشديد من الرفاق) .

نحن يقينا لا نقف على الجانب المضاد للرفاق فيما يتصل باهمية ودور العامل الاقتصادي ، لكننا حتما لا نقف الى جانبهم .

ان خلافنا مع الرفاق فيما يتسل بالمراحل الخمس ، لم يكن خلافا مرتبطا بتغييب العامل الاقتصادي . او التقليل من اهميته ، لكنه كان بالضبط بسبب هذا العامل ، والذي حددناه بوجود نمطين للانتاج في المنطقة العربية : نمط الانتاج الاسيوي الجماعي ، ونمط الانتاج الصحراوي ، وكلاهما يختلفان عن نمط الانتاج الجرماني الذي عبر عن نفسه بصورة متميزة بمرحلة العبودية (الرق) الذى تطور الى الملكية الفردية في المرحلة الاقطاعية . . الخ . .

وعلى ارضية هذه الانماط المختلفة تلعب عوامل عديدة وبتاثيرات متفاوتة الاهمية في كل مرحلة وكل منطقة لصياغة الروابط الاجتماعية المتصلة بالمفاهيم القومية والتوحيدية . . الخ . وفقط الدراسة التاريخية الحية لمجموع هذه العوامل وتاثيراتها المتبادلة

---

٢٥ ــ مجلة شيوعي مصري ــ العدد الثالث ــ ص ٨٢ و٨٣ .

هي التي توصل الى الاستنتاجات الصحيحة لمختلف المسائل . باعتبارها محصلة مكثفة لها جميعا .

ولقد نبه ماركس وانجلز مرارا على عدم اعطاء الجانب الاقتصادي اكثر مما يجب من الاهمية « وماركس وكذلك انا (انجلز) مسؤولان جزئيا عن كون الشباب يعلقون احيانا على الجانب الاقتصادي اهمية اكبر مما يجب (. . .) وكنا دائما لا نجد الوقت والمكان والامكانية لتقدير العناصر الباقية المشتركة في التفاعل حق قدرها » . (٢٦) وفي احد رسائله يؤكد انجلز بوضوح « ان التطور السياسي ، والحقوقي والفلسفي ، والديني ، والادبي ، والفني ، الخ . . يرتكز على التطور الاقتصادي ، ولكنها جميعا تؤثر كذلك بعضها في بعض وفي البناء التحتي الاقتصادي . ولكنه ليس من الصحيح اطلاقا ان الوضع الاقتصادي **وحده** دون غيره هو هو السبب ، وانه **وحده دون غيره الفعال (٢٧)** » (التشديد من انجلز) .

ومن اجل تعيين العوامل المشاركة في صياغة المحصلة المكثفة لها ، الا يجدر بالرفاق الانتباه الى القول الشهير لماركس : « ان تاريخ الشرق هو تاريخ اديان » * ، وان مثل هذا التاريخ قد تطور على اساس نمط انتاج اسيوي (شرقي) ايضا ؟

لقد اردنا من هذا التمهيد ان نخفف بقدر الامكان من انفعالات الرفاق فيما اذا احسوا من خلال ردنا على موضوعة الاقتصاد المشترك بأننا قد نجرح مشاعرهم (الاقتصادية) .

الاقتصاد المشترك بين الرفاق وستالين يشترط اساسا وجود سوق قومي خاص . . وحدة اقتصادية . . ولكن الا تلاحظون ان

---

٢٦ ــ ماركس ــ انجلز ــ مختارات ــ المجلد الرابع ص ١٧٤ .

٢٧ ــ المصدر السابق ص ١٩٤ .

* هل نحن بحاجة هنا للتذكير بالدور الحاسم الذي لعبه الاسلام والقرآن العربي في صياغة عملية التعريب والمحافظة عليها واستمرارها حتى الان رغم ضعف او احيانا غياب الاقتصاد المشترك ؟ الا تستحق هذه الظاهرة الاهتمام ممن يدعون للنضال من اجل امة عربية اشتراكية موحدة .

كافة المستعمرات تفتقد الى هذا السوق لان ارتباطها الاقتصادي اساسا هو مع الدولة المستعمرة (بكسر الميم) وتشترك بسوقها القومي ، مما ينفي عنها امكانية تشكيل امة ، او انها اذا اكتملت بقية العناصر تصبح جزءا من امة الدولة المستعمرة ؟

خذوا فيتنام مثلا . ففي عهد الاحتلال الفرنسي تم تقسيمها الى ثلاث مناطق فرض على كل منها نمط الانتاج البرجوازي ولكن ليس للواحدة منها علاقة بالثانية اكثر مما كان من العلاقات بين الدول العربية التي تشكلت بعد اتفاقية سايكس بيكو ودخول الانكليز والفرنسيين الى المنطقة .

فاختفى هذا الاقتصاد المشترك داخل المجتمع الفيتنامي . الا انه لم يلبث في وقت لاحق ومع دخول الاميركيين الى فيتنام ، ومع انتصار الثورة الفيتنامية ضد الفرنسيين أن تم تقسيم فيتنام الى قسمين فقط ، فيتنام الشمالية الاشتراكية وعاصمتها هانوي ، وفيتنام الجنوبية المستعمرة والرأسمالية وعاصمتها سايجون .

من يجرؤ الان (نحن في عام ١٩٦٣) على الحديث عن امة فيتنامية واحدة ؟ فليس الاقتصاد المشترك وحده هو الغائب والذي يكفي وحده كما يقول رفاق ستالين لتغييب الامة ، ولكن احد النظامين اشتراكي والاخر راسمالي مرتبط ، مما يفاقم المسألة ويزيدها تعقيدا ، ويجعل الاقتراب من لفظ امة فيتنامية هرطقة تمس قدس اقداس « واحدة من الخصائص المميزة الاساسية (الاقتصاد المشترك) والذي لم يكن ستالين قد اكده عبثا » كما يقول الرفاق .

لكن من يجرؤ الان (نحن في عام ١٩٧٣) على الحديث عن غير امة فيتنامية واحدة ؟

اليس عجيبا ان تتشكل الامم هكذا وتختفي خلال عشر سنوات ؟ الا يرى الرفاق ان هذه الامم قد جاوزت الحد ؟ خاصة وان ستالين كان متشددا تماما في مسالة الاقتصاد المشترك ؟

قبل عام ١٩١٨ كانت بولونيا مقسمة بين روسيا والمانيا ، والنمسا والمجر ، وبالطبع فان بولونيا في مثل هذه الحالة تفتقد

الى سوق قومي مشترك ، وحياة اقتصادية مشتركة .. لكنها لم تلبث ان توحدت امة بولونية ، فماذا كان يحدث لو ان ستالين و الرفاق هم الذين قرروا في ذلك الحين مصير الامة البولونية ؟ ، نظن ان على الامة البولونية ان تشكر حسن طالعها .

اذا انتقلنا الان الى المنطقة العربية ، فماذا نجد ؟

قبل العام ١٩١٧ ولمدة اربعمائة سنة وضمن التقسيمات الادارية التركية للمنطقة العربية ، كانت حيفا ، مثلا ، تابعة لبيروت ، كما كان معظم شرق الاردن تابعا لولاية دمشق ، بينما المناطق الاخرى من شرق الاردن تابعة للقدس ، وكانت حلب ولاية اخرى ، وكذلك الموصل .. الخ ..

السير سايكس والمسيو بيكو وضعا امامها عام ١٩١٥ في القاهرة خريطة تضم (الممتلكات) العثمانية ثم اجريا على الورق تقسيم هذه المنطقة الى مناطق مختلفة للانكليز والفرنسيين . ولا شك ان هذا التقسيم الاولي بعد ان راجع كل من السيدين حكومته قد شهد تعديلات وتغييرات متعددة الى ان استقر على الصورة الرسمية المشهورة عام ١٩١٦ والتي كشفتها ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ الا ان هذه الصورة الرسمية نفسها لم يجر الالتزام بها عند التنفيذ ، فبينما كانت ولاية الموصل تابعة لفرنسا في الاتفاقية لم تلبث ان الحقت ببريطانيا ضمن صفقة معينة .

فما الذي ترتب على هذه التقسيمات والحدود والتغييرات خلال السنوات الماضية من وجهة نظر اصحاب مقولة الامم والقوميات العربية ؟

لقد تشكلت — امد الله في عمركم ولا آراكم مكروها بعزيز — امة سورية ، وامة عراقية ، وامة لبنانية ، وامة اردنية — لا ندري ربما قومية — وامة او قومية فلسطينية .

متى تم ذلك ؟ نسأل الرفاق .. هل تم تشكيل هذه الامم والقوميات « **في نطاق تاريخي** اي في نطاق الرأسمالية » خلال

(انعطاق) (= انعقاد + نطاق) مؤتمر القاهرة المشؤوم وحيث كانت تجري هناك (عمليات **التبادل** الواسعة) للاقلام والمساطر والخرائط والاطماع والتواقيع بين السيدين سايكس وبيكو ومعهما مندوب القيصر الروسي ؟

ام تم تكوين هذه الامم والقوميات عند دخول جيوش الحلفاء للمنطقة المقسمة على الخرائط فنصبوا نقاط الحدود والجمارك فتشكلت امم وقوميات على الفور ، ام ان الامر احتاج الى عدد من السنوات « نطاق تاريخي » على راي الرفاق وكم هو عدد سنوات هذا النطاق ؟ عشر سنوات ، عشرون ، ثلاثون ، خمسون سنة . ام ان هذا التشكل قد تم عام ١٩٧٥ مثلا لحظة اكتشاف هذه المقولة العظيمة ؟

الوضع في الشمال الافريقي جرى بصورة متشابهة تقريبا ، ولكن في فترات زمنية سابقة ومتفاوتة عما حدث في المشرق العربي ، واذا كان الامر هناك فيه درجة من التعقيد النسبي الا انه **لا** يختلف بجوهره ، عما حدث في المشرق العربي .

لنواصل مع الرفاق لعبة تشكيل الامم والقوميات . في سنة ١٩٤٨ كانت قد تشكلت امة فلسطينية او على الاقل قومية فلسطينية فربما كان « النطاق التاريخي » حتى ذلك الوقت غير كاف لتشكيل امة ، فماذا حدث بعد ذلك ؟

قسم من الشعب الفلسطيني انخرط في نمط انتاج الامة المصرية من خلال قطاع غزة ، فدخل في نمط الانتاج الراسمالي فصار أمة فلسطينية عربية ، وقسم آخر انخرط في نمط الانتاج القومي (ربما) الاردني فشكل قومية او امة فلسطينية اخرى ، وقسم ثالث انخرط في علاقات الانتاج (الاسرائيلية) فصار امة فلسطينية ثالثة ، وبالطبع ليست هناك اي عامل اقتصادي يجمع بين « الامم والقوميات الفلسطينية » فلا سوق قومي ولا حياة اقتصادية مشتركة .

اليس هذا هو جوهر مقولة الامم والقوميات العربية مضافا

هذا بصورة كاركاتورية ؟ ستقولون بالطبع ان هذه مبالغة وتشويه للموقف ، نحن نسألكم لماذا ؟

لقد احتاج الامر لتشكل الامم والقوميات العربية السورية والاردنية واللبنانية والعراقية والفلسطينية ، زمنا لا يتجاوز حتى لحظة اكتشافكم لهذه الامم والقوميات اكثر من ستين عاما .

فهل نبالغ كثيرا اذا قلنا انه خلال ثلاثين سنة من تقسيم الشعب الفلسطيني (الامة او القومية الفلسطينية على رأيكم) قد تم تشكل امم فلسطينية او على الاقل قوميات فلسطينية ؟ . .

□

والان دعونا ننتقل لمناقشة جانب آخر من موقفكم . ان مقولتكم حول الامم والقوميات العربية تتصل بمراحل التشكل التاريخي السابقة للمرحلة الرأسمالية الحاضرة . وان الفتح العربي والدولة المركزية العربية الاسلامية لم تحقق طوال تاريخها عملية توحيد قومي للمنطقة العربية ، وانما حققت فقط ما يمكن ان يسمى بطابع عربي عام احتفظت القوميات بداخله بخصائصها المميزة داخل الاطار العربي . وحين دخلت علاقات الانتاج الرأسمالية الى هذه القوميات الخاصة حولتها على ضوء درجة تطورها الى امم او قوميات مصرية ، سورية ، عراقية . . الخ . . وجميعها عربية ايضا .

حسنا ما هي هذه القوميات الخاصة والتي حافظت على خصوصيتها طوال مراحل الدولة العربية الاسلامية ؟

بالطبع انتم لا تريدون الان ان نعود الى بلاد الشام حتى لا نضطر ثانية للعودة الى سايكس بيكو والامم الفلسطينية ، وقد تفضلون ان نتحدث عن مصر باعتبارها النموذج الاقرب لوجهة نظركم ، ولربما (الوحيد ايضا ، وان كان خاطئا بدوره) . ولهذا فنحن ننصح الرفاق في مجلة « الشيوعي المصري » اذا واصلوا

اصرارهم على حكاية الامم والقوميات هذه ان يقصروها فقط على (الامة المصرية العربية) لتكون اكثر انسجاما مع جمهورية مصر العربيـــة ، ولا داعـــي ليورطـــوا انفسهـــم في موقف مشتـــرك مع سايكس ـــ بيكو فيكفيهم الاقتصاد المشترك مع جوزيف ستالين .

لقد تعرضت مختلف الامم والقوميات لعوامل التجزئة والاحتلال والتقسيم (كوبا ـــ كوريا ـــ المانيا ـــ فيتنام ـــ الصين ـــ بولونيا ـــ البلاد العربية .. الخ ..)

ولا يجوز لاي ماركسي ثوري ـــ كما يحب الرفاق ـــ ان يسموا انفسهم ـــ ان يتبنى النتائج العرضية والمؤقتة التي نشأت عـــن ظروف قاهرة خارجية استعمارية ، واكثر من ذلك ان يذهب لتنظير انقسامها (ماركسيا) من نوع مقولة : الامم والقوميات العربية . نحن لا نريد ان نقلل من خطورة واقع التجزئة العربية ، ولقـــد نبهنا الى ذلك في بداية هذا المقال ، ولكننا نعتقد بأن مصير هـــذه التجزئة ـــ رغم ظواهر التمايز التي تكرسها الطبقات البرجوازية ـــ هو رهن بمصير الانظمة نفسها وبحركة النضال الجماهيري باتجاه تحرير الارض واقامة المجتمع العربي الاشتراكي الموحد . نرجـــو ان نكون قد تجاوزنا هنا مسألة غياب العامل الاقتصادي المشترك والذي نشأ وقد ينشأ في اي لحظة نتيجة ظروف او عوامل قاهـــرة خارجية . مما يسمح لنا بالانتقال لمناقشة النقطة المتصلة بالقوميات الخاصة التي حافظت على خصائصها المميزة في الاطار العربـــي العام ، ورغم تبعيتها لدولة مركزية عربية واحدة سواء في مكـــة او دمشق او بغداد او القاهرة .

بالطبع لا يتسع المجال هنا لدراسة حية تتناول طبيعـــة الروابط والتشكلات التاريخية التي تمت خلال اكثر من الـــف وثلاثمائة سنة ، لكننا نريد ان نحاكم هنا المنهج الذي توصل الرفاق من خلاله لمثل هذا الاستنتاج .

لنستمع الى الرفاق : « ان الفتح العربي قد فتح الباب امام خلق الروابط القومية العربية التي تعبر عن عروبة تلك القوميات

المتعددة ، اي جانبها العربي ، اي واقع انها جميعها عربية » .
ولننتبه الان جيدا الى ما يقول الرفاق : « الا ان ذلك الفتح قد عجز عن ان يخلق من تلك القوميات قومية واحدة عربية تنصهر فيها جميعا وتتحد في اطارها الطبقات الاستغلالية في **طبقة استغلالية اقطاعية واحدة** ، وتتحد في نفس الاطار الطبقات المستغلة (بفتح الغين) في طبقة مستغلة (بفتح الغين) **واحدة** » (التأكيد من عندنا) . « ومنذ ذلك الزمن البعيد ، فقد تطورت هذه البلدان بقومياتها المتعددة وبطبقاتها المستغلة والمستغلة في اطر قومية منفصلة ، برغم الروابط القومية المشتركة بينها » (٢٨) ، ويكون الختام التراجيدي لهذا التطور **الاقطاعي** الطويل في العصر الحديث « ان تطورت هذه القوميات ــ بدخول الراسمالية اليها ــ الى امم . . القوميات العربية الى امم عربية » . (٢٩)

اذن فان « كعب اخيل » الذي ادى الى مقتل القومية العربية الواحدة منذ ذلك الزمن المبكر ، هو عدم وجود طبقة **اقطاعية** واحدة ممتدة من المحيط الى الخليج ، وتحتها **طبقة مستغلة** (بفتح الغين) تمتد بدورها من المحيط الى الخليج .

والمفترض هنا ان هذه الطبقة المستغلة هي من **الفلاحين** اذ لا يعقل ان تكون هناك اقطاعية بدون فلاحين .

ايها الرفاق اسمحوا لنا ان نصفق بحرارة ، فمثل هذه الجيولوجيا الماركسية تعتبر اضافة خلاقة للماركسية اللينينية .

انتم اذن تفترضون وجود **طبقتين** ممتدتين فوق بعضهما على امتداد الارض العربية : اقطاع وفلاحين ، ولكنكم سرعان ما تكتشفون وبقليل من التنقيب الجيولوجي في التاريخ العربي ، عدم وجود مثل هاتين الطبقتين فتفركون ايديكم بحماس (ماركسي) وتطلقون صيحتكم الارخميدسية :

---

٢٨ ــ الشيوعي المصري ، مصدر سابق ص ٥٢ .
٢٩ ــ المصدر السابق ص ٥٥ .

لقد وجدنا « قوميات » ولكن ليس هناك وجود لقومية عربية واحدة .

يبدو ان شبح المراحل الخمس المشهورة قد تلبس الرفاق . وهم بدورهم يريدون ان يلبسوه لمراحل التاريخ العربي . الشرقي الاسيوي . الصحراوي . ولقد ناقشنا هذه المسألة مطولا ولا نريد العودة اليها . الا ان الرفاق الجيولوجيين الماركسيين الذين لا يريدون فهم هذه المسألة لم يجدوا امامهم وقد اصابهم هوس المراحل سوى الانقضاض على التاريخ العربي وتقطيعه اربا وقوميات .

لا يجرؤ الرفاق بالطبع ان يطالبوا التاريخ العربي في المرحلة (الاقطاعية) الممتدة من الفتح العربي الى الرأسمالية الحديثة بروابط اقتصادية وحياة اقتصادية مشتركة . فتلك مرحلة متصلة بوحدة السوق القومي وفي المرحلة الرأسمالية فقط . .

ولهذا فان العناصر الستالينية الاربعة للامة وهي اللغة ، الارض ، الثقافة المشتركة . الحياة الاقتصادية والتي تتفاعل بالطبع في نطاق تاريخي . ليست هي نفسها ذات العناصر المطلوبة في المرحلة السابقة للرأسمالية . مرحلة الاقطاع الاوروبي مثلا والتي تتشكل فيها على رأيكم ، وراي أفانا سييف : القومية .

فالعناصر المطلوبة في هذه المرحلة القومية هي « الارض واللغة والثقافة (٣٠) . وحين يتحدث الرفاق عن تطور القومية المصرية يحددون نفس هذه العناصر « فلم تبق الارض ولا اللغة ولا الطابع القومي والثقافة القومية في نفس الاوضاع » (٣١) .

وحين نعود مرة اخرى الى النص الذي يتحدث فيه الرفاق عن عروبة المنطقة وغسيل الدم التاريخي الذي اجراه الفتح العربي في القوميات الاخرى ، نجد ان هذا الفتح « قد فتح الباب امام خلق

---

٣٠ ــ « الشيوعي المصري » ص ٤٢ ، النص لافانا سييف .

٣١ ــ المصدر السابق ص ٤٥ .

الروابط القومية العربية التي تعبر عن **عروبة** تلك القوميات المتعددة ، اي جانبها العربي اي واقع انها **جميعا عربية** (٣٢) (التأكيدات من عندنا) . افلا تؤكد كل هذه **الروابط القومية العربية** المعبرة عن **العروبة** وواقع انها جميعا عربية ، الا تؤكد وجود كافة العناصر والشروط الاساسية لتشكيل قومية عربية واحدة كما تحددون انتم هذه العناصر ومعكم افانا ، سييف ، ونضيف لكم مودر جينسكايا ؟

غير ان هذا غير كاف بالنسبة لكم . لماذا ؟ لان التركيب الجيولوجي للطبقات العربية في المرحلة التاريخية السابقة لا يتطابق مع تركيب الطبقات في المجتمع الاقطاعي الاوروبي ؟! فالقومية كما تقولون « تجمع في اطارها الاوسع طبقات اجتماعية ، وفي المحل الاول طبقتين رئيسيتين متناقضتين » (٣٣) هما بالطبع الاقطاع والفلاحين .

لو جارينا الشباب لمدة دقيقة الان ، ووافقنا معهم بان شرط تشكل قومية عربية واحدة في المرحلة الاقطاعية العربية كان يتطلب اصطفاف طبقتي الاقطاع والفلاحين من المحيط الى الخليج ، وان غياب ذلك يعني غياب قومية عربية واحدة ، فماذا نجد في مرحلة الاقطاع الاوروبي ؟ هل اصطفت الطبقات الاقطاعية والفلاحية في المجتمعات الاوروبية بهذا التشكيل الجيولوجي والمتوازي افقيا في مرحلتها القومية ؟

لناخذ صورة المانيا وايطاليا الاقطاعيتين قبل ان يتم توحيدهما ، والمفيد ان النص قد ورد في مجلة الرفاق انفسهم .

لقد قامت الوحدة الالمانية على اساس توحيد « دويلات واقاليم ومقاطعات اقطاعية بالغة حدا متدهورا من التمزق والتفتت

---

٣٢ ــ المصدر السابق ص ٥٢ .

٣٣ ــ المصدر السابق ص ٤٤ .

والتجزئة . وكذلك كان شأن الوحدة الايطالية في نفس الفترة التاريخية » (٣٤) . طبعا ان القومية كانت موجودة في هذه المرحلة الاقطاعية . فهل كان في هذه الدويلات والاقاليم والمقاطعات الاقطاعية المتمزقة والمفتتة والمجزأة اصطفاف طبقي على شاكلة الاصطفاف الطبقي العربي الذي لم تجدوه « طبقة اقطاعية **عربية** استغلالية واحدة . وطبقة مستغلة (بفتح الغين) واحدة » . (٣٥)؟

الم تكن « المانيا مقسمة بين مئات الممالك والامارات » (٣٦) المتصارعة ، حتى جاء « بسمارك » البروسي ووحدها بقوة السلاح » « فكيف يمكن الحديث عن طبقة اقطاعية المانية مستغلة **واحدة** تمتد على طول الارض الالمانية بمواجهة طبقة فلاحية واحدة مستغلة من نفس الطبقة الاقطاعية ؟

الم تكن كل مملكة وامارة ودويلة من هذه المقاطعات الالمانية المتصارعة تعيش في عزلة تامة عن غيرها ، لها حدودها الجمركية الخاصة وانظمتها وقوانينها ، وان ذلك كله هو الذي دفع البرجوازية الصاعدة لتحطيم هذه الحدود من أجل توحيد وتوسيع السوق القومي ؟ وهذه العملية التوحيدية المسلحة هي نفسها التي قادها « غاريبلدي » الايطالي . فكيف يمكن اذن في ظل هذه الحواجز الجمركية والصراعات ان تتشكل طبقة اقطاعية واحدة تستغل طبقة فلاحين واحدة ؟

لا نريد ان نستفيض في شرح الاوضاع الاقتصادية والطبقية في **المرحلة الاقطاعية** ، فالمفروض ان الرفاق متخصصون فقط في المراحل الخمس بالغة الشهرة .

---

٣٤ ــ المصدر السابق ص ٥٩ .

٣٥ ــ المصدر السابق ص ٥٢ .

٣٦ ــ انظر دراسات عربية ، آيار ١٩٧٧ دور الاقليم القاعدة في تجارب التاريخ الوحدوية . ــ نديم البيطار ــ .

والان كيف تفسرون لنا ايها الرفاق وجود قومية المانيـــة وقومية ايطالية في مرحلة الاقطاع الالماني والايطالي ؟ مع استحالة ان يكون فيهما اصطفافكم الطبقي ؟

لنستمع : ان هاتين الوحدتين (الالمانية والايطالية) توحد كل منهما « اجزاء **قومية واحدة** »(٣٧) (التأكيد من الرفاق . وكنا نحن من يريد وضعه) .

والان لنقف على رؤوسنا اجلالا :

اما عملية التوحيد العربي فستضم « امم وقوميات » ص ٥٩ .

لماذا ؟ **نسأل ، لان شرط وجود قومية واحدة ان تجمع فـــي اطارها اساسا « طبقتين رئيسيتين متناقضتين »** ص ٣٣ يعني اقطاع وفلاحين ، هكذا يجيبون .

ولكن اقطاعكم الاوروبي نفسه وبمرحلته الثالثة بالتحديـــد عرف المرحلة القومية بدون هـــذا الشرط الجيولوجـــي الماركسي الجديد . فلماذا لا تكون القومية العربية **قومية** واحدة ، في مرحلتها السابقة على الراسمالية ؟ خاصة ان القومية العربية ملتزمة بشروط ستالين الثلاثة التي تسبق مرحلة الامة ؟

لا . يجب ان تكون هناك طبقتان اقطاعية وفلاحية ممتدتـــان من المحيط الى الخليج ، قبل أن نسمح بوجود قومية عربية واحدة ، وهكذا ندور في حلقة مفرغة ، ستصيبنا والقارىء بالدوار فلنتوقف عند هذا الحد .

والان ، اذا نظرنا للمنطقة العربية في مرحلة ما قبل الراسمالية ، والممتدة الى ظهور الاسلام ، فماذا نجد مقابل صورة الاقطاعيـــات الصغيرة المتطاحنة داخل التجمعات القومية الاوروبية ؟

لقد انجز الفتح العربي تحقيق عمليتي التعريب والتوحيد في المنطقة العربية ، والذي يسميه الرفاق بغسيل الدم التاريخي العربي

---

٣٧ ــ شيوعي مصري ص ٥٩ .

للقوميات التي دخلها هذا التعريب . وقد تم ذلك في ظل وجود دولة مركزية عربية واحدة لفترات طويلة من الزمن .

صحيح ان الدولة المركزية ليست شرطا في تحقيق عملية الصهر القومي (اللغة ، الارض ، الثقافة المشتركة) ، لكنها تسهم بدون شك بتضافر العوامل الاخرى من نوع غسيل الدم العربي التاريخي في عملية الصهر القومي الواحد .

اما مقارنة دور الدولة المركزية الرومانية ، وصلتها ببلاد الشام ومصر مثلا وتشبيهه بدور الدولة المركزية العربية فلا يستحق حتى عناء الرد .

لقد لعبت الدولة المركزية العربية دورا سياسيا هاما في تشكيل الملامح العربية المشتركة والمحافظة على تماسكها واستمرارها الى جانب الدور الايديولوجي الذي لعبه الدين الاسلامي في صياغة هذه الملامح العربية وصهرها في وجود قومي واحد ، ولكن ليس صهرها في طبقتين (اقطاعية وفلاحية) كما يحب الرفاق ان يتصوروا التاريخ (المرحلة الاقطاعية) .. لقد لعبت الدولة المركزية العربية دورها القومي التعريبي التوحيدي قرونا طويلة ، وبعد انقسام هذه الدولة واصل الدين كمفهوم ايديولوجي شامل الى جانب اللغة والارض دوره في الحفاظ على الطابع العربي للمنطقة الممتدة من المحيط الى الخليج ، ودون ان تقتحم هذه القوميات الواحدة اية عوامل خارجية او داخلية لتقسيم وتجزئة هذه القومية الى قوميات ، بل على العكس من ذلك كانت التحديات المشتركة في مواجهة عمليات الغزو الخارجي (التتار — الصليبيون) عاملا قويا في تأجيج الروح القومية وتوحيد المناطق العربية المقسمة لمواجهة الاعداء الاجانب (المماليك ، الايوبيون ، الخ ..)

من هنا فان من العبث ان نقول « ان الامة تخلق الدولة القومية ، وان الدولة القومية لا تنشىء الامة . ان التاريخ ، تاريخ الغرب ، وتاريخ الشرق ، تاريخ الفرنسيين والالمان والروس والعرب ، والاتراك .. الخ .. يخطىء هذه النظرة الاحادية

الجانب ، يخطئها بدرجات متفاوتة واكنه يخطئها دائما » . (٣٨)

لقد شكل العرب ، سواء في ظل دولتهم المركزية الواحدة او في مرحلة التقسيم اللاحقة قومية واحدة ، ذات روابط مشتركة ، أعلى بكثير من تلك الروابط التي كانت تجمع الممالك والامارات الاقطاعية الالمانية والتي تكرس تشكيلها كأمة على يد الدولة البروسية .

وبالمناسبة ، ماركس وانجلز دافعا بحرارة عن عملية الوحدة الالمانية ، لان الالمان في ظل الامارات والممالك يمثلون بنظر مؤسسي الماركسية « امة » ، وقبل ان يتم توحيدها في سوق قومي .

وماركس وانجلز حين اكدا ذلك لم يشترطا — على طريقة الرفاق — ذلك الاصطفاف الجيولوجي للطبقات الاجتماعية في المانيا ، والذي قاد الرفاق الى نزع صفة القومية العربية الواحدة عن المنطقة العربية . اما دور الدولة المركزية العربية فقد مسخ وقزم الى شبيه بدور الدولة المركزية الرومانية في هذه المنطقة .

□

تبقى كلمة اخيرة لا بد منها خارج اطار هذا النقاش المتعلق بمقولة « الامم والقوميات العربيه » ، وهو اتفاقنا مع الرفاق على عدد كبير من القضايا النظرية والسياسية الاخرى ، وليس هدف هذا النقاش سوى الوصول الى فهم نظري مشترك لمسألة الامة العربية ، وخاصة ونحن نلتقي معهم في النضال المشترك لبناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد . .

---

٣٨ — الياس مرقص . الامة . المساله القومية — مرجع سابق ص ٨٦ — .

« دراسة نقدية لفكر المقاومة ... »
منهج خاطىء ونتائج مضللة

منذ صدر كتاب الدكتور صادق جلال العظم « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » شهدت اوساط المثقفين والمفكرين الفلسطينيين والعرب عموما ، واوساط المقاومة خصوصا ، درجة متوترة من الحوارات والمناقشات . ولم يكن مرد ذلك لاهمية وحساسية الموضوعات التي طرحها الدكتور صادق فقط ، وانما لتوقيت هذا الطرح ، وللنتائج الخطيرة التي وصل اليها .

ولم تقتصر ردود الفعل على المناقشات الكلامية وحدها بل تعدتها الى الكتابة ايضا ، والتي تراوحت بين ابداء الراي في « بريد القراء » لاحدى المجلات ، الى تأليف كتاب كامل كما فعل منير شفيق بكتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » .

وفي الوقت الذي نرحب فيه بكل هذا الجدل الذي اثارته الموضوعات التي طرحها الدكتور صادق ، والتي تشكل الشغل الشاغل لكل كوادر الثورة الفلسطينية والمناضلين والمفكرين العرب منذ سنوات طويلة ، الا اننا وجدنا انفسنا امام مجموعة من الظاهرات السلبية تتعلق اساسا بجوهر هذه الحوارات وجدواها والتي علينا ان نتوقف امامها مليا لنكون قادرين بعد ذلك على الانتقال لمناقشة الموضوعات المطروحة ، وهي المسألة التي تعنينا من كل ما يدور .
ان الفكر الماركسي والذي يمثل الثقافة العملية السائدة لمئات

الملايين من البشر الان ، لم يتثبت وينتشر الا من خلال حركة واسعة

من الجدل شهدتها القارة الاوروبية خصوصا ، منذ اواسط القرن التاسع عشر وحتى اوائل هذا القرن .. ولا زالت مستمرة .. كما ان اللينينية (تحديدا في مسائل التنظيم وانجاز الثورة وحتى في مسائل الادب والفن والفلسفة) لم تخرج منتصرة الا عبر آلاف المعارك الفكرية والحوارات ، منذ اواخر القرن التاسع عشر الى نهاية العقد الثاني من هذا القرن .

وعلى امتداد الصين الهائل شهد سبعماية مليون من البشر اكبر حركة جدل في التاريخ في السنوات الخمس التي ابتدأت عام ١٩٦٥ فيما عرف بالثورة الثقافية ، بين انصار خط ليو تشاو تشي وانصار خط ماوتسي تونج ، وغطت المنشورات ومجلات الحائط كل بقعة في الصين تقريبا ، الى ان ساد الخط الصحيح اخيرا .

ان استحضار هذه النماذج ، ليس خروجا عن الموضوع او استطرادا لتثبيت اهمية الجدل والحوار ، ولكن من اجل الانتقال الى كشف الظاهرات السلبية في الجدل الدائر الان في الساحة الفكرية في بلادنا حول ما كتبه الدكتور صادق العظم والردود عليه .

د . صادق بين (النقد) والتحريف

اول ظاهرة سلبية تواجهنا في كتاب الدكتور صادق « دراسة نقدية ... » هي عدم الامانة في نقل النصوص والاستشهادات ، وهذا ما اوضحه ناجي علوش وتأكدنا منه في رده المنشور في « شؤون فلسطينية » العدد ٢١ ، كما اوضحه منير شفيق بشكل كامل في كتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » وما اكده لنا ابو اياد ايضا خلال حديثنا عن كتاب الدكتور صادق في احدى الجلسات . حين نقول ان عدم الامانة في نقل النصوص والاستشهادات هي ظاهرة سلبية فلا نعني سلبية بالمعنى الاخلاقي (على اهمية هذا الجانب) ، انما نعني ظاهرة سلبية تتعلق بمنهجية الحوار ومنهجية التفكير كذلك . كيف ؟

ان اي قارىء محايد يتناول كتاب الدكتور العظم (لا ننسى ان كلمة دكتور وحدها لها ايقاع ورنين في نفوس شعبنا تمنح صاحبها ما يمكن ان نسميه بالثقة الاكاديمية ، كما ان صادق جلال العظم

اصبح اسما معروفا لدى جمهرة الناس حتى لاولئك الذين لم يقراوا له شيئا ، مما يجعلهم اميل الى تصديقه وعدم الشك بالنصوص التي يوردها ، لا يكون بالضرورة قد قرأ او حفظ الاستشهادات الاصلية كاملة ، ولهذا فسيقبل كلام الدكتور العظم ككلام ثقة ويبني عليه احكامه وتقييماته وهذا يقوده بالطبع — بعد ان ثبت تلاعب الدكتور صادق بالنصوص — الى نتائج واحكام خاطئة ومضللة سواء بالنسبة للافكار التي يناقشها او الاشخاص الذين ينتقدهم . هذه الظاهرة السلبية الاولى المتعلقة بمنهجية الحوار تقود الى ظاهرة اخطر وهي عدم ثقة القارىء بعد اكتشافه لهذه الحقيقة بكل ما يقرأ بعد ذلك من دراسات حتى لو وقعها سبعة دكاترة مشهورين مثل العظم .

غير ان هذه الظاهرة السلبية على خطورتها الشديدة (اخلاقيا ومنهجيا) تظل اقل خطرا واهمية ، لان الخلل الاساسي هو في منهجية التفكير الذي يقف وراء هذه الحوارات والنقد .

لقد ثبت ان مقولة « التحليل الملموس للواقع الملموس » والتي لا يتعب الماركسيون والمتمركسون من استعمالها لا تعني شيئا عند الدكتور صادق فلقد قاده المنحى والاتجاه الخاطىء في التحليل الى مثل هذه « الفضيحة الفكرية والاخلاقية » فهو من اجل اثبات فكرة مسبقة في رأسه مفادها « ان البرجوازية الصغيرة قد سقطت بعد ان سقطت قياداتها وبرامجها وسياساتها وممارساتها » راح يجمع من هنا وهناك كل ما يدعم ويؤيد فكرته المسبقة من تصريحات واحاديث ومقالات وممارسات دون ان يستشعر لحظة واحدة من الحرج عما يفعله من تخريب وتشويه وتلفيق واجتزاء وقطع وجمع واضافة ، كيفما اتفق وشاء بما يجمعه من نصوص واستشهادات ، ودون ان ينتبه وسط هذه الفوضى العلمية — وهذا هو المضحك — الى التناقضات الفاقعة التي وقع فيها .

لقد كان ذلك اساس الخلل في موضوعات الدكتور صادق ، لانه اساس الخلل في منهجيته وتفكيره وهنا بالضبط فضيحته ومأساته .

ناجي علوش ومنير شفيق : دفاعا عن النفس ودفاعا عن الثورة :

في مجال كشفنا للظاهرات السلبية التي برزت واضحة في كتاب « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » ولمجموعة المناقشات الدائرة حوله ، لاحظنا ان الدفاع عن الذات قد احتل حيزا كبيرا نسبيا على حساب مناقشة الموضوعات الهامة التي طرحها الدكتور صادق ، ففي الدراسة التي كتبها ناجي علوش بعنوان : (« دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » : هل هو نقد لفكر المقاومة حقا ؟) نلاحظ ان حيزا لافتا للنظر قد خصص فقط لكشف التلاعب الذي فعله الدكتور صادق بنصوص ناجي علوش ، والحيز المتبقي قد خصص تقريبا للرد على الموضوعات المتعلقة بناجي مباشرة بينما اهملت نتيجة ذلك موضوعات هامة جدا كان على ناجي مناقشتها .

أما رد منير شفيق بكتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » فقد بدا انه قد تجاوز هذه السلبية على الاقل في الصفحات الثمانين الاولى من كتابه (١٩٠ صفحة) الا انه لا يلبث ان يغرق في تفصيلات غير هامة تتعلق ايضا باثبات التلاعب بالنصوص التي اوردها الدكتور صادق او بمناقشة مسائل ثانوية تتعلق بمنير مباشرة . وعلى حساب مناقشة القضايا الاكثر اهمية والتي مر على بعضها مرورا سريعا بينما اهمل البعض الاخر ، الا ان الردين قد اجابا بحسم ووضوح على معظم المسائل الاساسية في الكتاب وكشفا الدور الخطر والمخرب الذي قام به الدكتور صادق . واذا كانت مقالة ناجي القصيرة نسبيا في « شؤون فلسطينية » تشفع له بعدم مناقشة كافة القضايا ، فاننا عند منير شفيق يجب ان نتوقف قليلا لنكشف ظاهرة سلبية تتعلق ايضا باساس عملية الجدل والحوار الدائرة الان ، خاصة وانه قد افرد كتابا كاملا لهذا الغرض .

صحيح ان الدفاع عن النفس حق مشروع في كافة الاعراف والمجالات وصحيح ان الدفاع عن الذات هنا هو بمعنى ما دفاع عن

الثورة وافكارها ، وهذا ما فعله ناجي ومنير بجدارة تامة ، الا اننا في القضايا الفكرية والسياسية كنا نتمنى ان نجد الصوره العامة للنقاش بشكل افضل :

اولا : على الرغم من تأكيدات منير شفيق المستمرة بأن الخلاف بينه وبين الدكتور صادق هو « خلاف بين خطين .. موقفين طبقيين .. مفهومين لواقع بلادنا وللماركسية اللينينية » الا ان الملاحظ في كثير من الاحيان ان « الشخصي » كان يطغي على الموضوع ، وهذا كما اسلفنا بسبب متابعة منير التفصيلية للمسائل المتعلقة به شخصيا .

ثانيا : منهجية البحث . لقد حذر منير شفيق في مقدمة كتابه من ان كتاب « دراسة نقدية ... » يخلو من منهجية البحث (وهذا صحيح) ، ولهذا فان اسلوب الرد كان عليه اساسا ان يستجيب لهذا التحذير ، غير ان ما فعله منير هو عكس ذلك تماما اذ انه مضى مع الكتاب جملة جملة مما اوقعه هو الاخر بنفس الخلل ، ودون ان ينقذه من ذلك وضع العناوين للموضوعات والافكار التي يناقشها .

ثالثا : امام كثير من الموضوعات التي كان منير يستحضرها للمناقشة يكتفي بمقارعة الدكتور صادق على طريقة سقراط فيفحمه منطقيا ، بمعنى يهزمه في (المجادلة) ثم يدير ظهره للموضوع تماما ودون مناقشته ، منتقلا الى نقطة اخرى . وكأن الهدف هو نقطة تسخيف الدكتور والهزء بأفكاره ، وليس المناقشة المعمقة للموضوعات نفسها وطرح البديل الفكري لها .

ان مجموع هذه الملاحظات على منهجية الحوار الدائر الان حول كتاب الدكتور صادق والمناقشات المرتبطة به لا بد من اخذها بعين الاعتبار اذا اردنا لحركة الجدل الفكرية والسياسية ان تمضي بشكل صحي وعلمي باتجاه فضح وكشف الافكار الخاطئة والمخربة وتثبيت ونشر الافكار والمواقف الصحيحة .

اعادة ترتيب لافكار الدكتور صادق

حتى نستطيع الخروج بشيء واضح ومفيد من كتاب الدكتور العظم « دراسة نقدية ... » نجد من المهم ان نمسك بالخيط الاساسي للموضوع الذي اضاعه الدكتور ، وسط ركام هائل من الكلام غير المنظم ، والذي ساقه هكذا بلا اي منهج مدرسي او اكاديمي ، خاصة ان نصف حجم الكتاب (٢٥٥ صفحة) قد ملأه بالاستشهادات والنصوص المنقولة والتي احتلت ١٢٤ صفحة كاملة . ان اعادة ترتيب افكار وموضوعات الدكتور صادق لا تعني حتى موافقتنا على هذا الاسلوب في الطرح ، الا اننا سنحصر انفسنا في البداية في حدود الكتاب قبل ان نخرج منه ونطرح تصورنا للمنهج ، ورأينا في الموضوعات والنقاشات الدائرة :

اولا : ان الثورة الشعبية الفلسطينية المسلحة والتي شهدتها المنطقة منذ عام ١٩٦٥ ، وصعدت صعودا عنيفا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لا يمكن ان نسميها ثورة ، لان في هذه التسمية الكثير من التجاوز (ص ١١) .

ثانيا : ان حركة التحرر الفلسطيني او الكفاح المسلح الفلسطيني كما يفضل الدكتور ان يسمي الثورة قد انتهت خاصة بعد ايلول ١٩٧٠ واستنفدت مرحلة من مراحلها (ص ١١) .

ثالثا : ان علينا تقييم المرحلة السابقة التي انتهت ، وان ينصب هذا التقييم على (فتح) باعتبارها اهم المنظمات الفدائية واكبرها وتشكيلها العمود الفقري لحركة المقاومة (ص ١٢) .

ولان التقييم يعني عند الدكتور صادق هو ذكر السلبيات فقط ، ولان « فتح » هي حركة المقاومة ، فسنمضي في ترتيب افكار الدكتور على هذا الاساس الذي وضعه .

رابعا : ان « فتح » اي المقاومة مثلت امتدادا لحركة التحرر العربية التي هزمت قياداتها وبرامجها وسياساتها وممارساتها في

حزيران ، كما هزمت قيادات وبرامج المقاومة في ايلول (ص ٢٣) ذلك لان الفرع الفلسطيني من حركة التحرر العربي يتماثل مع الاصل من حيث الطبيعة الطبقية للقيادات والكوادر والبرامج والتصورات الايديولوجية (ص ١٥) .

خامسا : وعند اكتشاف الدكتور صادق لهذه الحقيقة الذهبية ! وهي التماثل الطبقي بين حركة المقاومة وحركة التحرر العربي تصبح كافة الطروحات والممارسات الفلسطينية متشابهة مع مثيلتها لدى حركة التحرر العربي دون ان تتمكن لحظة واحدة من التجاوز والتخطي ، بل استعادة وتكرار (خاصة على صعيد الممارسات في كافة الميادين) . (ص ١٩) .

ـ ان شعار حرب التحرير الشعبية لا يختلف عن الحرب النظامية الخاطفة لان العقلية السياسية الكامنة خلف الشعارين واحدة (ص ١٨) المقصود بالطبع القلة الطبقية للبرجوازية الصغيرة) . وما دامت العقلية واحدة والممارسات في كافة الميادين واحدة فقد اكتمل التشابه .

ان شعار « التحرير طريق الوحدة » ليس سوى قلبا ميكانيكيا للشعار الرسمي السائد « الوحدة طريق التحرير » طبعا بسبب تشابه العقلية الطبقية والممارسة . ومن هنا فلن يختلف اي شيء عن اي شيء ! وحتى التصفيات الدموية التي تشهدها قوى البرجوازية الصغيرة على يد بعضها البعض في المنطقة سببها الاساسي انها من طينة طبقية واحدة !! وقد يكون ذلك احد اشكال النقد الذاتي ! المبالغ به قليلا !

ـ ان تعدد المنظمات في الساحة الفلسطينية هو ايضا بسبب امتدادها من حركة التحرر العربي (ص ٣١) . الواقع العربي مجزأ اذن الواقع الفلسطيني كذلك .

ـ ان عدم قدرة المقاومة الفلسطينية على تنظيم مشاعر الجماهير العفوية هو ايضا بسبب هذا الامتداد ، وهي بهذا المجال

تشبه الحركة الناصرية (ص ٣١) . وهذا كله يعبر عن التصاقية فتح بالواقع العربي (ص ٣٥) .

ـــ وحتى في مسألة خطف الطائرات فان الامر لا يعدو كونه تشابها دراماتيكيا مع الخبطات التي تأتي من فوق كما كان يفعل عبد الناصر بدلا من تنظيم الجماهير ، وبهذا برهنت قيادة المقاومة انها امينة على ارثها الكفاحي العربي ووفية لطبيعتها الطبقية (ص ٥٩) .

هل نحن بحاجة للملاحظة بأن « فتح » اي المقاومة قد اعلنت مرارا قبل ايلول رفضها لهذه العمليات وبأنها تبنت قرارا في اللجنة المركزية لحركة المقاومة بتجميد عضوية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بسبب قيامها بمثل هذه العمليات . نعتقد ان مثل هذه الملاحظة ستربك معادلات الدكتور صادق ، لقد اصبحت الجبهة الشعبية هنا هي المقاومة وليست « فتح » بل ان موقف فتح الرافض لا يشار اليه هنا ، لان المفروض ان توافق . اليست من نفس الطينة الطبقية والامتداد العربي !!

سادسا : واستمرارا في محاولة الدكتور صادق لتصفية « فتح » اي المقاومة سواء على صعيد الفكر او الممارسة او حتى في الاستفادة من تجارب الثورات الاخرى ، فانه يفرد صفحات عديدة (٢٥ صفحة) لنفي اي شبهة تقارب ، او استفادة من تجربة الثورة الصينية ، لا على صعيد السياسة والتحالفات فقط ، وانما على صعيد الممارسة وبناء الجيش الشعبي ايضا . والسبب ، ان الماوية وتعاليمها حول بناء الجيش الشعبي لا يبقى منها شيء بعد طرح (أي حذف) الحزب والهوية الايديولوجية والسياسة الحمراء ـــ الماركسية اللينينية ـــ (ص ١٣٨) .

سابعا : انطلاقا من كل ما تقدم ، ونظرا لعدم اعتبار النظام الاردني هو احد اطراف التناقض الرئيسي جاء ايلول والهزيمة ، وانتهت هذه المرحلة من تاريخ النضال الفلسطيني .

ويؤكد الدكتور الصادق بان هذه الدراسة هي لمرحلة انتهت

وهدفها الفهم والاستفادة من البذور الايجابية التي خلفتها هذه المرحلة اذا أردنا ان نقطف ثمارا على المديين المتوسط والبعيد (ص ١١) لاحظوا ان الدكتور صادق لم يتحدث عن الايجابيات كما انه لا يعتقد باننا حتى على المدى القريب يمكن ان نشهد ثورة اخرى ، وهكذا ينضم صادق الى زميله الياس مرقص في تشييع المقاومة « واقامة احتفال الدفن المهيب الذي يليق بها » كما عبر مرقص ذات مرة .

ولكن هل يكتفي الدكتور المعظم بهذا كله ويتوقف عنده ، بالطبع لا ، لان عليه ان يثبت حسن نواياه وحرصه على الجماهير والمنطقة فيحدد اقانيمه الثلاثة التي تملك العصا السحرية لحل كل معضلات بلادنا وايصالها للنصر .

الاقنوم الاول : النظرية الثورية (ص ٢٥٤) .

الاقنوم الثاني : الحزب الثوري الماركسي اللينيني (ص ٢٥٤) .

الاقنوم الثالث : ان نكون الى جانب الاشتراكية (ص ٢٥٥) .

الا ان الدكتور المعظم قبل ان ينهي كتابه ، وخلال حديثه عن الوحدة الوطنية بين منظمات المقاومة ، وبدون مناسبة ، او بمناسبة واضحة الافتعال يورد التصريح التالي لنايف حواتمه والذي وصفه بالتصريح الهام : « ان اسرائيل تنفذ منذ حزيران ١٩٦٧ برنامجها الخاص بتصفية القضية الفلسطينية ، والملك حسين مصمم على تنفيذ مشروع المملكة العربية المتحدة . **وفي مقابل ذلك ماذا عند المقاومة** ؟ ان المقاومة وقفت الى الان عاجزة عن تقديم برامج عمل **مرحلية** وطنية تستجيب للمطالب السياسية والاجتماعية **المرحلية والراهنة** لشعب فلسطين . وفي تعبير آخر ، فان المقاومة بسبب سيطرة برنامج اليمين عليها ، اكتفت باعلان الرفض **المبدئي الاستراتيجي العام** من دون ان تقدم البرامج **التكتيكية** الضرورية لكل **مرحلة** ، والتي تؤدي بالنتيجة الى تحويل الرفض النظري الى قوة مادية ملموسة . ان المقاومة تقف الان مجردة من الاسلحة السياسية والاجتماعية القادرة على توظيف طاقاتها المسلحة لافشال كل هذه المشاريع وتقديم **البرنامج البديل** لشعبنا ليناضل تحت رايته » (ص ٢٥٠) انتهى كلام حواتمه .

هذا الاستشهاد الطويل الذي اورده الدكتور صادق من تصريح نايف حواتمه ، اتبعه بتصريح للناطق الرسمي — وكان يومها الشهيد كمال ناصر — اتهم فيه الديمقراطية بخرق الوحدة الوطنية ، ثم يورد رد الديمقراطية على الاتهام بأنه من المؤسف ان الوحدة الوطنية لا زالت مقتصرة التنفيذ على قرار يتيم حول الوحدة الاعلامية (٢٥١) .

ان هذا الاستشهاد الطويل من كلام نايف حواتمه والهوامش الملحقة به ليست هي **بالتأكيد** ما يعني الدكتور صادق ، وان حاول ايهامنا بذلك ، لان الدكتور العظم بعد هذا الكلام باربعة اسطر فقط يقول :

« لا بد من الاشارة هنا الى انه مع ان منظمات يسار المقاومة المعروفة فقد فهمت بصورة افضل من غيرها **طبيعة المعضلات** التي تواجه حركة التحرر الفلسطينية ، والدلالات الاهم والاعمق لكل من هزيمتي حزيران ١٩٦٧ وايلول ١٩٧٠ ، وادركت الاخطار الكامنة في التوجه العسكري **الضيق** لحركة فتح ، مع ذلك بقي فهمها لكل هذه الامور اقرب الى الصعيد الفكري والتأملي منه الى صعيد الممارسة العملية على مستوى الواقع المتحرك » (ص ٢٥١) .

بعد هذا الكلام بصفحتين فقط يختتم العظم كتابه موصيا باقانيمه الثلاثة السابقة . ان معرفتنا المسبقة بالحوارات الدائرة وراء الكواليس داخل الساحة الفلسطينية ، وما اثاره تصريح نايف حواتمه السابق ، والمتعلق **بالحقوق الراهنة والحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني** ، هذا التعبير يعني باختصار شديد التنازل عن حق الشعب الفلسطيني في كامل ترابه الوطني والقبول بقرار التقسيم لعام ٤٧ او قرار ٢٤٢ لعام ٦٧ او اي مشروع آخر يأتي بعد ذلك .

وهذا ما أراد الدكتور صادق ان يقوله بالضبط ، وان لم يصرح به مكتفيا بايراده على لسان نايف ثم بعد ذلك تقديم المدائح ليسار المقاومة على فهمه للمعضلات التي تواجه حركة التحرر

الفلسطينية . لقد فات منير شفيق اكتشاف هذه القضية الهامة في كتاب الدكتور صادق الا انه ادرك بعمق ان الاستمرار المنطقي لكل منهج الدكتور صادق يقود اليها ، ومن خلال موقفه من مسألة « الامة » اليهودية . ولقد افرد منير فصلا كاملا من كتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » في كشف موقف الدكتور صادق من هذه المسألة وينقل منير شفيق النص التالي من حديث الدكتور صادق في ندوة شؤون فلسطينية العدد ١٢ « اذا اتفقنا على ان يهود اسرائيل يشكلون او هم في طريقهم لتشكيل امة او قومية ، كما قال الاستاذ الياس مرقص ، فلا بد من الاستنتاج بأن طابع الحقوق المتوجب الاقرار بها على المدى الاستراتيجي للشعب الاسرائيلي هو طابع الحقوق القومية ، وهذا الاقرار هو جزء من النضال الايديولوجي التحرري في الوقت الحاضر » (ص ١٨٤ من الكتاب) . كما يؤكد الدكتور صادق في ندوة مركز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد بأن اليهود ما داموا امة او امة بطور التكوين فمن حقهم الانفصال عن الدولة الاشتراكية العربية الموحدة التي طرحها كحل للمسألة اليهودية او الاسرائيلية (ص ١٨٢ من كتاب منير شفيق) .

وهكذا يقودنا الدكتور العظم احيانا بشكل مباشر واحيانا اخرى بشكل غير مباشر الى هذه النتيجة الخطيرة :

ـ الاعتراف بامة يهودية .

ـ الاعتراف باسرائيل .

ـ ان يكون النضال في المنطقة طبقيا تشارك فيه البروليتاريا العربية واليهودية معا لتشكيل دولة عربية اشتراكية موحدة ذات قوميات ، ولان الدكتور العظم ماركسي لينيني ! فهو يمنح كل قومية حقها في تقرير مصيرها بما في ذلك حق الانفصال .

ولدى ادراكنا لهذه النتائج السياسية التي يؤمن ويبشر بها الدكتور صادق نستطيع ان نفهم بالضبط سر انزعاجه الشديد من البرنامج السياسي للثورة الفلسطينية الذي يتحدث عن تصفية الكيان الصهيوني ، واعتبار اليهودية دين وليست قومية ، واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية بديلا لاسرائيل .

كما نستطيع ان نفهم سر الاقانيم الثلاثة التي طرحها . فمـــا دامت الثورة اجتماعية طبقية فلا بد ان تكون مادة هذه الثـــورة جماهير البروليتاريا والفلاحين من عرب ويهود وحزبهم الماركســـي اللينيني ورافعين بالطبع وعاليا راية الاشتراكية (الاقنوم الثالث) .

وهنا يتضح تماما خلافنا مع الدكتور صادق حول فهمنا لطبيعة العدو ولطبيعة الصراع واطرافه وادواته ، وهذا ما سنتحدث عنه بعد قليـــل .

منهجيـــا

لو وافقنا الدكتور صادق جلال العظم لمدة دقيقة واحدة على مقولته التي تؤكد ان المقاومة الفلسطينية قد انتهت في هذه المرحلة ، واننا من اجل بناء الحزب الماركسي اللينيني ـــ طبعا المؤمن بالنظرية الثورية والاشتراكية (اقانيم صادق) ـــ في المديين المتوسط والبعيد لا بد لنا من تقييم المرحلة السابقة ، فكيف نفعل ذلك ؟ لو سألنا هذا السؤال لاحد المبتدئين في تعلم الف باء الماركسية لاجاب على الفور وبدون تردد :

اولا : ندرس الظروف الموضوعية التي سبقت ورافقت الانطلاقة الثورية في فلسطين والاردن اساسا ثم دول الطوق في الدرجـــة الثانية وبعد ذلك الوضع العربي العام .. ندرس هنا على وجـــه الخصوص نمط العلاقات الانتاجية السائدة والقوى الطبقية التي افرزتها هذه العلاقات كما ندرس مجموع المؤثرات والعوامـــل القهرية كالاذلال القومي او الديني او الكبرياء الوطني الخ ... كما علينا ان ندرس في هذا المجال المناخ السياسي العام وطبيعـــة الاحزاب والقوى القائمة ...

ثانيا : لا بد لنا من دراسة العدو وامتداداته من حيث تركيبته الاجتماعية والطبقية والنفسية ... مراكز القوة والضعف لديه ... خططه الاستراتيجية والتكتيكية .

ثالثا : ندرس الوضع الدولي العام ... توازناته ... علاقاته

... احتمالات مواقفه المتعددة ، وارتباطاته بالقضية الفلسطينية والعربية وبالعدو ايضا .

بعد وضع هذه الخريطة العامة ـ يجيب الماركسي المبتدىء ـ يمكننا ان نفهم خصوصية الوضع الفلسطيني ، وبالتالي ان نفهم طبيعة القوى التي افرزها هذا الوضع لتقود النضال في السنوات من ١٩٦٥ الى ايلول ١٩٧٠ .

بعد ذلك ـ لا زال الماركسي المبتدىء يتحدث ـ ندرس مسيرة الكفاح المسلح الذي تم والمتغيرات الموضوعية التي احاطت بهذه المسيرة فلسطينيا وعربيا ودوليا ، حتى يمكننا ان نفهم بعمق اين استطاعت المقاومة ان تحقق نجاحا واين فشلت وكان بامكانها ان تنجح ، وهكذا من خلال دراسة تجربة الكفاح المسلح من كل جوانبه عسكرية كانت ام سياسية ام تنظيمية ... موضوعية ام ذاتية ، نخرج بصورة متكاملة تفيدنا في خطواتنا القادمة . الدكتور العظم لا يمكن ان يقبل ما يفعله الماركسيون المبتدئون ، لانه كما يبدو ماركسي (اكسترا) او فوق الماركسية . غير ان ما فعله بالنتيجة يشبه تماما ما يفعله مشايخ القرى او كهنة الاعتراف الكاثوليك ، فالاشياء مفرزة ومقسمة سلفا ... هذا خير وذلك شر ... هذا سلبي وذلك ايجابي ... هنا خطأ وهناك صواب ... ابيض واسود هذه هي الالوان التي يستطيع عقل الصادق ان يميزها ... اما تدرج الالوان وتداخلها والتحام لونين ليشكلا لونا جديدا فمسائل لا علاقة للدكتور العظم بها ، ولهذا نجده في مقدمة كتابه « دراسة نقدية ... » يحيلنا الى هامش يعتذر فيه عن الحديث في ايجابيات الثورة ومنجزاتها :

« يجد القارىء عرضا مركزا وافيا لمنجزات الكفاح الفلسطيني المسلح في كتاب الدكتور حسام الخطيب « في التجربة الثورية الفلسطينية » منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٢ » ، (هامش (١) ص ٩) .

لاحظوا ان حرص الدكتور العظم على معرفتنا لمنجزات الثورة تصل الى درجة اخبارنا عن دار النشر التي وزعت الكتاب .

هل نسأل بعد ذلك اين الديالكتيك الماركسي العلمي الذي يرفض ان يحاكم الاشياء ، ولا يستطيع ان يفهمها الا من خلال وحدتها الكلية وترابطها وتناقضها وتطورها ؟!

مأساتنا المفجعة ليست بأعداء الماركسية والعلم بل بأولئك المتمركسين الذين يتخموننا بنصوص واستشهادات من ماركس وانجلز ولينين وماوتسي تونج — خاصة ماوتسي تونج — دون ان يقدموا تحليلا ملموسا واحدا لواقعنا الملموس — اولئك الذين يحفظون عن ظهر قلب ما قاله ماركس عن الثورة الفرنسية او ما قاله لينين عن ثورة ١٩٠٥ ويحللون باستفاضة الظروف الموضوعية التي احاطت بالانتفاضتين ، لكن حين يتعلق الامر بالمجتمع الفلسطيني الذي يمتلك خصوصية نادرة وفريدة فهم اما ان يقفوا عاجزين تماما عن التحليل ويتناولون الظواهر فقط ، واما ان يبروا اقدام هذا المجتمع ليدخلوها في قوالبهم الحديدية .

بعد ذلك نحب ان نلفت نظر الدكتور العظم الى مسألة هامة تتعلق بكتابه كاملا : ان الذي يطرح نفسه ماركسيا في بلادنا عليه ان يعرف ان مهمته ليست التعليق على احداث الماضي (النقد الذاتي بعد الهزيمة ، دراسة نقدية لفكر المقاومة) وانما مهمته اساسا الكتابة عن المستقبل مستعينا بأحداث الماضي محللا الحاضر بمختلف جوانبه راسما طريق المستقبل ... وحتى هذا الجهد على اهميته لا انجزه الماركسي بكامله يظل قاصرا اذا لم يهبط هذا الماركسي الى ارض الواقع ويعيش حركة الجماهير وتفاعلاتها الصخابة والمتنوعة والمتناقضة ، من اجل ان يفهم اكثر واعمق ما يحدث ومن اجل ان يسهم في صناعة المستقبل ... ليست مهمة الماركسيين تفسير التاريخ والمجتمعات والاحداث ... انما مهمتهم التغيير من خلال الفعل والممارسة ... هكذا علمنا (البيان) في سن مبكرة ... اما اذا فشلنا في الفعل والعمل فعلى الاقل ان نجيد كتابة التاريخ مثل اي مؤرخ برجوازي نزيه ، بأمانة وصدق ، ولنكف عن طرح انفسنا كماركسيين اذا كنا نحمل بعض الاحترام لهذا الاسم .

حول التوقيت

ان النقطة السابقة تقودنا مباشرة للحديث عن توقيت تأليف الكتاب واصداره ، في نفس الوقت الذي تتعرض فيه الثورة الفلسطينية لحملة تصفية شاملة على كافة الاصعدة السياسية والفكرية والعسكرية والارهابية ، عربيا ودوليا ، والثورة تدفع كل يوم من قياداتها وكوادرها ومقاتليها للحفاظ على الثورة واستمرارها ، ومن اجل ان تبقى شعلة الرفض مضيئة في وجدان الامة حيث الصمت يكفن كل الجبهات .

هل حرص الدكتور العظم على صحة المريض في المدبين المتوسط والبعيد يدفعه الى المشاركة في قتل المريض الان ؟!
نحن نعرف ان هذا هو ما فعله العظم ، فهل يعرف هو ما يفعل .

حول الموضوعات والنتائج

تتعرض بلادنا الان لشكلين من اشكال السيطرة الاجنبية .

الشكل الاول : احتلال عسكري استيطاني صهيوني في فلسطين كلها وسيناء والمرتفعات السورية ، ولا زال يطمع الى احتلال المزيد .

الشكل الثاني : النفوذ الامبريالي الاميركي والانكليزي والذي يعزز سيطرته الكاملة او شبه الكاملة على العديد من الدول العربية (قواعد عسكرية .. احتكارات مالية وبترولية .. قروض .. ربط انتاج واستهلاك هذه الاقطار بالراسمال الاجنبي .. الخ ..)

وترتبط بهذين الشكلين للاحتلال الرجعية العربية العميلة للامبريالية وجناح من البرجوازية العربية التجارية والصناعية المتصلة بالراسمال الاجنبي .

وفي مقابل ذلك تقف جماهير الامة العربية بعمالها وفلاحيها

ومثقفيها الثوريين .. ببرجوازييها الصغار وبالجناح الوطني من البرجوازية العربية العقارية والصناعية والتجارية التي ترتبط مصالحها بالاستقلال الوطني عموما .

ان سمة هذه المرحلة بالتالي ، هي مرحلة الثورة القومية الديمقراطية التي تستهدف طرد المحتل الاجنبي ، وتصفية اشكال هيمنته العسكرية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، وتصفية القوى العربية المرتبطة بالاحتلال لمصلحة جماهير الامة العربية التي من خلال تواصل نضال طبقاتها الاكثر جذرية وثورية ستحدث تغيرات كيفية على برامجها السياسية واطرها التنظيمية وصولا الى بناء دولتها الاشتراكية الموحدة والمحررة من كل اشكال السيطرة الاجنبية .

كيف يحدث ذلك على ارض الواقع ؟ ما هي القوى التي تخوض الصراع وتقوده ؟ ان الاجابة على هذه المسائل يقدمه ، وقد قدمه الواقع نفسه . اما النصائح المخلصة وغير المخلصة التي تتحدث عن النظرية الثورية و لحزب الثوري الخ .. فانها تثير السخرية والحنق معا ..

هل الحزب الماركسي القائد لمرحلة النضال سابقا ولاحقا ينتظر من الدكتور العظم أو من غيره ان يخبره بأن عليه الان دور القيادة ؟ او ان جماهير البروليتاريا تنتظر الان لقيادة طبقات الامة ؟! ربما كان العظم يعتقد ان السطور العشرة الاخيرة من كتابه والتي ضمنها (اقانيمه) الثلاثة قد حلت كل المشاكل وبأن بأمكانه أن يذهب ليستريح بعد ان اضاء بصيرة الطبقة العاملة بما تحتاجه وبالدور الذي عليها ان تلعبه .

الماركسيون الحقيقيون والمناضلون الثوريون في غياب حزب الطبقة العاملة لا يجلسون في بيوتهم والامة تتعرض لخطر التصفية والاستسلام ، وهم كذلك لا يرفعون سيوفهم في وجه القوة الوحيدة التي تتصدى للهجمة الصهيونية الامبريالية الرجعية ، وتقدم الاف الشهداء من اجل دحر هذه الهجمة وافشالها . الماركسيون دائما بين الجماهير وفي معمعان قتالها اليومي ، هم الاكثر عملا ، والاكثر تضحية والاكثر قدرة على العمل مع الجماهير وقيادتها ، واذا لم

يفعل الماركسيون ذلك فان شعبنا لن يحبهم او يحترمهم . ولن يمنحهم قط قيادته حتى ولو جاؤوا بحزب ماركسي تفصيل على مواصفات العظم واقانيمه .

الطريف في محاكمات العظم لفكر حركة المقاومة وممارساتها ـ تحديدا فتح ـ انه يطالبها بأن تطرح فكريا سياسيا وتمارس مثل اي حزب ماركسي ولانها لا تفعل ذلك فان العظم لا يتردد لحظة واحدة عن شطبها واعلان افلاسها ، في الوقت الذي اعلنت « فتح » بأنها حركة وليست حزبا ماركسيا ولا ليبراليا . بتواضع قالت « فتح » انها تطمح من خلال المسيرة ان تتحول الى حزب مغتنية بالفكر والنظرية من خلال الممارسة .

وما دام الامر كذلك ، فان « فتح » هي حركة وطنية آمنت بالكفاح المسلح وحرب الشعب ، وحين انطلقت لم يتجاوز عدد افرادها سواء في قوات العاصفة او في تنظيم فتح السياسي المئات .

بعد حزيران ٦٧ ومع انطلاقة « فتح » الثانية وبعد الكرامة تحديدا عام ٦٨ تدافعت الجماهير نحو « فتح » سواء كمقاتلين او كأعضاء في التنظيم ودون ان تكون « فتح » قادرة تنظيميا او عسكريا على استيعاب هذا التدفق البشري الهائل . كانت امام خيار الرفض او القبول ولم يكن القرار سهلا ، الا ان مبررات القبول كانت اقوى .

● شباط ٦٨ تقدمت دبابات السلطة الاردنية لتصفية قواعد « فتح » في الاغوار .

● ١٤ـ١١ـ٦٨ واجهت « فتح » مؤامرة التصفية في الاردن ، وكانت تحتاج الى جماهير مسلحة لحماية الثورة ، والى اعضاء في التنظيم لقيادة هذه الجماهير ولقيادة الميليشيا .

● نيسان ٦٩ واجهت المؤامرة في لبنان وكانت « فتح » بحاجة الى مقاتلين وميليشيا ايضا .

● تشرين ٦٩ المؤامرة الثانية في لبنان .

- شباط ٧٠ حملة التصفية الثالثة في الاردن .
- حزيران ٧٠ حملة التصفية الرابعة في الاردن .
- تموز ٧٠ واجهت الثورة مؤامرة روجرز والموافقة الوطنية العربية عليها .

ثلاثون شهرا فقط هي الفترة التي كان على فتح فيهـــا ان تواجه كل هذه المؤامرات والتصفيات دون ان تنسى للحظة واحدة دورها الاساسي في الارض المحتلة التي فاجأتها هزيمة حزيران وهي تفتقد الى الاحزاب والتنظيمات والسلاح .

ونحن حين نسجل كل ذلك ، لا نقدم فتاوى او تبريـــرات للاخطاء والسلبيات ، والتي كان بعضها خطا وقاتلا . الا ان كافة ملاحظاتنا وانتقاداتنا يجب ان تظل في داخل الاطر التنظيمية او على الاقل ليس على صفحات الجرائد والمجلات والكتب ، ولا نظن ان الدكتور العظم سيختلف معنا حول هذه المسألة التنظيمية البسيطة . وكان على الدكتور ان يلاحظ ذلك حين شن هجومـــه علـــى بعض كوادر وقيادات « فتح » لانها لم تحدد موقفا من النظام في الاردن في الوقت الذي كانت تحمل فيه السلاح في احياء عمان ضد هذا النظام .

ان مسيرة الثلاثين شهرا من شباط ٦٨ الى تموز ٧٠ والمؤامرات الدموية التي واجهتها فتح خلالها ، ربما كانت تحتاج الى تنظيـــم حزبي متمرس في النضال لعشرات السنين ولديه آلاف الكوادر . فكيف تمكنت حركة وطنية صغيرة في البداية أن تصمد وتنمـــو ، ولا زالت حتى الان تقاتل داخل الارض المحتلة وخارجها ؟ هـــذا السؤال الهام لا يعني الدكتور العظم ، ولهذا لم يتوقف امامـــه .

نحن نعتقد ان الموقف السياسي العام والشعارات التـــي طرحتها « فتح » وممارساتها لهذه الشعارات ، هي صحيحة في خطوطها العامة ، غير ان هذه الصحة لا زالت تحتاج الى اغنـــاء كل يوم بالتفاصيل التي يعززها ويؤكدها الواقع والممارسات ، وهذا درس ايجابي هام نخرج به من تجربة السنوات الماضية ، وكـــل

توجه لنقض هذه الشعارات بالحديث عن دولة او امة يهودية او تقسيم الخ . . . سيجهض مقدما اي حزب ، وعلينا الا ننسى ان سر ضعف الاحزاب الشيوعية العربية عموما ولا جماهيريتها هو الموقف الخاطىء من القضية الفلسطينية اساسا ، ومن قضية الوحدة العربية ثانيا ، ومن هنا فان دعوة الدكتور العظم الى بناء الحزب الماركسي الذي يؤمن بامة يهودية واستقلال قومي لهذه الامة تذكرنا بتعبير شائع وطريف : « ان التاريخ يعيد نفسه مرتين ، الاولى على شكل مأساة والثانية على شكل مهزلة » .

ان مسألة بناء الحزب ، والحزب الماركسي العربي تحديدا من المسائل الاكثر اهمية وخطورة ، لان الحل النهائي لمعضلات المنطقة العربية الاستراتيجية والجذرية ، لا بد أن يتصدى لها اخيرا مثل هذا الحزب ، غير أن هذا لا يعني لحظة واحدة ان نقفز فوق الواقع المليء بالصدامات والتحديات والقوى المقاتلة وندينها هكذا بالفشل والافلاس بل والانتهاء ، من اجل الدعوة للحزب الذي لم يولد بعد . ان مثل هذه الخفة في تناول القضايا الوطنية والنضالية توضح ان ليس لصاحبها علاقة بالنضال العملي وبكيفية ولادة الحزب الثوري اللينيني . وكأن مثل هذا الحزب يشترط لولادته الفراغ الكامل من كافة القوى حتى يتمكن من الولادة او القيادة .

الحزب الماركسي الثوري العربي في ظروف بلادنا الراهنة يولد من خلال القتال والكفاح التحريري الشعبي المسلح من مئات الكوادر والمناضلين المتمرسين في معارك الشعب اليومية ضد الاعداء الصهاينة والامبرياليين وعملائهم الرجعيين .

في بلادنا التي تعيش مرحلة الثورة القومية الديمقراطية لا يولد الحزب الماركسي الثوري بين بروليتاريا المصانع او جماهير الفلاحين المسحوقة بالنهب الاقطاعي ! ، انما يولد في مناخ الكفاح المسلح ضد اعداء الامة ، ومن بين المقاتلين العصابيين وفي ظل بنادقهم وايضا في ظل شعارات حرب الشعب والتحرير الشامل والمجتمع الديمقراطي الفلسطيني ووحدة الامة وحريتها وتقدمها .

مقياس خاطىء

الدكتور العظم من اجل ان يبرهن على فرضية مسبقة تقول ان

البرجوازية سقطت ببرامجها وقياداتها وممارساتها واحزابهـــا وحركاتها وان عليها ان تتنحى لتسلم القيادة للبروليتاريا وحزبها ! يستحضر حزيران ٦٧ وايلول ٧٠ لانهما الدليل على الفشل الكامل السياسي والعسكري والطبقي .

هزيمة المعركة ، خاصة المعارك الكبيرة هي المقياس عنـــد العظم ليحدد بعدها انتهاء دور طبقة كاملة ، وهذه جهالة تثيـــر الاشفاق :

اولا : ان الذي يحدد دور الطبقة ليس رغباتنا مهما كانـــت طيبة ومخلصة ، وانما قوى وعلاقات الانتاج والاحزاب والقوى التي يفرزها الواقع الاجتماعي ، والثقافة السائدة او التي في طريقها لكي تسود حياة المجتمع وفكره .

ثانيا : اذا كانت الهزيمة مقياسا لفشل الطبقة او حزبها فكيف يفسر الدكتور العظم ، اجتياح الالمان لاراضي ومناطق كاملة في الاتحاد السوفياتي في الاشهر الاولى من الحرب العالمية الثانيـــة ، وكيف يفسر هزيمة الجيش الاحمر الصيني في مناطقه المحررة بعـــد حملات الابادة الخمس ونزوح هذا الجيش فيمـــا عرف بالمسيـــرة الكبرى الى شمال غرب الصين رحلة العشرة آلاف ميل . هـــذه المسيرة بدأت بـــ ٣٠٠ الف جندي احمر وعند نهايتها كان العدد ٢٥ الف جندي احمر . هناك ٢٧٥ الفا بين قتيل وجريح ومنهزم وهارب .

حول هذه القضية سنستعين برأي قانوني ، وهو يحمل شهادة دكتوراه في الحقوق الا انه ثوري ومناضل ولا يجزع أو يفقد الثقة بعد الهزيمة ، انه فيديل كاسترو :

١ ـــ بعد فشل الهجوم على ثكنة المونكادا (احتفلت كوبا يوم ٢٦ تموز الماضي بهذه الذكرى) وقتل واسر معظم المشاركين في الهجوم قدم كاسترو مرافعته الشهيرة باسم «سيبرئني التاريخ» التي تحدث فيها بحب وفخار عن رفاقه الشهداء وبسالتهم وتضحياتهم ، وتحدث عن بعض الاخطاء التي رافقت تنفيذ العملية ومـــن وراء

القصبان وضع نظام الجلاد باتيستا في قفص الاتهام ، وهتف بشعار الثوار الكوبيين : « النصر او الموت .. سننتصر » . بعد حوالي سنتين ، سقط نظام باتيستا وانتصرت الثورة .

٢ ــ في مقدمة « يوميات غيفارا في بوليفيا » التي كتبها كاسترو رد بعنف على الذين هاجموا ثورة بوليفيا وغيفارا بحجة ان الظروف الموضوعية غير ناضجة في بوليفيا للثورة ، وبأن غيفارا مغامر رومانسي فقال ان الثوره الكوبية كان من الممكن ان تسحق في احدى حملات الحصار في السييرا مايسترا وان يستمر حكم باتيستا زمنا اطول ، الا ان الشعب اخيرا كان سينتصر ، وانه كان بالامكان ان ينتصر غيفارا لو ان بعض الظروف المؤاتية ساعدته .

غيفارا في يومياته في بوليفيا يكتب متحسرا لو كان معي ٢٠٠ مقاتل فقط لاصبحت بوليفيا على ابواب النصر .

كاسترو لم يكن حين انتصرت الثورة شيوعيا او حتى ماركسيا ، وغيفارا الماركسي لم يكن لديه حزب .

ما الذي يحدد الفشل النهائي للحركة الثورية او عدمه ؟ ومتى تكون الهزيمة نهاية لمرحلة كاملة ؟

الجواب هو : استمرار القتال .. استمرار ارادة القتال . الثورة الفلسطينية منذ ايلول ٧٠ لم تتوقف عن القتال ولم تفقد ارادة القتال ، وفقط نحيل الدكتور العظم على الصفحات الاخيرة من شؤون فلسطينية او ان يقرأ نشرة الرصد الاذاعي العبري التي تصدر عن مركز الابحاث ، لان الدكتور لا يثق ببلاغات الناطق العسكري الفلسطيني ، ولهذا نكتفي باحالته على بلاغات الناطق العسكري الصهيوني .

من هنا فان الهزيمة في معركة او اكثر من المعارك الكبيرة (الجيش الاحمر الصيني ، الجيش السوفياتي) لا يمكن ان تكون هي المقياس الذي يحدد من خلاله انتهاء دور طبقة او انتهاء مرحلة

نضالية او حركة ثورية . ان دور الطبقة لا ينتهي حتى تسيطر عليها طبقة اخرى بادخال تغيير جذري على علاقات الانتاج . (او بالتمهيد لذلك عن طريق نمو قوى ثورية جذرية بديلة) .

كما ان دور الحركة الثورية لا ينتهي ولا تنتهي المرحلة النضالية ما دام القتال مستمرا . . ما دامت ارادة النضال مستمرة . وما دامت هذه الحركة هي قوة الرفض الوحيدة الشعبية والمسلحة التي تتصدى لاعداء الامة .

لقد أراد الدكتور العظم وحاول ان يدمر كل شيء وان يبعث في العقول والقلوب الشك واليأس بجدوى أي نضال او مقاومة أو حتى صمود مع الحركة الثورية الفلسطينية المسلحة لانها فشلت على كافة المستويات وفي جميع الميادين الايديولوجية والسياسية والعسكرية والتنظيمية . انه يقول : أيها المقاتل الفلسطيني المزروع في جبال الشيخ منذ ثلاث سنوات الق بندقيتك واذهب الى بيتك لتستريح لان قيادتك البرجوازية فشلت ولا فائدة هناك . .

ويا ايتها الكوادر العاملة في صفوف الثورة والمؤيدين لها في جميع أنحاء الوطن العربي والعالم اخبركم ان هذه المرحلة النضالية قد انتهت فكفوا عن العمل والنضال واستريحوا . .

ان قيام اذاعة العدو الصهيوني باذاعة كتاب العظم في حلقات تتطلب منه ان يتبعه ببيان هام الى خلايا الثورة الفلسطينية في الوطن المحتل ينصحهم فيه بحل انفسهم وبالتوقف عن توجيه ضرباتهم اللامجدية الى المحتل الصهيوني .

ان العظم يكاد يصرخ في كل سطر من كتابه :

الى الجميع كفوا عن العمل والنضال . . دعوا المنطقة هادئة ومستقرة والارض مستريحة والمناخ العام صافيا ومهيئا . فالدكتور سيزرع بذرة الحزب المباركة لتنمو في المستقبل وهذه البذرة لا تنمو الا وسط سكون شامل وصمت تام ، لان صوت الرصاص يزعجها ويمنعها من النمو ، واي تصد للهجمة المعادية هو ضجيج مزعج للمولود الجديد .

« الان يمكننا ان نقول بدون مبالغة ان حركة التحرر الفلسطينية قد **استنفدت مرحلة معينة من مراحل تطورها** وان الحصيلة المباشرة والاتية لهذه المرحلة كانت سلبية ومرة الثمار » (ص ١١) .

ثم يحدد الدكتور موعد الولادة القادمة فيقول :

« الا انه اذا اردنا للبذور الايجابية التي خلفتها هذه المرحلة ان تعطي ثمارا على **المديين المتوسط والبعيد** ، من غير النوع الذي عرفناه حتى الان ، فلا بد من طرح سؤال : لماذا استطاعت قوى الثورة العربية المضادة من **الحاق الهزيمة** بالكفاح الفلسطيني المسلح (او الثورة الفلسطينية مع ما في هذه التسمية من تجاوز) في الاردن ؟ » (ص ١١) .

واضح هنا تماما ان العظم لا يريد من دراسته وتقييمه تقديم اي نقد ايجابي للمقاومة الراهنة مما يمكن ان نسميه « نصيحة » من اجل ان يناضلوا افضل او يحددوا برامج سياسية اكثر صحة او يدعوهم للوحدة مثلا كما يفعل بعض المواطنين الطيبين . الا انه يعلن الفشل الكامل للمقاومة وهزيمتها الساحقة ، كما يعلن انتهاء المرحلة بكاملها وينصحنا ان ننتظر الى المديين المتوسط والبعيد حتى يولد الحزب . طبعا لا يمكن ان يدعو الدكتور صادق جلال العظم الجماهير الى المشاركة في بناء هذا الحزب ، لان هذه مهمة ماركسية (اكسترا) من طراز الدكتور مستعينا بالطبع ببروليتاريا المصانع العربية ! وببعض الفلاحين المستنيرين في الارياف شرط ان يكونوا مسحوقين طبقيا من الاقطاعيين العتاة ! .

بوذا الحكيم له قول مأثور : « انا لا اعرف شيئا عن سر الاله لكنني اعرف اشياء عن عذاب الانسان » .

ونحن لا نعرف شيئا عن الاحزاب التي تولد في المديين المتوسط والبعيد ، لكننا نعرف اشياء عن المؤامرة (الناضجة) الان . مؤامرة سحق وتصفية الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية .

عرفناها في ايلول عمان وتموز الاحراج .

وعرفناها في البداوي والبارد والنبطية وصبرا وشاتيلا وبرج البراجنة وتل الزعتر وضبيه وجسر الباشا .

عرفناها في نيسان الفردان ببيروت وفي أيار ، حدثنا عنها بوضوح كامل وبصدق كمال ناصر وكمال عدوان وابو يوسف ورياض عواد ومئات الشهداء والجرحى .

والغريب ايها الدكتور انصادق ان المؤامرات عموما تحاك وراء الكواليس بغموض وسرية لتفاجئنا على حين غرة الا المؤامرة التي نشهدها ونعيشها في هذه المرحلة شهودا وشهداء فهي ليست سرا فقادة العدو لا يمر يوم واحد دون ان يهددوا بمطاردة المقاومة في كل مكان لالحاق الهزيمة النهائية بها (لاحظوا ان العدو لا يصدق كلام العظم عن هزيمة المقاومة وانتهائها) كما ان مؤتمر المخابرات المركزية الاميركية الذي عقد في طهران قبل فترة قصيرة يضع على راس جدول اعماله مقاومة الثورة الفلسطينية ، والبيت الابيض الاميركي ينشىء فرعا لمقاومة الارهابيين الفلسطينيين .

امام هذه المؤامرة الامبريالية الصهيونية الرجعية الان ماذا نفعل يا دكتور ؟

هل نلقي السلاح ونستسلم ونرفع الرايات البيضاء انتظارا للحزب المهدي المخلص في المديين المتوسط والبعيد ؟

ام نقاتل وفي لهيب الكفاح المسلح يمكن للبذور الجيدة والقوية ان تنمو وتنضج ؟

يروى عن الاسبارطيين وكانوا شعبا قويا مقاتلا ان الطفل عند ولادته كان يترك بالعراء خارج البيت طوال الليل . كثيرون من هؤلاء الاطفال كانوا يموتون بسبب قسوة الطبيعة . ولم يكن الاسبارطيون يشعرون بالحزن على من يموت كانوا يقولون : هناك خلل ما في صحته وتركيبه البدني ، لو كان قويا لعاش رغم قسوة الطبيعة .

وما دمنا في مجال سرد القصص فلا بأس من استحضار مثل شعبي من بلادنا يقول : « لا بهاوش ولا بلم حجار » يعني لا يقاتل ولا يجمع حجارة للمقاتلين .

كنا نتمنى ان يكون الدكتور العظم احد هؤلاء الا انه كماركسي ! (اكسترا) ! وكثورجي من طراز نادر يرفض ان يقف متفرجـــاً ، فنراه لا يجمع حجارة فقط ويضعها في يد الاعداء (اذاعة العدو قدمت كتاب العظم في حلقات) ولكنه يشارك هؤلاء الاعداء في رجم الثورة بالحجارة .

ان الثورة التي تنهال عليها قنابل الاعداء من كل اتجاه لـــن يضيرها كثيراً ان تتساقط عليها بعض الحجارة ، لكن يهمها ان تحدد بانضبط المواقع التي ننطلق منها قذائف الاعداء .

ايلول ١٩٧٣
« شؤون فلسطينية »

رد على موضوعات « الجبهة الديمقراطية »
حول البديل الوطني لمشروع الدولة الفلسطينية

الحديث الذي ادلى به نايف الحواتمة لجريدة « النهـــار » البيروتية في عددها الصادر يوم ١٧ آب ١٩٧٣ حول موضوع « الدولة الفلسطينية والمهمات الراهنة » حديث خطير ، وان لم يكن حديثا مفاجئا . فقد مهدت له مجلة « الحرية » بسلسلة من المقالات في اعدادها ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ والصادرة في شهري تمـــوز وآب من هذا العام حول ما اسمته « بالموقف الوطني والعملي البديل للموقف الاسرائيلي ـــ الهاشمي من موضوع الدولة الفلسطينية » . كما عادت الى تأكيده مجددا في العدد ٦٣٢ بتبنيها ونشرها للنـــداء الذي وجهته بعض شخصيات الضفة الغربية وغزة الى مجلس الامن والمطالب بانسحاب « اسرائيل » الى حدود ١٩٦٧ وبحقهم في تقرير مصيرهم وسيادتهم على اراضيهم التي أعلنوا عنها وهي الضفـــة الغربية والقدس وقطاع غزة .

هذا الموقف من « الجبهة الديمقراطية » وغير المقطوع الصلة بمجموع ادبيات الجبهة ومواقفها السياسية منذ انشائها ، اثار ردود فعل عنيفة في اوساط الثورة الفلسطينيـــة وجماهيرهـــا ممثلـــة بالاتحادات والنقابات الشعبية .

وقد شارك في الرد على هذا الموقف حتى بداية شهر ايلول : وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ، مجلة « فلسطين الثورة » ، الهدف ، الراية ، « الى الامام » ، الشرارة .

وقد ردت « الحرية » على هؤلاء جميعا بسلسلة جديدة من المقالات رفضت فيها اعتراضاتهم واتهمتهم بالتطرف اللفظي البرجوازي الصغير ، وكان قد سبق لها في العدد ٦٢٧ ان جزمت بشكل قاطع ان محرر « الى الامام » الذي رد على « الحرية » لم يقرأ المقال الذي انتقده واذا كان قد قرأه فهو لم يفهمه ، غير أن « الحرية » بعد ذلك كفت عن توجيه مثل هذا الاتهام بعد ان لاحظت ان الجميع قد قرأوا وفهموا أيضا .

ما هو موقف « الديمقراطية » ولماذا ؟

تعتقد « الجبهة الشعبية الديمقراطية » بأن شعار « الدولة الفلسطينية الديمقراطية » لا يكفي ردا على مؤامرة الدولة الفلسطينية والمشاريع الاميركية والبورقيبية ومشروع « المملكة العربية المتحدة » وموقف الزيات (١) . كما ان رفض هذه المشاريع والتمسك بهدف تحرير كامل التراب الفلسطيني كموقف استراتيجي فقط انما هو « اتجاه عدمي وكسل فكري وهرب من تحديد المهمات الراهنة » (٢) ، وتزيد الديمقراطية بأن هذا الرفض « لا يفعل شيئا سوى المساهمة دون ان يدري في الترويج للبديل « الواقعي » (الاقواس من الحرية) — على حد زعم أجهزة الاعلام الاردنية — الذي يتضمنه مشروع المملكة العربية المتحدة » (٣) ، وتؤكد بالبنط الاسود **« ان الرفض المطلق دون ان يكون مصحوبا بتقديم البديل الوطني والثوري لجماهير المناطق المحتلة ، يجعلها فريسة لدعاية وتاثير البديل الوحيد المطروح ، وهو البديل الرجعي ، مشروع المملكة المتحدة » (٤) .**

يبدو واضحا للغاية من منطق « الجبهة الديمقراطية » الحاجة الماسة للبديل الوطني والثوري والعملي والراهن في مقابل المشاريع التآمرية والمواقف الاستراتيجية الثورية العدمية !!

البديل (الوطني) ! و (الثوري) !

لا شك ان اكتشاف البديل الوطني ! والثوري ! الذي تطرحه

« الديمقراطية » يحتاج الى جهد واضح مما يتنافى مع الشروط الضرورية لاي شعار سياسي يحاول تنظيم ما رفعه وتعبئة الجماهير من حوله ، وكنا نتمنى على « الديمقراطية » ان تحدد بالضبط وبوضوح ماذا تريد ليكون مفهوما للجميع حتى لا تبقى محاكمتنا لهذه المواقف والشعارات تدور في فلك الغموض والجمل المنتقاة ، والمصاغة بمهارة فائقة ، تحاول « الديمقراطية » من خلالها ان تحتفظ لنفسها بدائرة مناورة واسعة وبخط للانسحاب في اللحظة التي تكتشف فيها — لا شك انها تكتشف الان — رفض الجماهير والثورة لهذه الاطروحات .

تنطلق « الجبهة الديمقراطية » من مقدمة صحيحة تقول بانه لا بد من « برمجة مهمات النضال بحلقاته المتتابعة محددة الحلقة المركزية في كل مرحلة من مراحل الصراع ضد العدو القومي الصهيوني الامبريالي » (٥) فما هي المهمات الراهنة والحلقة المركزية في هذه المرحلة كما تراها الديمقراطية ؟

« ان المهمات الراهنة والمباشرة تتلخص تحديدا في طرد الاحتلال ودحر الحضور الرجعي الاردني في الاراضي المحتلة وانتزاع حق تقرير المصير لشعبنا بعد دحر الاحتلال » (٦) . علينا ان نلاحظ ان الحديث يدور عن طرد الاحتلال ودحره وبالتحديد عن الضفة والقطاع كما سيتضح بعد قليل .

« ومن مواقع تقرير المصير يناضل شعبنا لتصحيح العلاقة وتجديدها بين الشعبين الفلسطيني والاردني في ظل سلطة وطنية ديمقراطية تستند الى المساواة الاقليمية بين الشعبين وتعترف بالحقوق الوطنية الراهنة للشعب الفلسطيني لمتابعة نضاله المسلح والجماهيري ضد دولة اسرائيل على درب تحرير كامل التراب الوطني » (٧) . **التسلسل الزمني** هنا هام جدا : اولا يتم طرد الاحتلال ، بعد ذلك ومن مواقع تقرير المصير ، تعاد وحدة الشعبين والضفتين مع غزة ، ثم تأتي الخطوة الثالثة **زمنيا** في مواصلة النضال ضد « اسرائيل » على درب تحرير كامل التراب الوطني . هذا هو (الكشف) ! العظيم « للديمقراطية » وهذه هي الحلقة المركزية

والمهمة المباشرة والراهنة على حد تعبيرات « الديمقراطية » الجميلة .

لا نريد ان نستبق النتائج ونصف هذا الطرح بانه خاطىء وغير عملي وليس له علاقة بالواقع حتى لا نتهم بالعدمية والكسل الفكري ، وسنبذل جهدنا لكي ننشط فكريا ونكون موضوعيين ونسأل :

كيف يتم طرد الاحتلال ؟

تقول « الحرية » بالحرف ما يلي : « **واذا تمكنت جماهير الارض المحتلة من دحر الاحتلال وهزيمته عبر النضال المسلح والجماهيري ،** فان العودة للرضوخ تحت نعال حكام عمان هو وهم كبير لا يمكن ان يتحقق وستناضل هذه الجماهير مجددا ضد **عودة** السلطة الرجعية الهاشمية للتحكم في رقاب الشعب » (٩) (التأكيد من عندنا) . يا لروعة التحليل ووضوح الرؤيا .. ان جماهير الضفة الغربية وغزة بعد ان تكنس بالقوة اسرائيل من اراضيها وعبر النضال المسلح ستمنع السلطة الهاشمية من العودة .. رائع !

على المرء ان يقف على راسه هنا حتى يرى بوضوح . فنحن نعتقد بتواضع ان مثل هذا الدحر للاحتلال وهزيمته يحتاج الى حرب شعبية عربية شاملة تجند فيها كل طاقات الامة العربية وجيوشها وامكانياتها ، ومن أجل هذا نناضل ، ونرجو من رفاقنا في الديمقراطية الا يتهمونا بعدم الثقة بجماهير الضفة الغربية وقطاع غزة لاننا سنرفض هذه التهمة سلفا .

نايف الحواتمة في اجابته على سؤال كيف يتم طرد الاحتلال يبدو اكثر رصانة ، فيضيف الى النضال **الجماهيري** المسلح الذي يصفه بالنهوض العارم « وفي ظل هزيمة عسكرية تلحق باسرائيل وتأتي نتيجة اختلال في موازين « القوى » (١٠) .

الان نستطيع ان نتفاهم .. اذن هي مسألة هزيمة عسكرية وموازين قوى طبعا بالاضافة الى النهوض العارم .

لكن من سيوقع الهزيمة العسكرية باسرائيل بحيث تتحدد نتيجتها بمناطق محررة في الضفة الغربية وقطاع غزة ؟ نعتقد بأن نايف الحوامة يعني الجيوش العربية لانه يتحدث عن « اختلال موازين القوى في المنطقة » (١١) وليس في الاراضي المحتلة ، كما يتحدث عن هزيمة عسكرية وليس عن حرب شعبية . كما ان الحديث يقتصر على الضفة الغربية وغزة فقط دون ذكر للجليل الاعلى أو حيفا . نستطيع ان نكتشف شيئا جديدا هنا (اذا كنا قد نشطنا فكريا) وهو ان موازين القوى لها علاقة بالوضع الدولي والامم المتحدة ومشاريع التقسيم (نرجو ان لا نكون قد نشطنا أكثر مما يجب) .

(الوثيقة) !

علينا ان نتوقف قليلا لنعاود مسك خيط جديد لفهم موقف الديمقراطية تماما دون ان تتهمنا بعدم القراءة او بعدم الفهم ، لان هذا الموقف يكشف بوضوح مهمات « الديمقراطية » الراهنة وحلقتها المركزية .

ماذا تقول الوثيقة ؟

« السيد رئيس مجلس الامن .

السيد سكرتير عام هيئة الامم المتحدة .

يعلن سكان الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة رفضهم للاحتلال الاسرائيلي لبلادهم . ويؤكدون رفضهم لجميع الاجراءات التي اتخذتها السلطات المحتلة لتغيير معالم البلاد وكيانها السكاني والجغرافي .

ويطالبون بانهاء الاحتلال بجميع صوره . ويطالبون بحقهم في تقرير مصيرهم وسيادتهم على أراضيهم .

هذه الحقوق التي اكدتها قوانين وشرعة وقرارات الامم المتحدة واجهزتها المختلفة .

وبمناسبة بحث قضيتنا في جلسة مجلس الامن الجارية نؤكد

مطالبتنا بحقوقنا ونناشد الضمير العالمي الوقوف الى جانب الحق والعدل » (١٢) .

« الجبهة الديمقراطية » تبنت هذا النداء الذي وجهته بعض الشخصيات المعروفة في الارض المحتلة ومن بينهم أنور الخطيب وحمدي كنعان ومعزوز المصري وعدد كبير من رؤساء البلديات . ونحن هنا لا نريد ان نتحدث عن جدوى او عدم جدوى مثل هذه النداءات ، وفيما اذا كانت تمثل احد اشكال النضال السلبي ام لا . الا اننا يجب ان نوضح بحزم ان هذا النداء لا يمكن ان يعبر عن موقف الثورة الفلسطينية وبرنامجها السياسي لانه :

اولا : ان الموقعين على النداء ليسوا ممثلي الشعب الفلسطيني لا باسمائهم ولا بمواقعهم . وان الثورة الفلسطينية هي الممثل الوحيد لهذا الشعب .

ثانيا : ان اصحاب هذا النداء قد حددوا بلادهم بالضفة الغربية والقدس وقطاع غزة ، وبلادنا هي كل فلسطين .

ثالثا : ان النداء يقول ان حقهم في تقرير مصيرهم وسيادتهم على اراضيهم (السابقة) قد اكدتها قوانين وشرعة وقرارات الامم المتحدة واجهزتها . وهذه القرارات تعترف جميعها « باسرائيل » سواء قرار التقسيم لعام ٤٧ او قرار ٢٤٢ لعام ٦٧ .

هذا النداء الذي تبنته « الديمقراطية » وصفه نايف الحواتمة بانه « وثيقة القوى الوطنية والنقابية والاجتماعية في الاراضي المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة) » (١٣) . كما وصفه « بالموقف الذي يلبي مطالب شعبنا الوطنية ومصالحه في المرحلة الراهنة ويضع حدا فاصلا بين الثوريين الفلسطينيين المنخرطين حقا في صفوف شعبهم والمناضلين في مقدمته وموقف الاتجاهات العدمية الفلسطينية التي تكتفي بطرح الشعارات الاستراتيجية التاريخية العامة . . . » (١٤) .

ملاحظة :

المعروف ان « اسرائيل » تقوم بسجن او طرد كل من يرفع

شعارات استراتيجية تاريخية وعامة ولا تجد مانعا من ان يكون اصحاب هذا النداء (من الثوريين ! المنخرطين في صفوف شعبهم) رؤساء بلديات مثلا . (نشاط فكري مذهل للديمقراطية بحيث تقوم بتعيين معزوز المصري وحمدي كنعان وانور الخطيب بوظيفة واضعي الحدود الفاصلة بين الثوريين والعدميين) ★

نايف الحراتمة لا يكتفي بكمية الحبر التي نثرها على الوثيقة ! فيسارع الى وصف الموقعين على الوثيقة بأنهم « من ممثلي شعبنا المناضل » (١٥) .

« الحرية » لا تقبل بتعبير « من ممثلي شعبنا » فتنشر الوثيقة بمانشيت عريض يقول :

ممثلو جماهير المناطق المحتلة يصدرون وثيقة هامة (١٦) .

كما تصف اصحاب هذه الوثيقة بأنهم « ممثلين بارزين لمختلف الطبقات الوطنية » (١٧) . تأملوا : ممثلون ! وبارزون ! لمختلف الطبقات !! (خاصة طبقة الفلاحين والبروليتاريا) ووطنية ايضا ! (ما راي الديمقراطية لو وصفناهم بنصف وطنيين فقط ما داموا يطالبون بنصف الوطن فقط — مجرد اقتراح —) . للتذكير فقط ، ان « نايف حواتمة » قد قال في العدد الخامس من « شؤون فلسطينية » ان حمدي كنعان قد وجه نداء لرؤساء البلديات تسهيلا لاعلان دولة فلسطينية في ظل الاحتلال .

هذا هو اذن الموقف الوطني والثوري البديل الذي تطرحه الديمقراطية ، وهؤلاء هم الذين سيتولون القيام بعملية النهوض العارم وقيادة الجماهير المسلحة لدحر الاحتلال وهزيمته (بالمناسبة ما هي اخبار الحزب الماركسي البروليتاري والقيادات الجذرية والثورية والطبقات صاحبة المصلحة بالثورة ، والطبقات التي سقط

★ واضح ان الحديث هنا يتناول رؤساء البلديات عام ١٩٧٣ — تاريخ نشر هذا المقال ، والذين رفضوا الاستجابة لقرار الثورة الفلسطينية بمقاطعة الانتخابات البلدية .

دورها التاريخي .. الكمبرادور والشرائح البرجوازية الخ .. الخ) . ربما ستحتج « الديمقراطية » هنا قائلة باننا لم نقل بأن هؤلاء هم الذين سيقودون شعبنا ويتولون احداث النهوض العارم والمسلح لديه ، وانما هم مشاركون فقط في مرحلة التحرر الوطني . هنا يمكننا ان نلتقي لكن بشرط ان تسحبوا ما قلتموه من انهم ممثلون لجماهيرنا وبارزون ايضا ومعبرون عن مطالب ومصالح شعبنا ، لان شعبنا مع تحرير كل وطنه ، وليس فقط مع تحرير الضفة والقطاع .

نعود الان الى الهزيمة العسكرية التي ستلحق باسرائيل وتطردها من الضفة والقطاع (لماذا فقط الضفة والقطاع ؟) لنعود بعدها فنصوغ وحدة الشعبين والضفتين ومن ثم نواصل تحرير كامل التراب الوطني .

قبل ان نتحدث عن امكانية الحاق هزيمة عسكرية نظامية بالعدو الصهيوني سنستعين بحديث « نايف حواتمة » حول عدم امكانية شعب فلسطين وحده على الحاق الهزيمة بالعدو لان هناك « حقيقة قائمة تؤكد بان الصراع بين شعب فلسطين وبين اسرائيل المدعومة من قوى الامبريالية يقوم فعلا على قانون غير متكافىء ، وبالتالي فان امكانية شعب فلسطين وحده على الحاق الهزيمة باسرائيل والامبريالية امكانية غير واقعية ، حتى لا نغرق في سلسلة من الاوهام المثالية او من عمليات التبشير الديماغوجية في صفوف شعبنا وفي المنطقة » (١٨) . موافقون . اذن النهوض العارم في الضفة والقطاع لا يكفي لالحاق الهزيمة باسرائيل ما دام شعب فلسطين بمجموعه لا يستطيع ذلك .. في هذه الحالة نرجح ان حديث مجلة « الحرية » عن امكانية الحاق هذه الهزيمة بالنضال المسلح والجماهيري مسالة غير واردة ، مما يؤكد ما ذهبنا اليه ان الهزيمة العسكرية التي ستلحق باسرائيل والتي تحدث عنها نايف حواتمة للنهار هي هزيمة عسكرية عربية نظامية . لنواصل اذن ..

هل تستطيع الجيوش النظامية العربية في المرحلة الراهنة (المهمات التي تطرحها الديمقراطية راهنة كذلك : ايقاع الهزيمة بالعدو .. وحدة الضفتين .. مواصلة النضال) ا تلحق الهزيمة بالعدو الصهيوني المدعوم من الامبريالية ؟

نحن نقول لا يمكن ان يتحقق ذلك قبل ان تحدث تغييرات جذرية في البنى السياسية والاجتماعية والعسكرية للواقع العربي ، والتي تسهم الثورة الفلسطينية في احداثه في نضالها الراهن ، وعلى حد علمنا ان « الديمقراطية » تتفق معنا بهذا الراي او هكذا كانت . لنسمع حديث نايف الحواتمة « لشؤون فلسطينية » في نهاية عام ١٩٧١ : « كان مطروحا على جدول اعمال المقاومة طبيعة العلاقة مع انظمة البرجوازية الجديدة . وبتعبير ادق تحديد موقف من برنامج هذه الانظمة لحل مشكلة الصراع العربي ـ الاسرائيلي الذي تبلور بهزيمة حزيران . فقد اصرت هذه الانظمة على الاحتفاظ بكامل برامجها التي كانت قائمة قبل الهزيمة والتي قادت اليها » (١٩) . وفيما يتعلق بالجيوش والحرب النظامية يحدد نايف الحواتمة موقف هذه البرامج بأنها « الاعتماد على حرب الجيوش النظامية فقط (العلاقات الداخلية فيها تقوم على المراتب الطبقية والبيروقراطية ومطاردة الثقافة السياسية الثورية بين الجنود والضباط) وترفض تسليح الجماهير ... » (٢٠) . سنكتفي هنا بهذه الشواهد حول موقف « الديمقراطية » من انظمة البرجوازية الصغيرة التي سقط دورها التاريخي كما سقطت برامجها وقياداتها مع هزيمة حزيران كما تؤكد كل أدبيات « الجبهة الديمقراطية » .

اذا كان النهوض العارم في الضفة والقطاع لا يكفي لالحاق الهزيمة بالعدو ، واذا كانت الجيوش النظامية الراهنة غير قادرة على الحاق الهزيمة به كذلك ، فكيف يتم تحرير الضفة والقطاع ليصير بعد ذلك الى اعادة صياغة وحدتهما مع شرق الاردن على اسس ديمقراطية ؟ نايف الحواتمة في حديثه « للنهار » اضاف للعاملين السابقين (النهوض العارم ، والهزيمة العسكرية) اختلال موازين القوى في المنطقة . لا نظن ان نايف الحواتمة يعني اختلال موازين القوى العسكرية بين الجيوش العربية وجيش العدو ، الا اذا كان يعتقد ان « اسرائيل » المدعومة من الامبريالية ستبقى تتفرج على الجيوش العربية تنمو وتقوى لتلحق الهزيمة بها بعد ذلك ، ولا نظن ان نايف الحواتمة يفكر بهذه الكيفية ، والارجح والمنطقي ان المعني بموازين القوى ، القوى السياسية تحديدا ، وليس هنا في المنطقة فذلك خاضع للقوى العسكرية وانما موازين القوى الدولية ، وهذا فقط على اي حال ما يحفظ لمنطق « الديموقراطية » الشكلي بعض

تماسكه ، والذي يمكننا صياغته كما يلي بالاذن من « الديمقراطية » : ان يحدث في الارض المحتلة (القطاع والضفة) مجموعة تحركات سياسية (على طريقة اصحاب الوثيقة) ! بالاضافة الى عدة عمليات فدائية ومناورات عسكرية عربية نظامية . ثم ، تدخل دولي لايجاد حل يعطي الفلسطينيين دويلة في بعض مناطق الضفة والقطاع . . هذا في تقديرنا وتصورنا ما تفكر « الديمقراطية » بأن يحدث في المرحلة الراهنة التي تتحدث عنها . ★

« الديمقراطية تعتقد ان موافقة الثورة الفلسطينية على كل ذلك ورفعها لشعارات سياسية تتفق مع هذه التصورات هو الحل والمخرج للنضال الفلسطيني في مرحلته الراهنة . غير اننا اذا طرحنا جانبا مسألة النهوض العارم والهزيمة العسكرية العربية « لاسرائيل » والمستحيلة في المدى القريب ، فان موازين القوى الدولية والتدخل الدولي هو القوة الحقيقية التي يمكن ان تفعل او تغير شيئا على الخريطة الجغرافية للاحتلال . واللعبة الدولية ، كما تعرف « الديمقراطية » جيدا ، لها شروطها المعروفة في ظل هيمنة قوى الامبريالية والصهيونية في المرحلة الراهنة ، والدخول في هذه اللعبة ومحاولة كسب انصار (دوليين) يتطلب الموافقة على قرار التقسيم لعام ٤٧ او قرار ٢٤٢ لعام ٦٧ ، ويمكن (التنظير) ! مستقبلا لذلك ايضا بحكاية الحقوق الراهنة والحقوق التاريخية ، وبقية الاسطوانة معروفة بحيث يصبح الموقف السياسي الفلسطيني نسخة كربون عن الموقف السياسي الرسمي العربي الراهن والمعروف ، مهما غطي هذا الموقف بالشعارات اليسارية ! وبالجمل الطنانة عن تحرير كامل التراب الفلسطيني .

البرنامج السياسي ووحدة الضفتين !!

ان هذا الموقف من « الديمقراطية » سيعني ، موضوعيا ومهما كانت النوايا ، الاعتراف الفلسطيني بوجود الاحتلال على جزء من تراب الوطن في المرحلة الراهنة — اللهم لا تعسف — وموقف « الديمقراطية » هذا يؤكده الاصرار الغريب على طرح حكاية وحدة

★ هذا المقال نشر قبل حرب تشرين ١٩٧٣ بحوالي اسبوع .

الضفتين ، لنحصل بالنتيجة على « مملكة متحدة » بدون ملك الى جانب دولة الاحتلال الصهيوني ، وتحاول « الديمقراطية » ان تختفي وراء نص في البرنامج السياسي لمنظمة التحرير لتغطية موقفها الجديد والمناقض لموقف الثورة الفلسطينية . ومن خلال هذا النص تحاول ايضا تمرير مجموع موقفها السياسي .. اكثر من ذلك تحاول من خلاله ارهاب الجميع واتهامهم بالخروج عن البرنامج السياسي ، وبأنها وحدها المتمسكة به « ان الجبهة الشعبية الديمقراطية سوف تسجل لدى الاعلام الموحد احتجاجها على اقدام بعض العناصر في جهاز الاعلام على التعبير عن آرائها الخاصة التي تخرج عن البرنامج السياسي لمنظمة التحرير » (٢١) . اكثر من ذلك فان تعليق (وفا) الذي رد على مجلة الحرية « يتناقض بوضوح في خطه ومضمونه السياسي مع نص البرنامج السياسي وروحه . وان الجبهة ستطلب بوضع حد حازم لمثل هذه التجاوزات العابثة التي لن ينجم عنها سوى بث البلبلة والانقسام في صفوف الثورة والشعب » (٢٢) .

وتورد « الحرية » في ردها النص الذي يدل بوضوح على ان موقف الديمقراطية منسجم مع البرنامج السياسي : « اقامة حكم وطني ديمقراطي في الاردن يخلق المناخ الملائم لمواصلة النضال من اجل تحرير كامل التراب الفلسطيني ويؤمن صون السيادة الوطنية للشعبين الاردني والفلسطيني ويضمن تجديد وتصحيح وحدة الضفتين على اساس المساواة الوطنية الكاملة بين الشعبين بما يؤمن كامل الحقوق الوطنية التاريخية للشعب الفلسطيني والحقوق الوطنية الراهنة للشعبين » (٢٣) .

اذا كانت الجبهة الديمقراطية تريد أن تنفرد بموقف خاص حول مسالة الدولة الفلسطينية والتحرير ، فهذه قضية لها حديث ولها حساب ايضا ، لكن ان تلجأ الى اتهام الجميع بالخروج عن البرنامج السياسي وبانها وحدها المتمسكة به ، فاننا نعتقد ان في ذلك درجة نادرة جدا من الجراة .

لقد اوضحنا سابقا بما فيه الكفاية الموقف الذي اعلنته « الديمقراطية والتسلل الزمني لمهماتها الراهنة .. النهوض فالتحرير

(ضفة وقطاع) فاعادة الوحدة مع شرق الاردن فمواصلة النضال . وكان هذا الموقف واضحا من خلال تبني « الجبهة » للوثيقة ! والرهان على الهزيمة العسكرية ! وموازين القوى !! فهل هذا هو موقف الثورة الفلسطينية كما حدده البرنامج السياسيي ؟ ان النص الذي اوردته « الحرية » يتحدث بوضوح قاطع عن ترتيب زمني مختلف ، فهو يحدد اولا اقامة الحكم الوطني الديمقراطي في الاردن من اجل مواصلة النضال لتحرير الوطن ، ولا يتحدث عن سلطة سياسية او تحرير للضفة والقطاع يمنع حكام عمان من العودة للتحكم برقاب الشعب كما تقول « الحرية » .

لقد اكدنا سابقا على اهمية التسلسل الزمني ، لانه يفضح بقوة الخلل في تفكير الديمقراطية وفي فهمها للمهمات واولوياتها . هذه النقطة بالتحديد يؤكدها البرنامج السياسي في مقدمته التي تقول « ان الساحة الاردنية تتميز عن اية ساحة عربية اخرى بالنسبة للثورة الفلسطينية وقضية تحرير فلسطين ، فهي تتشكل من اغلبية فلسطينية لها حقوق وطنية فيه ، بالاضافة الى حقوقها العامة وتشكل هذه الاغلبية جزءا رئيسيا من الشعب الفلسطيني **لا مجال للحديث عن كفاح مسلح ضد العدو الصهيوني بدونها** (. . .) الامر الذي يجعل مسألة اقامة حكم وطني ديمقراطي تلعب دورا حاسما في كسر طوق الازمة **ويشكل ضرورة استراتيجية في تحرير فلسطين** » (٢٤)كما يؤكد البرنامج السياسي بأن له اربعة محاور يرتكز عليها في هذه المرحلة . ويحدد المحور الثاني منها كما يلي « لحم نضال شعبنا بنضال الشعب الاردني الشقيق في جبهة تحرير اردنية فلسطينية تقوم فضلا عن مهامها على الساحة الفلسطينية ، بالنضال لاقامة حكم وطني ديمقراطي في الاردن » (٢٥) .

ويحدد البرنامج السياسي كذلك الموقف الحازم من الحلول الوسطية ومن مشاريع البدائل في اطار تمسكه بهدف التحرير الشامل « النضال ضد عقلية التسوية وما تفرزه من مشروعات تستهدف قضية شعبنا في تحرير وطنه أو مسخ هذه القضية بمشروعات الكيانات **او الدولة الفلسطينية على جزء من ارض فلسطين والتصدي لهذه المشروعات** بالكفاح المسلح وبالنضال السياسي الجماهيري

المرتبط به » (٢٦) (التشديد في طبعة البرنامج) . واضح من نص وروح البرنامج السياسي ، الموقف من مسألة الدولة الفلسطينية ومن مسألة البديل الوطني ! والثوري ! ومن وثيقة ! ممثلي جماهير الارض المحتلة . ولهذا فنحن ندصح « الديمقراطية » ان تلعب بعيدا عن البرنامج السياسي وان تبحث عن اي برقع آخر تتستر به ، اما أن تجتزىء نصا يتعلق بمهمات الجبهة الوطنية الاردنية ــ الفلسطينية يعالج مسألة الشرخ الاقليمي الطارىء بعد ايلول فهذا هو العبث بعينه ، ليس بروح البرنامج السياسي فقط ، وانما بنصه ايضا وهذا لا يقود الا الى البلبلة والانقسام .

مشروع الديمقراطية ومشروع الملك

تعترف « الجبهة الشعبية الديمقراطية » بأن شعار تجديد وحدة الضفتين على اساس وطني ديمقراطي » هو « مشروع المملكة المتحدة ولكن بدون نظام الملك وسياسته الاستسلامية . لان المشروع بعد ذلك يتضمن الاعتراف الجزئي بالشخصية المتميزة والحقوق المتميزة لشعب فلسطين (...) ولان هذا الاعتراف يشكل بلا شك اعترافا عمليا وفعليا » (٢٧) .

ولكن هل رفض الثورة الفلسطينية لمشروع المملكة المتحدة بسبب وجود الملك حسين فقط ام لانه بالفعل مشروع اما خياني واما خيالي ؟ خياني اذا تم بصفقة مع العدو الامبريالي والصهيوني ، وخيالي لاستحالة اقامة سلطة سياسية وطنية ثورية على مناطق محررة في الضفة والقطاع بمواصفات الديمقراطية وفي مرحلتها الراهنة (سنناقش هذه القضية بعد قليل) . غير ان « الديمقراطية » لا تسمح برفض هذا المشروع الذي يحقق الاعتراف الجزئي بالشعب الفلسطيني . واكثر من ذلك ، فان « الاحتجاج على هذا الاعتراف حتى بدون نظام الملك حسين لا يعني سوى العداء المطلق لاي نضال من أجل الحقوق الوطنية لشعب فلسطين ، الا اذا تم دحر اسرائيل دحرا كاملا » (٢٨) . علينا ان نكون في غاية الانتباه والحذر والا وجدنا انفسنا فجأة اعداء للجماهير ونضالها وحقوقها ولهذا نسأل « الديمقراطية » ان تخبرنا ما هي هذه الحقوق ، التي يصبح عدوا

للجماهير من يحتج عليها ؟

« ان الحقوق الوطنية المباشرة لشعبنا في المناطق المحتلة تتضمن :

١ ــ **طرد** الاحتلال ٢ ــ احباط مشروع المملكة المتحدة وسائر سياسات وتدخلات النظام الهاشمي ٣ ــ انتزاع **حق تقرير المصير** للشعب الفلسطيني **في المناطق المحتلة** » (٢٩) .

يمكننا الان ان نتنفس .. ونمد ارجلنا ، لان كل ما تقوله « الديمقراطية » لا يخرج في احسن حالاته واكثرها براءة عن فهم مغلوط وخاطىء للواقع وامكانياته وتوازناته في المرحلة الراهنة وفي مقدمة ذلك كله عملية التسوية السياسية الدولية التي ترفض الديمقراطية ان تعترف بوضوح ، وهذا هو الغريب ، بأنها تضعها في الحساب وبأنه من خلال جماهير الضفة والقطاع ونضالهم المسلح يمكن طرد الاحتلال واقامة السلطة السياسية التي تعيد تجديد الوحدة بين الشعبين والضفتين من خلال « تنظيم وتعبئة النضال الجماهيري والمسلح داخل المناطق المحتلة من اجل طرد الاحتلال » (٣٠) . (في هذه النقطة هناك كما يبدو خلاف بين ما طرحه نايف في النهار وبين ما تقوله الحرية) .

تعتقد « الجبهة الشعبية الديمقراطية » بانها من خلال استخدام الكلمات النارية : ــ طرد ، احباط ، انتزاع ، نضال جماهيري مسلح ، يمكن ان تبدو صاحبة موقف ثوري ، وبأنها حين تستخدم تعبير : مواصلة النضال لتحرير كامل التراب الفلسطيني تظهر تمسكها بالبرنامج السياسي للشعب الفلسطيني ، وان ما تفعله هو فقط طرح مهمات مرحلية ومباشرة ، للنضال من اجلها وللرد على المشاريع المختلفة ببدائل وطنية ! وثورية !

المشروع المستحيل

قلنا سابقا ان مشروع « الديمقراطية » مشروع اما خياني اذا تم بصفقة مع العدو او ضمن لعبة دولية ، واما خيالي لانه مستحيل

التحقيق في المرحلة الراهنة ، ولان « الديمقراطية » تتحدث عن الطرد والانتزاع والتحرير الكامل وليس عن صفقة فاننا سنحاكم المشروع باعتباره مشروعا خياليا فقط في ظل موازين القوى الراهنة .

ان مشروع طرد الاحتلال من الضفة والقطاع وانتزاع حق تقرير المصير واعادة تجديد الوحدة بين الضفتين في ظل حكم وطني ديمقراطي ومواصلة النضال لتحرير فلسطين ، كلام يتضح من خلاله ملامح لخريطة سياسية وحدود جغرافية وسلطة سياسية فوق خريطة محددة في المرحلة الراهنة .

ان مسألة تثوير الضفة والقطاع وتنظيم الجماهير وتسليحها (وهذه عملية سابقة لطرد الاحتلال) تحتاج اولا الى قاعدة ارتكازية يتم من خلالها التثوير والتسليح . هذه القاعدة موضوعيا الان هي شرق الاردن ، وهذا يعني ان الحلقة المركزية في هذه المرحلة والمطلوب حلها هي اسقاط النظام الاردني واقامة الحكم الوطني الذي يجعل من الاردن قاعدة للثورة ومنطلقا للتحرير . وقد حدد البرنامج السياسي لمنظمة التحرير هذه النقطة بوضوح :

« ١ ــ تعبئة وتنظيم الجماهير من اجل اقامة حكم وطني ديمقراطي في الاردن (....) تحقيق حرية الثورة الفلسطينية في العمل في الاردن ومن الاردن واقامة قواعدها على ارضه (...) وتوفير الحماية الجماهيرية للمقاتلين المنطلقين من والى غرب النهر » (٣١) .

وحتى مؤتمر الجبهة الشعبية الديمقراطية الذي عقد في تشرين الاول ١٩٧١ قد اكد هذه القضية « ان حل مشكلة الضفة الشرقية هو **الحلقة المركزية** في مهمات الثورة الراهنة حتى تتمكن من تنظيم وتطوير الكفاح ضد العدو الصهيوني » (٣٢) .

كما يؤكد المؤتمر على « ان قدرة الثورة على متابعة النضال على طريق الهدف الاستراتيجي البعيد المدى (تحرير التراب الوطني) مرهون الى حد كبير بانجاز هذه المرحلة الوسيطة الراهنة وهي حل

مشكلة « الوضع الرجعي » بالضفة الشرقية لنهر الاردن » (٣٣) .

ان مسألة اقامة الحكم الوطني في الاردن اذن هي مسألة سابقة زمنيا على عملية طرد الاحتلال بواسطة جماهير الضفة والقطاع (مجتمع صهيوني عسكري تعداده قريب من الثلاثة ملايين متفوق بما لا يقاس عسكريا وتكنولوجيا ، ومدعوم من الامبريالية في مقابل حوالي نصف مليون فلسطيني في الضفة والقطاع بدون سلاح وبدون قاعدة ارتكازية تؤمن هذا السلاح لهم) .

ان وجود هذا الحكم الوطني في الاردن يعني ان تشارك جماهيرنا في القتال التحريري الشعبي الى جانب جماهير الارض المحتلة (فلسطين) .

السلطة السياسية

هنا نصل الى نقطة الخلل والخطورة الاساسية في تحليل « الديمقراطية » ، ان جماهيرنا في الاردن وفلسطين وهي تخوض غمار حربها التحريرية الشعبية المسلحة قد تتمكن من تحرير بعض المناطق ، افتراضا (نحن نختلف مع هذا التصور استراتيجيا لان عملية تحرير المناطق تحتاج الى حرب الشعب العربية وامكانياتها العسكرية والاقتصادية وهذه قضية ليست موضوعنا الان) ، لتقيم عليها سلطتها السياسية الثورية . هنا تبدو المسألة عادية . فقد نقيم سلطتنا فوق اريحا او نابلس او غزة ، وفي هذه الحالة قد يكون الاحتلال الصهيوني لا زال في جنين وعلى ضفة نهر الاردن ، ولهذا فلا مجال للحديث عن طرد الاحتلال من الضفة والقطاع تحديدا ، كما اننا سيرا مع افتراض « الديمقراطية » قد نحرر الجليل الاعلى وهو منطقة عربية او حيفا . . المهم ان الجماهير المسلحة خلال حربها التحريرية تقيم سلطتها السياسية على اية مناطق تحررها . لكن حين نسارع الان الى الحديث عن سلطة سياسية في الضفة والقطاع تعيد تجديد الوحدة مع الضفة الشرقية ، فاننا هنا نكون قد دخلنا تماما في التقسيم الدولي لفلسطين (قرار التقسيم لعام ٤٧ او قرار ٢٤٢ لعام ٦٧) ويكون حديثنا عن هذه المناطق فقط في المرحلة الراهنة اعترافا موضوعيا بوجود الاحتلال فوق حدود الـ ٤٨ .

ان المطالب الراهنة التي تطرحها « الديمقراطية » تتم على حساب الهدف الاستراتيجي للثورة ، وهذه بالضبط هي الانتهازية اليمينية رغم كل صخب الالوان الحمراء ، ورغم كل ضجيج الطرد والانتزاع والنضال والتحرير الشامل .

وعلى جميع الثوريين ان يرفضوا بحزم هذه السياسات وهذه المواقف خاصة لانها تنطلق من داخل معسكر الثورة الفلسطينية ومن مواقع (يسارية) ! وهذا ما تحرص على تحقيقه كل القوى المعادية للثورة : « تنظيم معارضة داخل المعسكر الثوري لايقاف الثورة بجميع الوسائل في منتصف الطريق » (٣٤) .

ان الخيار المطروح على كل الثوريين الفلسطينيين والعرب في الرد على مؤامرات القوى المعادية ومشاريعها ليس طرح البدائل الوسطية ، وانما التمسك بالبرنامج الثوري الفلسطيني الذي يطرح الاعداء مشاريعهم لاجهاضه . « ان المطلوب هنا تحقيق الاجماع والتعاون وليس تشكيل « معارضة » او اتباع « طريق وسط » (٣٥) .

المهمات الراهنة والحلقة المفقودة

تعتقد « الديمقراطية » ان المشكلة في الساحة الفلسطينية هي في عدم المقدرة على اكتشاف المهمات الراهنة والحلقة المركزية ، وان كشفها لهذه الحلقة هو الذي ينقذ النضال الفلسطيني الراهن . ويبدو ان هناك عملية خلط واضحة في ذهن « الديمقراطية » حول معنى المهمات الراهنة والهدف الاستراتيجي والحلقة المركزية والتكتيكات السياسية الخ .. الخ .

ان الثورة عند انطلاقتها تحدد على ضوء تحليلها للواقع اهدافها وتبني استراتيجيتها السياسية والعسكرية على ضوء هذه الاهداف ، وتخوض آلاف المعارك التكتيكية (سياسية وعسكرية) في خدمة خطها الاستراتيجي وباتجاه تحقيق اهدافها . وخلال المسيرة الثورية قد تضطر الثورة الى تغيير تكتيكاتها عشرات المرات ، الا انها تظل

دائما محافظة على خطها الاستراتيجي واهدافها العامة ، ما لم يطرأ تغير نوعي على اطراف التناقض .

اما عملية ظهور تناقض عدائي جديد لا بد من حله مع بقاء اطراف التناقض الرئيسي كما هم ، فان الثورة هنا تكون في مواجهة حل الحلقة المركزية التي تعترض طريق العمل لحل التناقض الرئيسي .

على ضوء واقعنا الراهن ، فان التناقض الرئيسي هو تحديدا بين الشعب الفلسطيني والامة العربية من جهة وبين الاحتلال الصهيوني المدعوم من الامبريالية والعملاء الرجعيين في الجهة المقابلة . وهذا التناقض لا يزال دون تبدل نوعي حتى الآن ، ومن هنا طرحت الثورة الفلسطينية هدف تحرير الوطن المحتل وتبنت استراتيجية حرب الشعب ، وخلال صراعها مع العدو الصهيوني ظهر تناقض عدائي هو النظام الاردني ، فشكل الحلقة المركزية التي على الثورة ان تحلها لمواصلة النضال باتجاه تحقيق اهدافها الاساسية مع المحافظة في نفس الوقت على استمرار النضال ضد التناقض الرئيسي .

ان ظهور الحلقة المركزية على طريق نضال الثورة الفلسطينية لا يستدعي اي تغيير في اهداف الثورة ولكنه يستدعي بقوة تكثيف الجهود ووضع الخطط لحل هذه الحلقة ، وهذا ما يمكن ان يسمى بالمهمات الراهنة للثورة . والمهمات الراهنة ليست مقصورة ايضا على حل الحلقة المركزية . ان مسألة بناء التنظيم مثلا قد تكون مهمة راهنة في مرحلة من المراحل ، كما ان بناء الميليشيا الشعبية والحفر والخندقة هي مهمات راهنة في مرحلة ثانية ، وتصعيد الكفاح المسلح او تنظيم الجماهير او تسليحها هي بدورها مهمات راهنة على جدول اعمال الثورة وعلى ضوء الاولويات التي تطرأ بين الحين والاخر .

والمهمات كذلك ليست وقفا على نوع العمل ، فقد تكون المهمات مرتبطة بالمكان ايضا وعلى ضوء الوضع السياسي وتوقعاته واحتمالاته مثل تركيز القوى والخطط على انجاز اوضاع افضل

للدفاع او القتال في لبنان او الاردن او فلسطين الخ .. الخ . وتبقى هذه المهمات جميعا تدور في فلك الخط الاستراتيجي للثورة وباتجاه اهدافها الاساسية ، وكل خلط بين الاهداف الاستراتيجية والمهمات الراهنة لا يعني سوى أحداث الاربك والبلبلة في الصفوف .

ان الثورة الفلسطينية وهي تواجه الان الهجمة الصهيونيـــة الامبريالية الرجعية في غنى عن الخوض في المعارك الجانبية ، لان علينا توجيه كل الانظار والقوى لمواجهة هذه الهجمة ، غيـــر ان « الديمقراطية » باصرارها المتكرر على فتح هذا الباب لا تترك لنا خيارا سوى الرد أملا في اغلاقه .. او اسكاته .

تشرين الاول ١٩٧٣
« دراسات عربية »

---

١ ــ مجلة « الحرية » ٢ ــ ٧ ــ ٧٣ العدد ٦٢٦ .
٢ ــ حديث نايف حواتمة للنهار ١٧ آب ٧٣ .
٣ ــ « الحرية » العدد ٦٢٦ .
٤ ــ المصدر السابق .
٥ ــ النهار ١٧ آب .
٦ ــ المصدر السابق .
٧ ــ المصدر السابق .
٨ ــ الحرية ١٦ ــ ٧ ــ ٧٣ العدد ٦٢٨ .
٩ ــ الحرية العدد ٦٢٦ .
١٠ ــ النهار ١٧ آب .
١١ ــ المصدر السابق .
١٢ ــ الحرية ١٣ ــ ٨ ــ ٧٣ العدد ٦٣٢ .
١٣ ــ النهار ١٧ آب .
١٤ ــ المصدر السابق .
١٥ ــ المصدر السابق .
١٦ ــ الحرية العدد ٦٣٢ .
١٧ ــ المصدر السابق .
١٨ ــ « شؤون فلسطينية » تشرين ثاني ١٩٧١ العدد الخامس .

١٩ ــ المصدر السابق .
٢٠ ــ المصدر السابق .
٢١ ــ الحرية ٢٠ ــ ٨ ــ ٧٣ العدد ٦٣٣ .
٢٢ ــ المصدر السابق .
٢٣ ــ البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، طبعة منظمة التحرير ــ المجلس الوطني (ص ٢٣) .
٢٤ ــ المصدر السابق (ص ١٤ ــ ١٥) .
٢٥ ــ المصدر السابق (ص ١٧) .
٢٦ ــ المصدر السابق (ص ١٨ ــ ١٩) .
٢٧ ــ الحرية العدد ٦٣٣ .
٢٨ ــ المصدر السابق .
٢٩ ــ المصدر السابق .
٣٠ ــ المصدر السابق .
٣١ ــ البرنامج السياسي لمنظمة التحرير (ص ٢٦) .
٣٢ ــ الخط السياسي العام في المرحلة الراهنة ــ الطبعة الداخلية الثالثة (ص ٦١) .
٣٣ ــ المصدر السابق (ص ٦٢) .
٣٤ ــ لنمض بالثورة حتى النهاية ــ ماوتسي تونغ ــ دار النشر باللغات الاجنبية ، بكين ، (ص ٦) .
٣٥ ــ المصدر السابق (ص ٨) .

« المرحلية » في النضال الفلسطيني
هل هي ممكنة في المرحلة الراهنة ؟

« رد على كريم مروة »

بعد حرب تشرين برزت داخل الساحة الفلسطينية بقوة ظاهرات سياسية جديدة فيما يسمى (بالحوار الديمقراطي) حول نتائج الحرب واحتمالات التسوية واهمية المشاركة او عدم المشاركة في مؤتمر جنيف وضرورة وجود برنامج سياسي جديد للثورة الفلسطينية يستجيب للمعطيات الجديدة .. الخ .. الخ .. وهذه الحوارات جميعها يمكن ان تندرج تحت عنوان : مناقشات لبرنامج مرحلي جديد للثورة الفلسطينية .

وفي الوقت الذي نؤيد فيه مشروعية الحوار ، وحق جميع الاطراف في التعبير عن وجهات نظرهم الا اننا نسجل تحفظنا على هذه الحوارات في مجلات وصحف الثورة الفلسطينية ، لاننا نعتقد ان المكان الصالح لذلك هو المؤسسات الديمقراطية الشرعية القائمة سواء في مؤتمرات التنظيمات او في المجلس الوطني الفلسطيني .. ذلك لان هذه الموضوعات اضافة الى انها ذات طبيعة تفجيرية فان النقاشات العلنية حولها تؤدي الى ارباك الجماهير وبلبلتها ، كما تؤدى الى بث الحيرة والغموض لدى الكوادر والمقاتلين ، وهذا ما نشهده الان بوضوح في صفوف الثورة والجماهير ... وحتى داخل صفوف التنظيم الواحد ، وهذا كله ليس تجاوزا خطيرا للصيغ والعلاقات التنظيمية القائمة فقط ، ولكنه يقود بالنتيجة الى تيئيس الجماهير وانفضاضها بعيدا عن الثورة كقيادة سياسية ونضالية لها .

لقد كان المفروض امام هذا المنعطف الحاد في تاريخ النضال الفلسطيني اللجوء فورا الى المؤسسات الديمقراطية ليخرج كل تنظيم اولا ومن خلال مؤتمره العام بموقف موحد ثم لتلتقي التنظيمات بعد ذلك (اللجنة التنفيذية) للخروج بصيغة موحدة او برنامج حد ادنى واخيرا لينعقد المجلس الوطني الفلسطيني للخروج ببرنامج سياسي واحد لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وعلى ضوء هذا البرنامج تجري عملية تثقيف الجماهير وتعبئتها ، كما يجري التعامل السياسي في المجالين العربي والدولي التزاما بهذا البرنامج . غير ان الامر بعد ان خرج الى العلانية بهذا الشكل المضر ، فان الصمت ما عاد مفيدا بل اصبح من المهم ان يسهم الجميع في الحوار الدائر الان ، وسنقصر مناقشتنا هنا على موضوع كريم مروة « من اجل وحدة قوى الثورة الفلسطينية حول برنامج مرحلي جديد » (شؤون فلسطينية العدد ٣١) ، وذلك لسببين :

١ ــ ان مقال الاخ كريم مروة يتضمن معظم وجهات النظر في الساحة الفلسطينية .

٢ ــ ان موقف مروة ينسجم ــ بدرجات متفاوتة ــ مع موقف غالبية الاحزاب الشيوعية العربية وموقف الاتحاد السوفياتي .

يؤكد الاخ كريم مروة بعنوان المقال حرصه « على وحدة القوى في الثورة الفلسطينية » الا انه يشترط على الفور ان تتم هذه الوحدة « حول برنامج مرحلي جديد » .. هكذا نختلف قبل ان نبدأ ، لانه بات معروفا تماما معنى المرحلية : رفع شعار الدولة الفلسطينية كهدف راهن للنضال الفلسطيني ، والذهاب الى جنيف .. غير ان علينا ان نتابع اولا ..

ومن اجل ان تتم وحدة القوى في الثورة الفلسطينية « فان من الخطأ الفادح استباق الاحداث والانفراد بالموقف قبل ان يصل الحوار الى نهايته . فان مثل ذلك سيعني عمليا ، السعي الى الانقسام كهدف بذاته » .

الانفراد بالموقف يعني الانقسام (موافقون) لكن كيف نمنع

ذلك ؟ اليس الحوار العلني الدائر الان هو انفراد بالموقف من هذا الفصيل أو ذاك .. نحن نفهم الانفراد بان تنظيما ما يطرح علنا برنامجا مرحليا للنضال الفلسطيني لم يتم الاتفاق عليه بين مجموع التنظيمات ومن خلال المجلس الوطني ..

اذا كان كريم مروة قد اضطر الى الوقوع بهذا التناقض لان الحوار العلني قد اصبح حقيقة ملموسة ولا بد من مداراة الامور ، واذا كنا سنتجاوز بصعوبة هذه النقطة فكيف يفسر مروة وكيف نتجاوز نحن حماسه الشديد للذين يحددون المواقف والبرامج المرحلية مما سيعني الانقسام ؟!

ان مهمة صياغة برنامج مرحلي للثورة الفلسطينية « عملية شاقة مشحونة بالمخاطر . ومع ذلك فقد تصدت بعض فصائل الثورة بجراة ، لطرح شعارات جديدة لهذه المرحلة محطمة بذلك صنمية الشعارات العامة ذات الطابع الستراتيجي البعيد المدى . »

بقي ان نشهد « احتفال الدفن المهيب » للشعارات الثورية العامة : ثورة حتى النصر والتحرير الكامل والكفاح الشعبي المسلح طويل المدى ، كما عبر الياس مرقص ذات مرة ، ونرفع شعارات : الدولة الفلسطينية وانتزاع النصر في جنيف ... لكن مهلا .

علينا ان ننتقل الان من موقف مروة فيما يتعلق بالوحدة ، الى البرنامج المرحلي الجديد الذي يجب ان تتم الوحدة من حوله ، وعلى الرغم من ان مروة يحاول ان يسوق آراءه متخفية ببعض آراء وتصريحات قادة المقاومة وبطريقة طرح التساؤلات والاحتمالات ، فاننا لن ندخل هذه اللعبة ، بل سنحدد الامور مواجهة وبأعلى درجة من الوضوح .

بعد ان يخلص مروة من اعتبار البرنامج السياسي الراهن لمنظمة التحرير هو « شعارات عامة صعبة التحقيق » ـــ من قال بأنها سهلة التحقيق ـــ وبأنها شعارات صنمية لا بد من تحطيمها بجراة .. اكثر من ذلك شعارات رومانسية تضعف الحماس الوطني .. بعد ذلك ينتقل خطوة ثانية :

« ان الربط الشرطي المطلق لاي شعار مرحلي بالهدف الاستراتيجي هو عملية تعجيزية » بعد ان نلتقط انفاسنا علينا ان ننحني اجلالا لهذه الاضافة الخلاقة لقوانين الجدل ولقوانين الاستراتيجية والتكتيك .. ان تصعيب الامور لتمرير ما هو دونها لعبة خطرة للغاية ، ما كنا نحب ان يتورط فيها الاخ مروة . لانها تقود بالنتيجة الى الانتهازية وفي احسن الاحوال الى الاصلاحية ، ان العلاقة بين الشعارات والاهداف المرحلية والشعارات والاهداف الاستراتيجية علاقة ديالكتيكية (شرطية مطلقة) وليست عملية تعجيزية ، كنا نفهم ان يدافع مروة عن الشعارات المرحلية (الدولة الفلسطينية مثلا) على اساس انها لا تتناقض مع الشعارات والاهداف الاستراتيجية ، كما يفعل حواتمة وجماعة المنظرين للدولة الفلسطينية الا ان قناعته بعكس ذلك اوقعته في خطأ فادح آخر .

ان ادراك الاخ كريم مروة لحقيقة شعار الدولة الفلسطينية وبأن هذه الدولة بعد قيامها ــ اذا قامت ــ ليست مرحلة لمواصلة الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني . جعلته يلجأ الى احتمالات مختلفة تتمثل بما يلي :

١ ــ الثقة بالحركة الوطنية في الاردن .

٢ ــ التطورات المحتملة داخل « اسرائيل » .

٣ ــ التغير في حركة التحرر العربي على صعيد المنطقة .

٤ ــ تغير نسب القوى على الصعيد العالمي في صالح النضال التحرري للشعوب ، وفي صالح القوى المعادية للامبريالية .

وهذا الكلام اذا حذفنا منه ما هو عام يمكن ايجازه باقامة دولة فلسطينية الى جوار « اسرائيل » تنتظر التغيرات داخل اسرائيل والاردن والمنطقة والعالم للقضاء على الامبريالية ــ وطبعا ــ والصهيونية والرجعية الخ .. الخ .. ومن اجل الحصول على هذه الدولة ما هي اقتراحات الاخ كريم مروة ؟

١ ــ الواقعية

لان اقامة « الدولة الديمقراطية على كامل الارض الفلسطينية هو غير واقعي » (...) لان الثورة ، اية ثورة ليس بمقدورها ان تتجاهل خلال نضالها الوقائع والامكانيات ومجموعة كبيرة من القضايا والاعتبارات والظروف » .

٢ ــ المرونة

فما دام « الربط الشرطي المطلق لاي شعار مرحلي بالهدف الاستراتيجي هو عملية تعجيزية » فان « واقع العمل الثوري يتطلب الحد الاقصى من المرونة » .

٣ ــ المفاوضات

هل تشترك الثورة الفلسطينية في مفاوضات مع العدو ؟ يقول مروة « ان الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية والعديد من ثورات التحرر الوطني فضلا عن ثورة اكتوبر قد فاوضت الاعداء » فلماذا لا تفاوض الثورة الفلسطينية ، هل هي اكثر ثورية من كل تلك الثورات ؟

« هل تجلس الثورة على مائدة المفاوضات مع اسرائيل ؟ (...) على الثورة ان تقرر بجراة اذا وجدت نفسها امام هذا الامر » .

٤ ــ التنازلات

« ان رفض الامر الواقع بالنسبة للشعب الفلسطيني اذا كانت القضية تتعلق بالحقوق التاريخية هو رفض مشروع . لان الرفض هنا يعني التمسك بالحقوق . الا ان رفض التنازلات بصورة مطلقة تحت شعار الدفاع المطلق عن الحقوق امر يتنافى مع علم النضال الثوري » .

قرات هذه العبارة مرارا محاولا فهم الديالكتيك العميق فيها ففشلت ــ اعترف ــ كريم مروة مرة ثانية يصعب الامور لتمرير ما

هو دونها . من حق الشعب الفلسطيني ان يرفض ما يتعلق بحقوقه التاريخية لكن ليس من حقه عدم التنازل بصورة مطلقة ! تحت شعار الدفاع المطلق عن الحقوق لنتذكر هنا حكاية الربط المطلق بين المرحلي والاستراتيجي للتعجيز . غير ان كريم مروة لا يخبرنا كيف يستطيع الشعب الفلسطيني **ان يتنازل بشكل غير مطلق عن** حقوقه المطلقة وانما يكتفي باحالتنا على صلح برست ولينين « اننا لن نهلك من عشرات من معاهدات الصلح » كما يدعونا الى الصلح ، ذلك « ان رفض توقيع صلح قذر للغاية اذا لم يكن عندك جيش هو مغامرة » .

معاهدة صلح قذرة

هل يدعونا مروة لعقد معاهدة صلح قذرة مع العدو الصهيوني ؟ حتى لا نظلم الرجل هو يقول انه يستشهد بصلح برست من حيث المنهج وليس من حيث المقارنة ، ما هو المنهج ؟ ان نلجأ الى التسوية والتنازلات من اجل انقاذ الثورة اما ما هي ابعاد التسوية والتنازلات ومتى يحق للشعب الفلسطيني أن يرفضها بصورة غير مطلقة دفاعا عن حقوقه التاريخية ؟ فان مروة لا يقول شيئا ، من هذا ، وانما يكتفي باتهام « الاخوان المناضلين في صفوف الثورة الفلسطينية الذين يتمسكون بالمبدأ الخاطىء » « كل شيء او لا شيء بالعدمية أما من يقول « كل شيء او لا شيء ، فلا ندري ولم نسمع احدا حتى الان يطرح مثل هذا (المبدأ) ، كما لم نسمع من يرفض وجود سلطة وطنية في الضفة والقطاع ، لكنا نسمع من يقول ان مثل هذه السلطة في المرحلة الراهنة لا يمكن ان تكون وطنية ما دام شرط قيامها المفاوضات والتنازلات والصلح والاعتراف .

القتال المستحيل والسلطة الوطنية الممكنة

يؤكد الاخ مروة في بداية موضوعه ان تغيرات هامة طرات على الوضع في المنطقة العربية ويسوق اثني عشر متغيرا ايجابيا لمصلحة القضية الفلسطينية دولبا وعربيا وفلسطينيا وبأن هذه المتغيرات الجديدة يمكن ان تفرز من خلال النضال الفلسطيني سلطة وطنية في الضفة والقطاع ،.لكن الاخ مروة حين يطرح وجهة

نظر الذين يؤمنون باستمرار القتال بديلا للحلول السياسية يسارع الى التحذير « ولكن القتال ليس مجرد رغبة بل هو ايضا امكانية . فهل هذه الامكانية متوفرة من الناحية الموضوعية ومن الناحية الذاتية ومن ناحية توفر الظروف الخارجية واهمها نسبة القوى ؟ لا بد من معرفة ذلك وتحديده بوضوح لكي يمكن الحكم ، بمستوى مسؤولية المناضل الثوري عما اذا كان يوجد بديل للحل السياسي بالقتال . فاذا تعذر الجواب الايجابي على هذا السؤال ، عندئذ يصبح الاصرار على رفض الحلول السياسية شكلا من اشكال الهروب الى الامام في مواجهة واقع صعب » . هذه الفقرة عينة من اسلوب الاخ كريم مروة في طرح وجهة نظره عن طريق التساؤلات ، انه يعتقد تماما باستحالة ان يكون استمرار القتال بديلا للتحرك السياسي ، ولكنه حين يقول ذلك يختفي مرة اخرى على طريقته خلف آراء الاخرين « وفي الواقع فان الثورة الفلسطينية تمارس عمليا منذ فترة العمل السياسي من الباب الواسع ، وتعمل ، بمحض ارادة هيئاتها القيادية في اطار الحلول السياسية . وهذا الفريق من قادة الثورة يقرون بمبدأ العمل السياسي ، الى جانب اشكال النضال الاخرى . المسلح خصوصا (لاحظوا كيف اختفى شعار الكفاح المسلح الى جانب اشكال النضال الاخرى) يرون في الظروف الراهنة ان من الممكن في اطار نسبة القوى الجديدة الحصول على مكاسب للقضية الفلسطينية ، اهمها انتزاع سلطة وطنية في الضفة الغربية وغزة بعد اجبار الاسرائيليين على الجلاء عنها » .

واضح تماما من هاتين الفقرتين اين يقف كريم مروة وكيف يقف ويعبر عن مواقفه السياسية .

ان نسب القوى في الفقرة الاولى لا تسمح باستمرار القتال ونفس هذه النسب في الفقرة الثانية تمكننا من الحصول على مكاسب للقضية الفلسطينية منها : السلطة الوطنية واجبار « الاسرائيليين » على الجلاء ولم يعدد لنا مروة بقية المكاسب .

ومن حقنا هنا ان نسأل مروة : اليس من المنطقي اكثر ان قدرة الثورة على الاستمرار بالقتال هي التي ستجعلنا ننتزع السلطة الوطنية وتجبر « الاسرائيليين » على الجلاء الى جانب المكاسب الاخرى ؟!

لقد تحولت نسب القوى عند الاخ كريم مروة الى قوة عجيبة

تنقل من موقع الى آخر ومن حالة الى حالة مما يستدعي ان نتوقف قليلا لنحدد بوضوح نسب القوى الراهنة في اطـــار التسويـــة السياسية .

لا نظن باننا سنختلف مع الاخ كريم مروة بان القبضة الامبريالية الصهيونية الرجعية هي التي تمسك بدفة كافة التحركـــات السياسية وخطوات التسوية منذ تشرين الى فك الارتباط ، وبـــان درجة الميل باتجاه الحل الامريكي تزداد يوما بعد يوم مع ازديـــاد مطرد في العلاقات مع الولايات المتحدة وتواري محسوس للـــدور السوفياتي في كل ما حدث حتى الان ، ومثل هذا الوضع سيـــؤدي استمراره الى صبغ عملية التسوية بكاملها ـــ اذا تمت ـــ بالطابـــع الامريكي بما في ذلك ما يسمى بالدولة الفلسطينية المقترح النضال من اجلها . واذا كنا نلاحظ بجلاء ان كل شبر يتـــم الانسحـــاب الاسرائيلي عنه يدفع مقابلة مزيدا من النفوذ الامبريالي في بلادنا ، ومزيدا من المناطق المنزوعة السلاح بحراسة الامم المتحدة . فماذا نتصور ان علينا أن ندفع مقابل انسحاب « الاسرائيليين » عـــن الضفة الغربية وقطاع غزة ؟! او ما يسمى بالاجبار والانتزاع . . كما يقول مروة ومجموعة المنظرين للدولة والسلطة « الوطنية » ؟ هل ندفع مقابل ذلك فقط بعض التنازلات التي لا تتعارض مع الحـــق التاريخي بصورة غير مطلقة ؟!

ما هي الضمانات التي يقدمها كريم مروة حتى لا يستمر النفـــوذ الامريكي ، وحتى تكون السلطة في الضفة والقطاع وطنية ؟

يحدد مروة ضمانتين : الاولى الجماهير العربية والثانية الاتحاد السوفياتي .

واذا كنا نتفق مع مروة فيما يتعلق بالضمانة الاولى بشكل مطلق وفي جميع الاحوال ، فاننا نعتقد ان هذه الضمانة يجب دفعها باتجاه رفض التسوية وبالقتال ضد الاعداء لا بترويضها لقبول الاحتـــلال لبلادنا ضمن تسوية شاملة وانهاء لحالة الحرب كما ينص القـــرار ٢٤٢ الذي ينعقد مؤتمر جنيف على اساسه ، اما بالنسبة لضمانة

الاتحاد السوفياتي ، فاننا نود ان نسجل اولا اهمية صداقتنا وتحالفنا مع المعسكر الاشتراكي عموما ومع الاتحاد السوفياتي خصوصا ، واهمية استمرار وتعميق هذه التحالفات بما يتناسب مع طموح جماهيرنا ، اما التحالفات التي يعرفها كريم مروة ويتحدث عنها فانها ستقودنا كما قادت الكثيرين الى التنازل عن برنامجنا الوطني لمصلحة البرنامج السوفياتي الذي يمثل القرار ٢٤٢ سقفه الاعلى في المرحلة الراهنة . ونحن على ثقة من ان استمرار نضالنا سيقود حتما ــ كما حدث حتى الان ــ الى مزيد من الايجابيات في الموقف السوفياتي ، بعد ذلك يبقى السؤال : هل يستطيع الاتحاد السوفياتي ان يشكل الضمانة فعلا ؟ وقبل ذلك ورغم كل ما قدمه وفعله الاتحاد السوفياتي في دعم الانظمة العربية ، والذي نقيمه تقييما عاليا ، هل استطاع ان يضمن وجوده ذاته في المنطقة ؟ او ان يحد من النفوذ الامريكي واستمرار تعميقه واتساعه ؟ نحن نعرف جميعا الجهد الذي يبذله السوفيات الان ليبقوا في داخل اطار التسوية واحد الفاعلين والمؤثرين بنتائجها ، ان مثل هذا الجهد يكشف طبيعة الدور الذي يستطيع الاتحاد السوفياتي ان يلعبه ، وهذا يستدعي التأمل اكثر في كونه ضمانة لتسوية وطنية او سلطة وطنية .

ان نسب القوى الفاعلة في التسوية في المرحلة الراهنة لا يمكن ان ينتج عنها سلطة وطنية للشعب الفلسطيني ، ان ميزان القوى الراهن لا يمكن ان يفرض على « اسرائيل » القبول باكثر من كونفدرالية في اطار المملكة المتحدة وفي احسن الاحوال كيان للفلسطينيين معترف بالعدو الصهيوني ومتعايش معه ، وشرطه الاساسي ان يكون جسرا للعبور الاقتصادي « الاسرائيلي » للوطن العربي . ان القوى التي ستحدد مستقبل الاراضي الفلسطينية التي ستشملها التسوية في حالة حدوثها هي التي ستحدد طبيعة السلطة السياسية في هذه الاراضي . وبالتالي طبيعة الاحتمالات الممكنة لنضال سكان هذه المناطق في المستقبل في اطار التسوية الشاملة في المنطقة وانهاء جميع حالات الحرب وشبه الحرب وعلينا ان لا نستهين بالخبرة الامبريالية الصهيونية في هذا المجال ، كما ان هذا الكيان المحصور بين المطرقة الاسرائيلية والسندان

الهاشمي والذي تهيمن عليه سلطة سياسية حددت طبيعتها سلفا القوى المادية (الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية) سيجد نفسه موضوعيا متعايشا اقتصاديا مع اسرائيل ما دام قد سبق ذلك صلح واعتراف فلسطيني وعربي .

الاختيارات المطروحة والقرش الضائع

ان كريم مروة لا يتوقف لحظة في حديثه الطويل ليحدد طبيعة السلطة في الضفة والقطاع ، ولكنه يكتفي بايراد الاختيارات التالية :

« هل تبقى الاراضي الفلسطينية تحت الاحتلال الاسرائيلي ؟ او تعود لنظام الملك حسين ؟ او تقيم عليها السلطة الوطنية ؟! » .

وطبعا ما دامت الاختيارات بهذه الكيفية فان علينا ان نهتف جميعا بصوت واحد : نريد السلطة الوطنية .

وكأن هناك من يقول انا ضد السلطة الوطنية . ان هذه الاسئلة خالية من اي منطق علمي ، وعلينا ان نكف عن التعامل بها .

حين تطرح الاختيارات السابقة وهناك من يضيف عليها خيارين آخرين ، الوصاية الدولية والوصاية العربية ما عليك الا ان تقوم بعملية طرح بسيطة ٥ اختيارات ناقص ٤ الجواب ١ ، وهو السلطة الوطنية ، وهذا يشبه لعبة القرش الضائع المشهورة .

ان هذه المغالطة الرياضية الساذجة التي تتكرر هذه الايام على مستوى اكبر واخطر لن يكون الضائع فيها قرشا وانما سنضيع الوطن نفسه .

عند هذا الحد من النقاش لا بد ان يخرج من يتساءل اذن ما هو الحل ؟ ان دولة مهما كانت مواصفاتها افضل من لا شيء . اذا كان الحوار يقودنا الى هذه النتيجة فدعونا اذن نتفق بأن حكاية السلطة الوطنية المستقلة والدولة الثورية التي ستشكل مرحلة وسيطة لمواصلة الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني هي حكاية غير صحيحة

وان الكيان الفلسطيني الذي يمكن الحصول عليه في المرحلة الراهنة هو شيء آخر غير السلطة الوطنية او الثورية .. اذا كنا سنتفق على ذلك فان الحديث سينصب على مؤتمر جنيف وحجم التنازلات المطلوبة .. باختصار عن الثمن الذي سندفعه .

ان حسابات القوى تشير الى ان الكيان المنتظر لن يكون اكثر من كيان منزوع السلاح فهل نحن مدعوون للنضال من اجل انتزاع هذا الكيان وطرح برنامج مرحلي جديد للحصول عليه ، ما دام الحديث كله يدور عن تسوية سربعة قادمة ستشمل الاراضي الفلسطينية التي سيجلو عنها الاحتلال قريبا وفي اطار موازين القوى الراهنة . ام ان البرنامج المرحلي المقترح هو خارج نطاق التسوية الراهنة وجنيف الخ ..؟؟

نحن نعتقد ان تمرير التسوية الشاملة في المنطقة يلزمها ثلاثة اطراف اساسية هي « اسرائيل » والانظمة العربية المعنية بالتسوية والطرف الفلسطيني المتمثل بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وان رفض اي طرف من هذه الاطراف الثلاثة ، سيمنع التسوية الشاملة ويفشلها .

ان القوى الذاتية الفلسطينية في هذه المرحلة وفي ظل موازين القوى الراهنة لا تستطيع انجاز هذه الخطوة الايجابية الهامة على طريق التحرير وهي اقامة السلطة الثورية المسلحة غير ان القوى الذاتية الفلسطينية قادرة الان ان تفعل وتؤثر باتجاه السلب برفض التسوية ورفض المشاركة فيها ، وهذا الموقف الفلسطيني وحده كفيل بمنع التسوية الشاملة ، ومهما بلغت قسوة النتائج المترتبة على هذا الموقف الا ان الامر المؤكد بأن عدم تمرير التسوية واحلال (السلام) كفيل بابقاء باب النضال مفتوحا على مصراعيه لخوض النضال ضد مثلث الاعداء الامبريالي الصهيوني الرجعي .

اما الذين يطرحون الان برامج مرحلية جديدة ويدعون للنضال من اجل تحقيقها خارج اطار التسوية الحالية على امل تغليب نسب القوى عبر النضال المسلح وبقية الاشكال الاخرى لمصلحة حركة

الثورة الفلسطينية والعربية والعالمية وبالتالي توفير الشروط الضرورية لانجاز مهمة اقامة السلطة الثورية على اية بقعة يتم فعلا دحر المحتلين عنها ، الى هؤلاء الذين يحملون وجهة النظر هذه نقول : ان علينا ان نتفق اولا على مواجهة التسوية الدائرة الان فعلا ونعمل على افشالها بقرار فلسطيني موحد يرفض المشاركة فيها ويسعى لاحباطها بكافة الوسائل لان نتائجها لا تنسجم مع الحد الادنى لطموح شعبنا وامتنا .

ان الشعارات المرحلية اذا لم تستجب مباشرة للتحديات التي يفرضها الواقع والتي تشكل التسوية التحدي الاول على جدون اعماله فاننا نقع في خطيئة مميتة سيكون لها أكبر الضرر على نضالنا وقضيتنا .

وليكن شعارنا :

وحدة قوى الثورة الفلسطينية لافشال التسوية الراهنة ، وبعد ذلك ، وداخل الاطر التنظيمية القائمة يمكن مناقشة كافة الاجتهادات ووجهات النظر والخروج ببرنامج سياسي واحد للثورة الفلسطينية .

نيسان ١٩٧٤

« الهدف »

نظرية العوالم الثلاثة الصينية
والايديولوجية الجديدة لليمين العالمي

حين يتفاقم الصراع السياسي ويطول امده ، فانه يكشف في احد جوانبه صراعا ايديولوجيا ويغض النظر عن ظواهره واسبابه الفعلية .

وعند حد معين من الصراع فان المناوشات الصحفية والانتقادات العارضة والخطب المتبادلة والمقالات السياسية وتفنيداتها المقابلة .. ان كل هذا لا يلبث ان يبحث له عن قوالب نظرية ، وبناء ايديولوجي متكامل ، ليس فقط على مستوى الصراع بين الطرفين بل يجري كذلك تعميمه على مستوى (تاريخي) (عالمي) .

الصراع الصيني ــ السوفياتي وصل الى هذا الحد ، ويكون من البديهي اذن ان تجري صياغة نظرية للصراع وان يجري تعميمها على مستوى العالم . وهنا بالضبط يكمن السبب الحقيقي وراء نظرية « العوالم الثلاثة » التي يجري التنظير لها هذه الايام على نطاق واسع .

من جهتنا كنا نفضل عدم الخوض في هذه المسألة لانها تتصل بموقف مباشر من الصراع الصيني السوفياتي ، في الوقت الذي نحن احوج ما نكون فيه لتوسيع دائرة الاصدقاء لمجابهة مثلث العدو الامبريالي ــ الصهيوني ــ الرجعي .

الا ان نظرية « العوالم الثلاثة » قد باتت على المستوى العربي والمحلي تستخدم سلاحا على ايدي الانظمة الرجعية وكتابها ومفكريها الرجعيين ، وعلى يد بعض المجموعات اليمينية الصغيرة

التي لا زالت تصر على كونها ماركسية ولينينية ايضا . من هنا فان نقاشنا يتناول هؤلاء بالدرجة الاولى ، وان كنا نرد على الادبيات الصينية المتصلة بهذه النظرية .

■

بين ايدينا مقال مطول (حوالي ١٨٫٠٠٠ كلمة) نشر في مجلة « بكين » عدد نوفمبر ١٩٧٧ ، وهو على ما نعلم اوسع واحدث ما كتب حول نظرية « العوالم الثلاثة » مما يسمح لنا بالاعتماد عليه اساسا لمناقشة هذه النظرية .

يتصدر هذا المقال العنوان التالي : « تحديد العوالم الثلاثة هو استنتاج علمي ماركسي حول الوضع العالمي الراهن » فالنظرية كما نرى تحرص على الانتساب للعلمية والماركسية كما تعطي لنفسها صفة الشمول العالمي . وهذه النظرية الصينية الجديدة حريصة ايضا على الانتساب للرئيس ماو كما تشير سطورها الاولى : « ان نظرية الرئيس ماو حول العوالم الثلاثة .. الخ .. » لكننا سنرى بعد قليل ومن خلال الاستشهادات الواردة على لسان الرئيس ماو بأن هذه النظرية لا تنتسب حقيقة حتى لماوتسي تونج نفسه ورغم ان هذه الاستشهادات هي من نوع « في حديث جرى بينه (ماو) وبين زعيم من زعماء العالم الثالث » .

والان ، ما هي هذه النظرية ، واين تكمن خطورتها ؟

« قال الرئيس ماو في حديث جرى بينه وبين زعيم من زعماء دول العالم الثالث في فبراير ١٩٧٤ : « وفي رأيي ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي تشكلان العالم الاول ، وقوى الوسط ، اليابان واوروبا وكندا تشكل العالم الثاني . اما نحن فننتمي الى العالم الثالث . وافريقيا كلها تنتمي الى العالم الثالث وكذلك امريكا اللاتينية » . * ويضيف المقال قائلا : وان هذا التحديد هو

---

* كافة الاستشهادات الواردة في هذا المقال دون تحديد مصدرها هي من مقال مجلة بكين عدد نوفمبر ١٩٧٧ المشار اليه سابقا .

استنتاج علمي توصل اليه (أي الرئيس ماو) بعد ان حلل تطورات التناقضات الاساسية المختلفة في عالم اليوم » .

واضح ان مثل هذا التحديد ليس اكثر من تقسيم وصفي لدول استنتاج علمي توصل اليه (أي الرئيس ماو) بعد ان حلل تطورات التناقضات الاساسية المختلفة في عالم اليوم » .

ويمكن القيام بعشرات التقسيمات المشابهة دون ان يحمل الامر اية خطورة كالقول مثلا بأن العالم ينقسم الى دول متقدمة ومتخلفة .. غنية وفقيرة .. راسمالية واشتراكية ، وصناعية ونامية ، قوية وضعيفة شمالية وجنوبية .. الخ .. الخ .. ثم ان تضع بين كل من هذين الحدين حدا اوسط من نوع العالم الثاني .

الا ان الخطورة تكمن اساسا بالاستنتاجات اللاحقة لهذا التقسيم وتحديد اطراف التناقض على المستوى العالمي من خلاله .

لقد اوضحت نظرية الرئيس ماو حول تحديد العوالم الثلاثة كما يقول المقال « ان الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة (...) قد اصبحتا اكبر مستغلين ومضطهدين ومعتديين في العالم (...) ان تنازع القوتين الهيمنيتين السوفياتية والامريكية على العالم ومقاومة شعوب العالم ضدهما قد اصبحت اليوم مسألة محورية في السياسة العالمية » . كيف يتم التصدي لهاتين القوتين ؟

العالم الثالث « يعتبر القوة الرئيسية في النضال ضد الامبريالية والهيمنة اما الدول المتطورة التي تتوسط العالمين فانها تشكل العالم الثاني وهي تمارس الاضطهاد والاستغلال على الامم المضطهدة ، وفي الوقت نفسه تتعرض للسيطرة والظلم من قبل القوتين العظيمتين ، وصفتها المزدوجة هذه تجعلها قوة يمكن للعالم الثالث ان يكسبها او يتحد معها في النضال ضد الهيمنة » .

والنظرية الصينية الجديدة لا تكتفي بهذا التحديد بل تذهب الى ابعد من ذلك لتحديد من هو العدو الاشد خطرا داخل العالم الاول نفسه والذي يجب ان توجه له الضربة الرئيسية ، وهي تحدده بلا مواربة : الاتحاد السوفياتي لانه لم يتحول فقط « الى قوة عظمى امبريالية مثل الولايات المتحدة تهدد العالم بل الى اخطر مصدر

لحرب عالمية » . (التأكيد من عندنا وكذلك التأكيدات اللاحقة) .
« تقوم الامبريالية الاشتراكية السوفياتية في جنون متزايد بالتغلغل والتوسع الى شتى المناطق في العالم وتستعرض قوتها في كل مكان في البر والبحر والجو **وتبادر** الى تنازع عالمي عنيف مع الولايات المتحدة الامر الذي كشف عن اطماعها العدوانية **التي لم يشهدها تاريخ العالم من قبل** » .

وبوضوح اكثر تقول النظرية الصينية الجديدة ان الاتحاد السوفياتي « هو امبريالية اشرس واكثر مغامرة ومكرا واخطر مصدر لحرب عالمية » .

« ان الاتحاد السوفياتي صار اخطر القوتين العظيمتين على نطاق العالم » وذلك للاسباب التالية :

« اولا ، ان الامبريالية الاشتراكية السوفياتية دولة امبريالية كبرى نهضت بعد الولايات المتحدة ، لهذا فهي اكثر عدوانية ومغامرة (. . .) هذا يعني ان الاتحاد السوفياتي قد صمم على اللجوء الى **الاستراتيجية الهجومية** لانتهاك سيادة بقية دول العالم واضعاف **وابعاد النفوذ الاميركي في مختلف مناطق العالم** » .

« ثانيا ، تضطر الامبريالية الاشتراكية السوفياتية بحكم ضعف قوتها الاقتصادية نسبيا الى **مباشرة** التوسع بالاعتماد اساسا على القوة العسكرية والتهديد بالحرب » .

« ثالثا ، حولت الكتلة الاحتكارية البيروقراطية السوفياتية اقتصاد الدولة الاشتراكية العالي التمركز الى اقتصاد راسمالي احتكاري للدولة اشد تمركزا . كما حولت سلطة دكتاتورية البروليتاريا الى سلطة دكتاتورية فاشية » وتمهد عبر وسائلها الاعلامية « استعدادا لسوق عشرات الملايين (. . .) الى حرب عدوانية جديدة طعاما للمدافع » .

« رابعا (. . .) الامبريالية الاشتراكية السوفياتية حديثة

النهوض ، بل هي تلبس قناع الاشتراكية ، (. . .) ولا شك ان الدور الخداع الذي ينفرد به الاتحاد السوفياتي يزيده خطرا . الاتحاد السوفياتي بخصائصه التاريخية الموضوعية المذكورة آنفا قد اصبح بلا جدال مصدر حرب عالمية اشد خطرا من الولايات المتحدة » .

« القوتين العظميين كلتاهما عدو مشترك لشعوب العالم كل هذا لا ريب فيه . **ولكن اذا ظللنا ننظر ، رغم كل الحقائق السالفة الذكر ، الى القوتين العظميين بنفس النظرة من غير تمييز دون ان نشير الى ان الاتحاد السوفياتي هو صانع حرب عالمية اشد خطرا** فسيكون عملنا هذا تخديرا لليقظة الثورية لدى شعوب العالم وتشويشا **للهدف الاول** للنضال ضد الهيمنة » .

والان اذا طرحنا سؤالا موضوعيا عما يترتب على تحديد الهدف **الاول والاشد خطرا** ؟ فان الاجابةالطبيعية ستكون بالضرورة : التحالف مع الامبريالية الامريكية . مقال « بكين » والنظرية الصينية لا تقول ذلك بالكلمات ولكنها تقوله بأشد ما يمكن من الوضوح فلنستمع :

« اما دول العالم الثاني التي **يواجهها الخطر الحربي** المتفاقم من قبل القوتين العظميين فمن الضروري ان تعزز الاتحاد بينها وتعزز الاتحاد مع العالم الثالث **ومع الحليف الممكن** حتى تتقدم الى الامام في غمرة النضال المشترك ضد العدو المشترك » . وان تستفيد « **من التناقضات بين القوتين العظميين** » فمن هو هذا « **الحليف الممكن** » المدعو للتحالف مع العالم الثاني + العالم الثالث ؟ النظرية الصينية الجديدة لم تحدثنا عن عالم رابع لكنها دعتنا الى ضرورة « **التمييز** » بين الامبريالية الاشتراكية السوفياتية الاشد خطرا وبين الامبريالية الاميركية او **الحليف الممكن** » كما يبدو واضحا وجليا .

سنتوقف هنا الان لمناقشة الجانب السياسي الذي عرضناه من النظرية الصينية ، لننتقل بعد ذلك لمناقشة جوانب اخرى لا تقل اهمية وخطورة وخاصة على الصعيد النظري .

ان هدف تقسيم العالم الى عالمين او ثلاثة او اربعة يتجاوز كما راينا الجانب الوصفي باتجاه تحديد اطراف التناقض على المستوى العالمي وتعيين « الهدف الاول » و « والاشد خطرا » داخل العالم الاول ، وكذلك « الحليف الممكن » فيه ، اضافة الى الدعوة للتحالف بين العالم الثالث والعالم الثاني .

وما دام هذا هو الهدف من تقسيم العالم الى ثلاثة عوالم ، فان علينا هنا البحث في الوضعية العالمية وانقساماتها واطراف التناقض فيها .

اذا كان هذا العصر هو عصر الامبريالية .. عصر الثورة البروليتارية الاشتراكية ، كما حدد لينين ذلك منذ بداية هذا القرن ، فان جوهر التناقض الرئيسي على المستوى العالمي هو اساسا مع هذه الامبريالية التي هي عالمية بالضرورة ، وفي المقابل الحركات الثورية والديمقراطية في الامم المظلومة المتخلفة والمستغلة (من الامبريالية + الطبقات المحلية المستغلة) وكذلك مجموع الدول الاشتراكية والطبقة البروليتارية داخل المجتمعات الرأسمالية .

النظرية الصينية الجديدة لا ترفض هذا التحديد اللينيني للتناقضات العالمية الا انها ترى بأنه يصدق فقط على بداية هذا القرن ، وبأن سلسلة المتغيرات التي شهدها العالم خلال الخمسين سنة الاخيرة وخاصة مع بداية الستينات وتحول الاتحاد السوفياتي الى « امبريالية اشتراكية » قد اسقط هذا التقسيم ، وبأن خريطة الوضع الدولي الراهن باتت بحاجة الى شكل آخر من التقسيم وتحديد التناقضات وهذا الشكل هو النظرية الجديدة للعوالم الثلاثة . فماذا حدث لخريطة التناقضات العالمية التي حددها لينين من وجهة نظر الصين ؟

١ ــ « ان المعسكر الاشتراكي السابق لم يعد قائما رغم وجود الصين والبلدان الاشتراكية الاخرى » . لان الاتحاد السوفياتي تحول الى امبريالية اشتراكية رأسمالية .

٢ ــ « لم تعد كثير من بلدان المعسكر الامبريالي تخضع لتوجيه

الولايات المتحدة » . كما اعلنت أغلبية ساحقة من البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة استقلالها على التوالي » .

٣ ــ « ان الاتحاد السوفياتي بات اخطر مصدر للحرب » وهذه الحرب هي « حتمية » كما تؤكد النظرية الصينية مرارا :

« ان حتمية الحرب العالمية في الوقت الحاضر تكمن اساسا بين الولايات المتحدة الرأسمالية والاتحاد السوفياتي الذي عادت اليه الرأسمالية » وذلك بفعل انتهاج الاتحاد السوفياتي لسياسة « التوسع والعدوان » .

ان هذه الافتراضات الصينية الثلاث هي وحدها التي تعطي نظرية العوالم الثلاثة تماسكها الشكلي على الاقل ، وتسمح لها بمحاولة الوقوف على اقدامها ، ولان الاشياء هنا تقف على رأسها ، فسنبدأ بمناقشة البند الاخير اولا :

النظرية الصينية وهي تتحدث عن حتمية الحرب تذكر مرارا بشكل التحالف الذي كان قائما خلال الحرب العالمية الثانية ، « المعسكر الفاشي في مواجهة المعسكر المناهض للفاشية » والذي حكم التحالف هنا ليس « المعسكر الاشتراكي ضد المعسكر الرأسمالي » كما بين لينين من قبل لانه « ينبغي تحديد القوى السياسية في العالم حسب منطق الاشياء لا حسب منطق ما فوق الاشياء » .

وما دامت هذه الحرب « **حتمية** » وستشنها الامبريالية الاشتراكية السوفياتية « **اخطر** مصدر لحرب عالمية » ، وما دام المعسكر الامبريالي الرأسمالي قد انفرطت حلقاته ، فمن الطبيعي اذن ان يتشكل تحالف بين العالمين الثالث والثاني + « الحليف الممكن » لمجابهة **أخطر** مصدر لحرب عالمية » . وبالطبع مستفيدين « من التناقضات بين القوتين العظميين » .

والان دعونا نناقش هذه الافتراضات الثلاث :

اولا : حتمية الحرب العالمية :

نحن نتفق مع الرفاق الصينيين بأن التناقض والصراع هو الذي يشكل جوهر العلاقة بين الاتحاد السوفياتي والامبريالية الامريكية. هذا التناقض يكمن اساسا في اختلاف طبيعة النظامين الاشتراكي والراسمالي ، وليس بفعل تماثل راسمالي بين النظامين كما تقول النظرية الصينية . نحن اكثر من ذلك نختلف مع الرفاق السوفيات حول سياسة التعايش التي يعلنونها ويمارسونها فعليا حيث يستطيعون ذلك ، فمثل هذه السياسة لا تساعد على الحاق الهزيمة بالامبريالية وبعموم المعسكر الراسمالي ولكنها تتيح للولايات المتحدة زعيمة المعسكر الامبريالي ان تتحرك كشرطي في كل مكان من العالم بدون رادع حقيقي . موضوعيا نحن نعتقد بأن سياسة التعايش تستهدف تخفيف حدة التوتر في المناطق المتفجرة في العالم خوفا من انفجار حرب نووية عالمية الا اننا نعتقد ان مثل هذا الانفجار المفترض هو امر مستبعد الى درجة الاستحالة وذلك لانتفاء امكانية الانتصار لاي من الطرفين سواء اكان في موقع الهجوم المفاجيء او في موقع الرد بعد تلقي الضربة الاولى ، وهذه بديهيات عسكرية لا نعتقد انها غائبة عن اذهان المنظرين الصينيين . ولكن ماذا يفعلون ؟ فمن سوء حظهم ان نظريتهم لا تستطيع التماسك او الوقوف على اقدامها بدون هذا الافتراض الخاطيء .

هذا التقدير لاحتمالات الحرب النووية واستحالتها كان يفرض على الاتحاد السوفياتي ان يلعب دورا هجوميا او دفاعيا ايجابيا على الاقل في وجه الشرطي الامريكي ولكن حرصه الخاطيء — من وجهة نظرنا — على سياسة التعايش السلمي ابعده عن القيام بمثل هذا الدور .

ورغم ذلك فان الرفاق الصينيين يصرون على انه « ما دامت الامبريالية الاشتراكية السوفياتية تريد ان تكون مهيمنة على عالم اليوم فلا بد ان تنتزع مناطق نفوذ من الولايات المتحدة » ذلك ان « الاتحاد السوفياتي قد صمم على اللجوء الى الاستراتيجية الهجومية لانتهاك سيادة بقية دول العالم واضعاف وابعاد النفوذ الامريكي في مختلف مناطق العالم » .

ان الافتراض الخاطىء حول حتمية الحرب ، اعتمد بدوره على سلسلة من الافتراضات الخاطئة الاخرى .

١ ــ ان الاتحاد السوفياتي تحول الى دولة راسمالية امبريالية .
٢ ــ ان الامبريالية السوفياتية تلجأ الى استراتيجية **هجومية** لترث الامبريالية الامريكية السابقة .

٣ ــ ان الاتحاد السوفياتي يعزز قدراته العسكرية النووية والتقليدية ويتدخل في كل مكان من العالم للسيطرة عليه .

٤ ــ وان الامبريالية الامريكية هي في مواقع الدفاع بعد ان بسطت نفوذها وسيطرتها على مختلف مناطق العالم .

٥ ــ ان الاتحاد السوفياتي يضلل شعوب العالم ويخدعها بالادعاء بانه دولة اشتراكية تسعى الى دعم الشعوب وحركات التحرر ضد الامبريالية الامريكية .

نحن سنتجاوز هنا مؤقتا اعتبار الاتحاد السوفياتي دولة **راسمالية** امبريالية **اشتراكية** .. لمناقشة الافتراضات الاخرى .

صحيح ان الاتحاد السوفياتي يعزز قواه العسكرية النووية والتقليدية ولكن اليس هذا هو ما تفعله الصين الشعبية بانضبط وتفاخر به ايضا دون أن تتهم نفسها ودون ان يتهمها احد ايضا بأنها دولة امبريالية تسعى للتوسع والعدوان .

اما ان الاتحاد السوفياتي (يدعي) الاشتراكية و (يدعي) دعم شعوب العالم وحركاته التحررية لمناهضة الامبريالية الامريكية ، فأن ذلك بالضبط ما تدعونا ابيه النظرية الصينية الجديدة :

« العالم الثالث هو القوة الرئيسية في النضال ضد الامبريالية والهيمنية » ، و « ان الصين الاشتراكية جزء من العالم الثالث » . ولهذا « تقف الصين والدول الاشتراكية الاخرى بجانب بقية دول

العالم الثالث ، وتتبادل معها التأييد والمساعدة في النضال ضد الامبريالية والهيمنية » . اليس هذا هو ما يفعله الاتحاد السوفياتي، ولكن للنضال ضد الامبريالية الامريكية فقط .

ماذا يتبقى من الافتراضات الصينية الخمسة ؟

الافتراض الرابع الذي يؤكد ان الامبريالية الامريكية هي في موقع الدفاع بعد ان بسطت سيطرتها على مختلف مناطق العالم ، والافتراض الثاني الذي يؤكد على الاستراتيجية الهجومية للاتحاد السوفياتي (الشاب) ليرث الامبريالية الامريكية (العجوز) .

وهذا ما سيقود الى (حتمية) الحرب العالمية .

ان اعلانا بمثل هذه الضخامة يحتاج الى نوع من البراهين يختلف عما ورد في مقال مجلة بكين من ذكر ارقام القوات العسكرية السوفياتية وقدراتها النووية . كما عليه ان يتجاوز اتهامات من نوع ان الاتحاد السوفياتي يدعي الاشتراكية ، ويخدع الشعوب ، ويضللها باسم النضال ضد الامبريالية الامريكية .

ان هذا النوع من الاتهامات والبراهين يستطيع اي كان ان يوجهها لاي كان منذ لينين الى « هوا قوه فنغ » .

تؤكد نظرية العوالم الثلاثة ان الاتحاد السوفياتي ، قد « ارتد عن الاشتراكية بلا رجعة منذ الستينات » ومعنى ذلك ان « الامبريالية الاشتراكية » بدأت منذ تلك الفترة بممارسة دورها « الامبريالي التوسعي العدواني في مختلف مناطق العالم » .

« الامبريالية السوفياتية في المجال الخارجي الهجومي :

نحن نملك حوالي خمس عشرة سنة من عمر « الامبريالية السوفياتية » ، وعلى الرفاق الصينيين ان يبرهنوا كيف ومتى واين مارس الاتحاد السوفياتي دوره الاستراتيجي الهجومي التوسعي خلالها ؟

« الامبريالية » ليست نوايا ورغبات كما انها ليست شبحا او « رجلا خفيا » يبسط نفوذه ويعتدي ويهيمن دون أن يتمكن احد من الشهادة عليه متلبسا بممارسة امبرياليته .

اليست الامبريالية شبكة هائلة من الاحتكارات الضخمة التي يفرض الامبرياليون من خلالها سيطرتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية على الشعوب المستعبدة ويخضعونها لارادتهم ومصالحهم وبالاضافة الى ذلك فان هذه الشبكة الهائلة من الاحتكارات مدعومة بآلة عسكرية ضخمة يتفرع عنها شبكة واسعة من القواعد العسكرية والاحلاف والقوات العسكرية الدول التابعة للامبريالية . وحين تناضل الشعوب للخلاص من النير الامبريالي فانها تتعرض لعمليات قمع بشعة يذهب ضحيتها عشرات ومئات الالوف من ابناء الشعب المستعبد كما حدث مع الشعب الصيني وهو يواجه الامبريالية اليابانية ومع الشعب الفيتنامي وهو يناضل لطرد الامبرياليين الامريكيين من بلاده ، وسنكتفي بهذين المثلين القريبين من الصين .

والان كيف يمارس « الامبرياليون السوفيات » استراتيجيتهم الهجومية للهيمنة على العالم ؟

انور السادات (أنتزع) استقلال مصر من بين براثن « الامبريالية السوفياتية » التي فرضت « هيمنتها » على البلاد خلال خمس عشرة سنة وبناء على الحاح عبد الناصر نفسه ! فما هي (النضالات) والتضحيات ، التي قدمها (الشعب) المصري لطرد « الامبريالية » من بلاده ؟

اليكم ما حدث :

استدعى انور السادات السفير السوفياتي بالهاتف وطلب منه رحيل السوفيات من مصر فورا . وخلال ايام كان « الامبرياليون السوفيات » قد غادروا الاراضي المصرية .

يبدو ان هذه الامبريالية التي يصفها الرفاق الصينيون بانها

شابة وهجومية وعدوانية وشرسة وتوسعية لا تستحق اي من هذه الاوصاف ، كما لا تستحق ان توصف حتى بأنها امبريالية .

بالمناسبة **الصومال** فعلت ذلك ايضا وبصورة مهينة للغاية فاكد الامبرياليون السوفيات مرة ثانية عدم (جدارتهم) بهذه التسمية . ويبدو ان ذلك بسبب كونهم امبريالية اشتراكية .. اما كيف تكون الامبريالية التي هي اعلى مراتب الرأسمالية اشتراكية ؟ فعلم ذلك عند « علام » النظريات والعوالم .

وابان ازمة الصواريخ **الكوبية** حين وقف العالم على اعصابه يعد الثواني قبل الانفجار النووي الذي هددت به الولايات المتحدة اقدام الامبرياليون الاستراتيجيون الهجوميون السوفيات ، على فكفكة الصواريخ وسحبها من كوبا مقابل تعهد من الولايات المتحدة بعدم الاعتداء على كوبا .

اما **الهند** التي يتحدث مقال مجلة « بكين » عن الصفقات التجارية والعسكرية معها والتي تمت بطريقة « مجحفة » لتكشف « الوجه الامبريالي للاتحاد السوفياتي » فانها تذكرنا بحرب الستينات الدموية (٦١ ــ ٦٢) التي وقعت بين الصين والهند مما يسمح لنا بالتساؤل عن افضلية توزيع التهم المتصلة بالاستراتيجيات الهجومية وخلافه ، مع رفضنا المسبق لاية اجابات تتصل بهذه المسألة ، لاننا لا نستهدف نفي اتهام لتبني نقيضه .

في **انغولا** كانت الفرق الثورية المكافحة ضد الاستعمار تتلقى الدعم العسكري والمادي من أطراف المعسكر الاشتراكي (الصين والاتحاد السوفياتي) اما الخلافات اللاحقة بين الفرق **الانغولية** وانتصار احد اطرافها فلا يقدم برهان على سياسة **هيمنة لطرف** اشتراكي لا تمس على الفور الطرف الاخر الذي قام **بنفس الفعل** .

ماذا يتبقى لدينا من **مظاهر الامبريالية السوفياتية الهجومية خلال** خمس عشرة سنة كما حددتها **النظرية الصينية ؟**
السودان وزائير .

السودان كما تقول مجلة « بكين » وجه الضربات القوية الى مؤامرات الاتحاد السوفياتي الهادفه الى السيطره والنشاطات الهدامة . اما كيف مارس السوفيات نشاطاتهم الهدامه ومحاولاتهم الهادفة للسيطره ودون ان يكون لهم اي وجود في السودان فقد تم ذلك بواسطة الحزب الشيوعي السوداني وتم الحاق « الضربات القويه » بالامبريالية السوفياتيه عن طريق ذبح الشيوعيين السودانيين واعدام الشفيع وعبد الخالق محجوب .

لقد بات على اي حزب شيوعي في العالم وفقا لهذا الفهم (النظري) الصيني ان يتضامن مع انظمته المحلية سواء كانت نظاما نميريا او ساداتيا او شاهنشاهيا او تشيليا ، كما عليه ان يتحالف مع العالم الثاني (انكلترا وفرنسا واسبانيا والبرتغال .. الخ) ومع « **الحليف الممكن** » لمواجهة العدو الرئيسي الاتحاد السوفياتي وهو اذا لم يفعل ذلك فانه يمارس نشاطا هداما لمصلحة « الامبريالية السوفياتية » مما يستحق معه الذبح ، فتصفق الصين وتحي النميري وتقدم له قرضا ماليا عاجلا بـ ١٥ مليون دولار وعاش التضامن الاممي .

في **زائير** تؤكد مجلة « بكين » وتحي « انتصار شعب زائير في حرب مقاومة المرتزقة التابعة للاتحاد السوفياتي عام ١٩٧٧ » لقد اكدت هذه الحرب والاطراف المشاركة فيها على صحة نظرية « العوالم الثلاثة » وابداعها (الخلاق) باعتبارها اضافة ملهمة للماركسية اللينينية ! فقد تحالف (شعب) (زائير = العالم الثالث مع المغرب + مصر + السودان (= عالم ثالث ايضا) .. تحالف هذا العالم الثالث مع فرنسا (= العالم الثاني) وتلقى الدعم والامداد من الولايات المتحدة (= الحليف الممكن) لمواجهة مرتزقة الاتحاد السوفياتي (= العدو المشترك واخطر مصدر لحرب عالمية : « الامبريالية الاشتراكية السوفياتية » .)

لاحظوا كيف يتم الاستفادة « من التناقضات بين القوتين العظميين ! فترتفع الانخاب في واشنطن وباريس وبكين والقاهرة والرباط والخرطوم في صحة مناجم شابا وصحة نظرية « العوالم الثلاثة » و « وحدة البروليتاريا » .

حين تكون الاشياء مقلوبة هكذا فان الوقوف على الراس يصبح وضعا مريحا للغاية مما يسمح لنا بالتصفيق بسهولة اكبر ، وكذلك بالانحناء بكل الادب والتبجيل لهذه النظرية العظيمة . وانطلاقا من وضعنا السابق فقط سنسمح لانفسنا بالحديث عن هذه المسالة :

لقد داس حرس كاتنغا على عصب حساس يمس جوهر المصالح الاحتكارية الراسمالية في منطقة المناجم مما استدعى على الفور تشكيل حلف امبريالي (الولايات المتحدة ، فرنسا) رجعي (المغرب مصر ، السودان) وذلك لاعادة ثروات الشعب الى ايدي الشركات الراسمالية الكبرى وخلال « حرب المقاومة » ضد « مرتزقة الاتحاد السوفياتي » وقفت كل اجهزة اعلام » العالم الثاني « بالاضافة للولايات المتحدة وانظمة العالم الثالث الرجعية والاشتراكية الصينية وقفت لتؤكد على دور مرتزقة السوفيات والكوبيين . وقد القى القبض على عدد من هؤلاء المرتزقة وعرض اثنان منهم في احد الملاعب الرياضية الكبرى .. كانا اثنين من حرس كاتنغا نفسها . كانت تلك فضيحة تليق باصحابها حقا . فهل هذا هو حجم الامبريالية الاشتراكية ؟ اين تبخرت الاستراتيجية الهجومية السوفياتية ومرتزقتها ؟ ولماذا توقف فجاة النباح الاعلامي الامبريالي حول قضية المرتزقة بعد ان تم سحق ثورة الحرس الكاتنغي ؟ لا جواب . فلقد استهدفت هذه الحملة الاعلامية المسعورة فقط تغطية التدخل العسكري الامبريالي الرجعي لسحق الثورة .

وعندما تحقق ذلك لها توقفت الاكذوبة العالمية لانها لم تجد دليلا واحدا تستند عليه . ورغم ذلك لا تزال مجلة « بكين » وحتى شهر نوفمبر ١٩٧٧ تكرر نفس الاكذوبة التي توقف مختلقوها انفسهم عن تكرارها منذ زمن طويل .

اوروبا الشرقية :

لا شك ان واضعي نظرية « العوالم الثلاثة » قد لاحظوا هشاشة الاتهامات والبراهين التي تريد ان تؤكد على امبريالية الاتحاد

السوفياتي بعلاقته مع دول العالم ، فلم يجدوا لانفسهم مخرجا سوى اعتبار العلاقة بين الاتحاد السوفياتي ودول المنظومة الاشتراكية في اوروبا الشرقية هي علاقة استغلال واستعباد يمارسها الامبرياليون السوفيات . واستشهادهم على ذلك بحلف وارسو الذي يحقق السوفيات من خلاله « السيطرة والتدخل على بلدان اوروبا الشرقية الى درجة لا تطاق » . هذا بالاضافة الى « العلاقات الاقتصادية غير المتكافئة » . وفي سياق آخر وللتدليل على امبريالية الاتحاد السوفياتي وكونه « اخطر مصدر لحرب عالمية » تورد مجلة بكين الرقمين التاليين :

« لقد وضعت الولايات المتحدة حوالي ٤٠٠ الف من قواتها المسلحة في اراضي الدول الاخرى اما الاتحاد السوفياتي فقد بلغ عدد قواته المرابطة في الدول الاخرى حوالي ٧٠٠ الف » الرفاق منظرو « العوالم الثلاثة » يثمنون عاليا ويجلون باحترام كبير جوزيف ستالين كواحد من ابرز المنظرين الماركسيين في عصرنا ، وكأبن وفي لمبادىء الاممية البروليتارية ، وهذا التثمين العالي لستالين استمر كذلك مع حلفائه الى مرحلة الستينات . نحن هنا لسنا بصدد مناقشة قناعات الرفاق ـ منظري « العوالم الثلاثة » ـ بستالين والتجربة السوفياتية اللاحقة له ، ولكننا اوردنا هذه القناعات لنطرح تساؤلا مشروعا : كيف تصبح الاشياء ذاتها برهانا على الشيء ونقيضه ؟

الولايات المتحدة وموقعها الدفاعي :

ان العلاقات بين الاتحاد السوفياتي ودول اوروبا الشرقية قائمة منذ اعقاب الحرب العالمية الثانية . كما تم انشاء حلف وارسو للرد على مسلسل الاحلاف العسكرية والتطويق الذي مارسه الامبرياليون الاميركيون وحلفاؤهم على امتداد العالم :

* ٤ نيسان ١٩٤٩ تم في مدينة واشنطن انشاء حلف شمال **الاطلسي** وضم كل من الولايات المتحدة ، المانيا الغربية ، بلجيكا ، كندا ، الدنمرك ، فرنسا ، ايسلنده ، ايطاليا ، لكسمبورغ ، هولنده النروج ، تركيا ، البرتغال ، بريطانيا ، واليونان .

هذا لحلف انشئ للوقوف في وجه ما سمي **بالخطر الشيوعي** .

* ١١ نيسان ١٩٥٤ . اعلن ايزنهاور « ضرورة اتخاذ اجراء فعال لوقف **التغلغل الشيوعي** في اسيا » .

وفي ايلول ١٩٥٤ تم انشاء « حلف جنوب شرق آسيا » (مانيلا) من الدول التالية : الولايات المتحدة ، فرنسا ، استراليا ، نيوزيلنده ، الباكستان ، الفليبين ، وتايلاند

وبدأ تنفيذ هذه المعاهدة في ١٩ شباط ١٩٥٥ **بعد توقيع الفليبين** عليها .

* **حلف السنتو** (بغداد سابقا) تشكل في ٢٤ شباط ١٩٥٥ **من** تركيا والعراق ثم لم تلبث ان انضمت اليه كل من الباكستان وايران وبريطانيا . اما الولايات المتحدة التي اسست هذا الحلف فقد اكتفت شكليا بدعمه والمشاركة بلجانه .. وكان هدف هذا الحلف ايضا **محاربة الشيوعية** وحركات التحرر **في هذه المنطقة** .

قد يستغرب البعض من الهدف وراء ايراد هذه التفاصيل المتعلقة بالاحلاف الامبريالية وتواريخ واهداف انشائها . فالمفروض ان **هذه مسائل معروفة منذ زمن بعيد** .

نحن بدورنا نستغرب ذلك ، لكننا في هذا الزمن المقلوب نجد انفسنا مضطرين لمناقشة البديهيات وابسط المعلومات واكثرها شيوعا .

ذلك ان الاتحاد السوفياتي هو الذي بات متهما بشن **استراتيجية** هجومية للسيطرة على العالم وتطويق اوروبا « وتتخذ **الامبريالية** الاشتراكية السوفياتية الان موقفا هجوميا (..) انها **في السنوات** الاخيرة بذلت جهودا كبيرة في كل من البحر المتوسط **والاحمر** وسواحل افريقيا الشرقية والغربية وسواحل المحيط الهندي **سعيا** لانتزاع جناح اوروبا لكن كل هذه الجهود قد انتهت تباعا **الى الفشل** المخزي » .

الرفاق في مجلة بكين وهم يتحدثون هكذا بالجملة **عن الجمود**

« الامبريالية السوفياتية الهجومية » في كل مكان من المتوسط الى الاحمر الى الهندي الى سواحل امريكيا لا يخوضون بالتفاصيل ، لان هذه جميعها من النوع المصري والصومالي والزائيري التي سبق لنا الكلام عنها ، وبرهنت بالتفصيل لا على « الفشل المخزي » للامبريالية السوفياتية ، وانما برهنت عن عدم (جدارة) الاتحاد السوفياتي (بالغ الجبروت كما يصفه الرفاق) بلقب امبريالي .

وعودة الى اوروبا الشرقية وحلف وارسو الذي « يمارس سياسة التدخل والسيطرة فقد تم انشاء هذا الحلف كما سبق وقلنا كرد على سياسة الاحلاف والتطويق وتحديدا في ١٤ ايار ١٩٥٥ ، اي بعد مرور ٦ سنوات على قيام حلف شمال الاطلسي و٣ سنوات على قيام حلف مانيلا وبعد ٣ اشهر من قيام حلف السنتو .

المطلوب من الاتحاد السوفياتي حتى لا يكون امبرياليا ان ينهي شيئا اسمه حلف وارسو ، رغم أن هذا الحلف نفسه كان محل تقدير وضرورة من وجهة النظر الصينية السابقة للدفاع عن وطن لينين وستالين والمعسكر الاشتراكي ورغم ان هذا الحلف لا زال قائما بمواجهة نفس الاحلاف الاميركية التي تعزز كل يوم بالقواعد العسكرية الاميركية التقليدية والنووية ، وعلى امتداد حدود الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية اما عن ارقام القوات الاميركية والسوفياتية خارج حدود اراضي البلدين (٤٠٠ الف اميركي و٧٠٠ الف سوفياتي) فان مقال مجلة بكين لم يحدد لنا لا **مصدر** معلوماته ولا **تاريخ** هذه الارقام ولا **مكان** تواجد هذه القوات ولا **ممارساتها** ايضا .

ان لعبة الارقام لا تخدع احدا . ولن تدلل على **هجومية طرف** ودفاعية طرف آخر ، وهذا ما يحرص مقال « بكين » **على تأكيده** باستمرار كقوله مثلا : ان الاتحاد السوفياتي يمتلك « **سلاحا بحريا هجوميا** » ، فيبدو ان السلاح البحري يجب ان يكون **دفاعيا حتى** لا يكون صاحبه امبرياليا ، تماما مثل امتلاك القنبلة الهيدروجينية الصينية (**الدفاعية**) . . ان وجود القواعد العسكرية الاميركية يمتد في الدول التي سبق لنا ذكرها عند ذكر الاحلاف العسكرية

بالاضافة الى غيرها من الدول خارج الاحلاف ايضا (المغرب السعودية) .

اضافة الى الوجود الاميركي في اميركا اللاتينية والقائمة على اساس « **مبدا مونرو** » منذ عام ١٨٢٣ والذي تكرس بمعاهدات جديدة عامي ١٩٣٦ و١٩٤٧ .

فهل يمكن مقارنة هذا التوزع الهائل للقوات العسكرية الاميركية في جميع القارات بتمركز القوات السوفياتية في اوروبا الشرقية ، هذا اذا صدقنا ارقام مجلة « بكين » ورغم ان عدد القوات الاميركية التي كانت في فيتنام وحدها قد تجاوز الـ ٤٥٠ الف جندي اميركي حتى عام ١٩٧٣ عدا جنود حلفائها .

ثم ماذا عن الدور الذي **تمارسه** الولايات المتحدة في اميركا اللاتينية والشرق الاوسط والهند الصينية ، وهل يمكن اعتبار ذلك سياسة « دفاعية » رغم كل هذا التوزع والعنف الامبريالي الاميركي ؟ ورغم كل هذه الاحلاف الاميركية التي قامت لوقف الخطر الشيوعي والتغلغل الشيوعي ؟

ان النظرية الصينية الجديدة تتيح خيارا جديدا امام شعوب العالم الثالث ، لانها تستطيع ان تختار بين ان **تقاوم** الاتحاد السوفياتي لدرء الخطر الشيوعي كما تحثها على ذلك كل يوم اجهزة الاعلام الاميركي والرجعية ، او ان تقاوم الاتحاد السوفياتي باعتباره « امبريالية اشتراكية راسمالية » كما تحثها على ذلك اجهزة الاعلام الصيني . اما المزج المبدع والخلاق بين هذين الشكلين من **المقاومة** فسيوصلنا الى التطبيق الحي والعملي لنظرية « العوالم الثلاثة » وتجعلنا نحقق انتصارنا العظيم على الامبريالية السوفياتية » وخطرها « **الحتمي** » بتفجير حرب عالمية .

حقا ان مثل هذه (النظرية) وحدها قادرة على التصدي لمثل هذه « الحتمية » وتحطيمها !

حاولنا فيما تقدم ان نتلمس مظاهر « الاستراتيجية السوفياتية الهجومية التوسعية العدوانية » في

مختلف انحاء العالم وخلال الخمس عشرة سنة الاخيرة ، وهي عمر « الامبريالية الاشتراكية » واثر مثل هذه الاستراتيجية وخطرها في اشعال حرب عالمية .

ان المبرر الوحيد لتحالف العالمين الثالث والثاني + « الحليف الممكن » هو بالضبط من اجل التصدي « لاخطر مصدر لحرب عالمية » « حتمية » وعلى غرار التحالف ضد الفاشية الذي حدث في الحرب العالمية الثانية .

هذا التحالف كما تقول نظرية « العوالم الثلاثة » ممكن لانفراط المعسكر الامبريالي وخروج العديد من بلدانه من دائرة الولايات المتحدة وتوجيهها ، وكذلك حصول الاغلبية الساحقة من دول العالم الثالث على استقلالها ، وهذا هو موضوع الركن الثاني من اركان النظرية الصينية . ورغم اننا لم نجد كما تبين لنا سابقا اثرا لمثل هذه الاستراتيجية الامبريالية السوفياتية العدوانية التي تهدد بحرب عالمية وتقود اليها مما يبرر مثل هذا التحالف فسننتقل الان لمناقشة مثل هذه الامكانية التي تنهض على مقولة الاستقلالية .

■

ثانيا : « الاستقلالية » :

يتوهم الكثيرون من الذين يرددون تعبير « الاستقلالية » انه يعني حق الشعوب وحركاتها السياسية بانتهاج ما تشاء من اساليب النضال وباعلان مواقفها السياسية وبرامجها بصورة حرة ومستقلة بعيدا عن وصاية ونفوذ وهيمنة اي طرف كان . والى هؤلاء الذين يفهمون الاستقلالية بهذا المعنى نقول : نحن معكم . وفي تقديرنا انه ليس هناك اي وطني او تقدمي او ماركسي حقيقي يمكن ان يعارض هذا الفهم . الا ان « الاستقلالية » التي نحن بصددها الان والتي يرددها بعض المفكرين الرجعيين ذوي الطرابيش الحمراء والمشتقة من نظرية « العوالم الثلاثة » والادبيات الصينية قد تعني اي شيء عدا مفهوم الاستقلالية التي سبق لنا الحديث عنه .

فما هي الاستقلالية التي ترتبط بالفرضية الثانية للنظرية

الصينية ؟ : « لم تعد كثير من بلدان المعسكر الامبريالي تخضع لتوجيه الولايات المتحدة » . « واعلنت اغلبية ساحقة من البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة استقلالها على التوالي » .

« ان البلدان والشعوب المعرضة في العالم الثالث تخوض الان نضال **الند للند** ضد القوتين العظميين » . ويتطور نضال بلدان العالم الثاني ضد سيطرة القوتين المهيمنتين السوفياتية والاميركية » .

من المهم ان نلاحظ هنا ان الحديث يجري عن بلدان وشعوب اي عن انظمة العالم الثالث والثاني بعد ان « اعلنت استقلالها » « ولم تعد تخضع لتوجيه الولايات المتحدة » . قد بات من الممكن تحالفهما ضد « الامبرياليتين » .

« الاستقلالية » هنا = امكانية موضوعية للنضال ضد الامبريالية . وهذا يطرح فهما جديدا للامبريالية في صورتها الراهنة ، ومغايرا لصورة الامبريالية في زمن لينين وفهمه له ، كما يقول الرفاق .

الفهم الجديد يقول ان الدول والشعوب في العالم الثالث + دول العالم الثاني وشعوبه جميعهم يناضلون (ومعنى ذلك انهم جميعا **اصحاب مصلحة** في النضال) ضد الامبريالية .

ولاننا نتفق مع الرفاق اصحاب النظرية الصينية على نضال شعوب العالمين الثالث والثاني ، فسنقصر نقاشنا على (نضال) الانظمة في العالمين ضد « الهيمنتين » . وسنبدأ في عالمنا الثالث الذي « هو القوة الرئيسية في النضال ضد الامبريالية والهيمنة » . ان « **التناقض الاساسي** بين الامبريالية والهيمنة من جهة ودول وشعوب العالم الثالث من جهة اخرى » . وذلك هو « **التيار التاريخي** الذي لا يقاوم تيار ان **الدول** تريد **الاستقلال** والامم تريد التحرر والشعوب تريد الثورة . ان الامم المضطهدة في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية من حيث مواقفها **الموضوعية واتجاهها العام** في النضال السياسي العالمي خلال اكثر من ٣٠ سنة هي امم ثورية وتقدمية في **جوهرها وتيارها الرئيسي .** »

وماذا عن الانظمة والطبقات التي ترتبط **مصالحها** بالامبريالية والسوق الراسمالي (او بالسوق الاشتراكي السوفياتي) واين موقعها في خريطة الصين **للتناقضات الاساسية العالمية ؟**

« وفيما يتعلق بالاوضاع الداخلية في بلدان العالم الثالث ، تجري بطبيعة الحال صراعات بين انواع القوى المختلفة . ومن هذه القوى ثوريون حازمون (. . .) وتقدميون ووسطيون بانماطهم المختلفة . وكذلك رجعيون **قليلون** » . لننتبه الان جيدا . « **وقد يكون** من بينها **قلة قليلة** من وكلاء الامبريالية او الامبريالية الاشتراكية .

« هذه الظواهر حتمية لا مناص منها » . « ما دامت الطبقات قائمة » . الا ان كل هذه الظروف المتشابكة والمعقدة لا تؤثر في الحقيقة الاساسية التالية : العالم الثالث هو القوة الرئيسية في النضال (. . .) ان فوارق دول العالم الثالث في ظروفها السياسية لن تغير التناقض الاساسي « بينها وبين الامبريالية والهيمنية » ★ .

يتضح مما تقدم ان الفهم النظري الصيني لاوضاع العالم الثالث واتجاه دوله الاستقلالية يتجاوز كثيرا **ضرورات** تحالفه اولا وتحالفه مع العالم الثاني والحليف الممكن ثانيا ضد « اخطر مصدر **لحرب عالمية** » على طريقة تحالف الاتحاد السوفياتي والدول الراسمالية في الحرب العالمية الثانية ضد الفاشية .

ان الفهم النظري الصيني وتحليلاته للوضع الدولي وخريطة القوى الاجتماعية الطبقية وخاصة في العالم الثالث تتيح امكانية موضوعية لهذا التحالف وتدعو اليه سواء بوجود خطر حربي عالمي ام لا . وهذا هو الاساس المادي من وجهة النظر الصينية ادعوة الاستقلالية لان « الدول تريد الاستقلال والامم تريد التحرر . . الخ . . فهل هذه هي فعلا حقيقة الوضع الدولي ، والاوضاع المحلية في دول

★ لقد حدد ماوتسي تونج بوضوح كامل طبقات وشرائح الشعب الفلسطيني في **مرحلة النضال ضد الامبريالية اليابانية ، وموقع كل طبقة مع او ضد الثورة ، ولهذا** قلنا ان نظرية العوالم الصينية ليست لها علاقة حتى بفكر ماوتسي تونج . راجع **مؤلفات ماوتسي تونج المختارة المجلد الاول ص ١٥ .**

العالم الثالث ، بحيث تتيح امكانية تشكيل جبهة عالمية متحدة ضد الهيمنتيين » ؟

لقد قام الرفاق من اصحاب نظرية (العوالم الثلاثة) وبسبب من الخلاف الصيني ــ السوفياتي بتفصيل العالم ليمكن ادخاله في قالبهم النظري ، وهم من اجل تحقيق ذلك ارتكبوا سلسلة من التشويهات الغريبة .

ان الامبريالية باعتبارها ظاهرة **عالمية** ، وتمارس اليه فعلها اليومي على نطاق العالم لم تقم فقط « **بتعميم العلاقات الرأسمالية** في ثلاثة ارباع المعمورة » (١) ولكنها قامت كذلك بسلسلة من التأثيرات بالغة الاهمية تناولت اعادة صياغة وتشكيل سوقها العالمي : وحدة السوق تقسيم العمل الدولي ، التشكيلات الطبقية في دول العالم الثالث وارتباط مصالح طبقاتها العليا (الكمبرادور اساسا) بمراكز الغرب الامبريالي (المتروبول) لقد كفت الامبريالية ان تكون مجرد عملية نهب واسواق ومناطق نفوذ فحسب ، **الامبريالية تجسدت بامتدادات طبقية ذات مصالح مترابطة مع المركز** ، هذه الوضعية وحدت او تفرض توحيد كافة **اشكال** انضال الوطني والطبقي ضد الامبريالية وامتداداتها المحلية بصورة لم يسبق لها مثيل .

الدول ، الانظمة ، الطبقات التي ترتبط مصالحها الفعلية بالسوق الراسمالية العالمي بقيادة الولايات المتحدة **لن** تناضل من اجل استقلالها وتحررها . ولكنها . وهذا ما تفعله كل يوم تكرس علاقتها وانتمائها بالسوق الراسمالية العالمي وتدافع * عن ذلك بكل ضراوة (قرارات الاوبك الاخيرة ، مواقف مصر وايران

---

١ ــ انظر : التخلف العربي والتحرر العربي . محمد حافظ يعقوب ــ دار ابن رشد ــ ص ٩ .

* اعلن الامير فهد « ان موقف المملكة العربية السعودية من مسالة الاسعار في اجتماعات الاوبك الاخير ، مرتبط بالدفاع عن العالم الحر ومصالحه الاستراتيجية والتي هي بالنتيجة النهائية مصلحة المملكة نفسها » .

مثلا) . اكثر من ذلك فان الامبريالية باعتبارها ظاهرة عالمية ، **نظاما عالميا** قد بات له مركز (المروبول) ، ومحيط تابع (العالم الثالث) .

هذا الوضع وعلى ايدي المنظرين الصينيين ، يحول العلاقة بين الطرفين (دول العالم الثالث والامبريالية) الى **تناقض اساسي** من اجل الاستقلال .

اما التناقضات الطبقية داخل دول العالم الثالث فانها تختزل وتقزم حتى لا تكاد ترى بالعين المجردة « **رجعيون قليلون ، وقد يكون بينها قلة قليلة من وكلاء الامبريالية . . .** »

على ضوء النظرية الصينية الجديدة ليس غريبا ان تختفي هكذا الانظمة والطبقات المستغلة والمرتبطة بالسوق الامبريالي لان الحديث عن هذه (المحرمات) الماركسية ينسف من الاساس النظرية التي تدعو الى التحالف مع بريطانيا والمانيا الغربية وفرنسا واليابان (العالم الثاني) ، بعد ان تكون او خلال تشكيل الجبهة المتحدة من نظمة العالم الثالث وطبقاته المستغلة والمرتبطة وحركاته الثورية التقدمية . . فهل غريب والحال كذلك ان يبارك ذبح الشيوعيين السودانيين الذين اتهموا بمحاولة الاطاحة بنظام ثالثي معاد للسوفيات ، بدلا من الانخراط في جبهة متحدة مع نظام النميري ؟ . . هذه التشويهات الرهيبة لخريطة الصراعات الطبقية على الصعيد العالمي ، وهذا الفهم المضلل (بكسر اللام) لواقع الامبريالية وامتداداتها في الربع الاخير من القرن العشرين يفرض علينا وقفة جادة لمناقشة المسألة برمتها .

ماهية الامبريالية وآلية تطورها وفعلها على الصعيد العالمي :

مع سقوط نظام المزاحمة الحرة في المرحلة الراسمالية لصالح الاحتكارات الضخمة وحيث اصبحت الكارتيلات مع بداية هذا القرن « اساسا من اسس الحياة الاقتصادية بأكملها صارت الراسمالية الى امبريالية » (٢) .

---

٢ لينين ــ المختارات ــ المجلد الاول ــ الجزء الثاني ــ دار التقدم موسكو ص ٣١٠ (الامبريالية اعلى مراحل الراسمالية) .

ان نشوء الرأسمالية الاحتكارية (الامبريالية) عن التمركز الشديد في الانتاج قد ساقت بدورها الى عمليات تسريع الاستيلاء على مصادر الخامات (الصناعية اساسا) .

وكان التجلي الرئيسي للامبريالية بامتزاج ، بوحدة راس المال المصرفي براس المال الصناعي ، ونشوء وسيطرة الطغمة المالية على اساس راس المال المالي ومن ثم تصديره كسلعة ، الى المستعمرات التي هي سبب ونتيجة في مجال نشوء الاحتكار الرأسمالي وتوجيهه ثانية نحو مصادر الخامات ، « ومناطق النفوذ اي مناطق الصفقات الرابحة والامتيازات والارباح الاحتكارية وهلم جرا — واخيرا من أجل الاقاليم الاقتصادية بوجه عام » (٣) وهذا ما يعنينا على وجه التخصيص : لقد تحولت الرأسمالية كما يقول لينين « الى نظام عالمي للاضطهاد الاستعماري والخنق المالي لغالبية سكان الكرة الارضية الساحقة » . هذا النظام العالمي كيف مارس آلية فعله في المستعمرات والاقاليم الاقتصادية ؟ كيف مارس اضطهاده ؟

* اضفاء الطابع المشوه على اقتصاد المستعمرات وفرض اشكال انتاجية وحيدة الجانب عليها .

* اعاقة نمو وعرقلة التطور الطبيعي لاقتصاد البلاد وقواها المنتجة .

* نهب المواد الخام واستغلال الايدي العاملة الرخيصة والاراضي الرخيصة .

* سيادة قانون التبادل غير المتكافىء بين الدول المستعمرة والمستعمرات (على الصعيد التجاري) .

* اعتبار المستعمرات اسواق تصريف واسعة ورابحة بالنسبة للاحتكاريين .

ان كل ما تقدم صحيح الا انه يقدم فقط صورة وصفية لآلية

---

٢ — لينين — المصدر السابق ص ٢٤٣ .

اضطهاد خارجية (اجنبية) الا انه لا يقدم الاجابة الاساسية المرتبطة ـ فيما يتصل بموضوعنا ـ باكتشاف بصمات الامبريالية الاجتماعية على جسم المجتمعات في المستعمرات . . . العالم الثالث عموما . . هذه البصمات التي تعني عمليا تركيبا طبقيا جديدا تولد بفعل الاضطهاد الامبريالي وجملة تشويهاته للمجتمعات العالم ثالثية . ان ما يعنينا هنا على وجه التحديد هو ما حدث في البنية الاجتماعية في التركيب الطبقي والتوزع الاجتماعي .

البرجوازيات الاوروبية تمكنت وبقوة المدافع من دك « كل ما هنالك من اسوار صينية واكرهت اشد البرابرة عداء وكرها للاجانب على الاستسلام واجبرت كل الامم في ظل موت يهددها ان تتبنى النمط البرجوازي في الانتاج » (٤) .

آلية الفعل الامبريالي (الاستعماري سابقا) تتجاوز مفاهيم القهر والنهب والاستغلال باتجاه تدمير كل انماط الانتاج ما قبل الرأسمالي وفرض النمط البرجوازي الاوروبي في الانتاج = علاقات انتاج جديدة = تشكيل وتوزع اجتماعي وتركيب طبقي جديد ، يقف على راس السلم الاجتماعي فيه تحالف اقطاعي . . شبه اقطاعي + برجوازي تابع وضعيف ومشوه ومرتبط بمراكز الغرب الاستعماري (المتروبول) .

مع نهاية العقد الاول من هذا القرن كانت الامبرياليات الغربية قد استكملت عملية **اقتسام** العالم ثم لم تلبث ان دخلت في صراعات عنيفة لاعادة تقسيمه في حربين عالميتين تركت آثارا واسعة على شكل **التطورات اللاحقة** في العالم الثالث .

لقد جاءت مرحلة الاستقلالات **السياسية** عموما في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وبفعل انعدام الوزن النسبي للقوى الامبريالية وخاصة على صعيد دول العالم الثالث :

ـ الاستعمار القديم (بريطانيا ـ فرنسا ـ ايطاليا ـ المانيا ـ

---

٤ ـ ماركس انجلز البيان الشيوعي ـ المختارات ـ المجلد الاول ص ٥٥ .

اسبانيا ــ بلجيكا . .) خرج ضعيفا ومدمرا بسبب الحرب ، حتى من كان منتصرا فيها .

ــ الاستعمار الجديد (الولايات المتحدة) يتحرك على نطاق العالم لوراثة حلفائه فيواجه صعوبات متعددة :

ــ حركة نهوض واسعة لدى مختلف شعوب العالم الثالث من اجل الاستقلال عن الاستعمار القديم ومقاومة الاستعمار الجديد .

ــ بروز الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية كعامل داعم ومؤيد للحركات التحررية والاستقلالية وكعامل كابح لمحاولات الامبريالية الاميركية في السيطرة والتوسع .

على ارضية هذا الظرف التاريخي تمكنت الغالبية العظمى من دول العالم الثالث من الحصول على استقلالها **السياسي** . فما هو الواقع الفعلي المتحقق بهذا الاستقلال بعلاقته مع القوى الاجتماعية وتوزعاتها الطبقية ؟

لا شك ان الاجابة على مثل هذا السؤال لن تحيط بمجموع الخصائص المحلية والظروف المحددة في كل دولة من دول العالم الثالث ويظل بالامكان نقضها او تأكيدها بالعديد من الشواهد ، الا ان الامر الجوهري في الاجابة يظل في تقديرنا صحيحا الى حد بعيد :

لقد تولت احزاب **البرجوازية الصغيرة** عموما قيادة النضالات الجماهيرية الشعبية من اجل الاستقلال في **غالبية** دول العالم الثالث ، واتسمت برامج هذه الاحزاب **بالتأكيد** على مسألة الاستقلال السياسي وخروج قوات الاحتلال الاجنبي ودون ان تتناول المفهوم الفعلي للاستقلال بجانبه الاقتصادي وارتباطه بالتركيب الطبقي المحلي . وكان لغياب الشروط المادية المحددة للاستقلال ان اقتصر الامر على تأجيج المشاعر القومية والكبرياء الوطني وطرد المحتلين . وقد سمحت هذه الوضعية للطبقات البرجوازية (الضعيفة والمشوهة والمرتبطة وحتى للاقطاع وشبه الاقطاع بالمشاركة في هذا النضال الوطني وقيادته في بعض الاحوال ، وحيث تجري مراسيم الوداع (المهيبة) لآخر جندي اجنبي ليرتفع علم الوطن وسط حماس وتهليل الجماهير .

مظاهرات الاستقلال السياسي هذه لم تحل بالطبع دون استمرار العلاقات المتعددة وفي مقدمتها العلاقات الاقتصادية بين دول العالم الثالث وبين مراكز الغرب الاستعماري ، بل ان هذه العلاقات استمرت وتوثقت عبر آلاف الوشائج في طليعتها ارتباط مصالح البرجوازيات بالسوق الراسمالية الذي تزداد **وحدته** طرديا مع الازدياد الهائل في حجم الاحتكارات الاميركية العملاقة .

وكانت الفترة التي شهدت خروج الاستعمار القديم من دول العالم الثالث هي نفس الفترة التي بدات فيها الولايات المتحدة بفرض سيطرتها الفعلية وقيادتها للمعسكر الامبريالي وبالتالي للسوق الراسمالي العالمي ، فأخذت وشائج الاتصال مع (المتروبول) الاوروبي تتنقل **تدريجيا** وبظروف متعددة باتجاه الولايات المتحدة . وكان هذا الامر يجري في غالبية دول العالم الثالث بفعل قيادة البرجوازية اساسا رغم كل الاحاديث المتنوعة عن الشرائح والمراحل والبرامج . في اطار هذه المرحلة وعلى ارضيتها الدولية برزت ظاهرة الانقلابات العسكرية التي نفذتها بصورة اساسية **عناصر** تنتمي للبرجوازية الصغيرة والتي هي اكثر التصاقا بمصالح الجماهير الشعبية مما جعلها تخطو باتجاه بعض الاصلاحات **الديمقراطية** مما فرض عليها التصادم مع المعسكر الراسمالي التي تعرضت مصالحه لعمليات المصادرة والتأميم ، وكان من نتيجة هذه الصدامات ان تتوجه لبناء **علاقات حماية ودعم** مع المعسكر الاشتراكي .

وكان التعبير السياسي عن هذه المرحلة في دول العالم الثالث ما عرف بعدم الانحياز والحياد الايجابي .. الا ان هذا التعبير في جوهره لم يكن سوى تعبيرا عابرا ومؤقتا ارتبط بلحظة تاريخية محددة ، وبوضع دولي انتقالي .

ان مصير اقطاب عدم الانحياز (نهرو ، جمال عبد الناصر ، سوكارنو نكروما ، سيكوتوري) ليس سوى التعبير التراجيدي عن مصير اللحظة التاريخية والمرحلة الانتقالية . ان المصير هنا لا يتناول الافراد وانما يتناول اساسا الدول التي ينتمي لها هؤلاء الاقطاب واتجاهها الفعلي في هذه المرحلة . اما مؤتمرات عدم الانحياز واستمرارها حتى الان فان مراجعة صغيرة لقائمة الدول المشاركة

فيها ومواقفها تؤكد على الفور الطابع الفولكلوري لهذه المؤتمرات باعتبارها تكرار تقليدي لمؤتمرات الخمسينات .

اما التعبير النظري الذي حاول ان يصيغ لدول العالم الثالث قانونا للتطور (التاريخي) انطلاقا من اللحظه المؤقتة والعابرة فقد جاء على ايدي الرفاق السوفيات ونظرية « الانتقال اللارأسمالي نحو الاشتراكية » وكان الاساس الذي انطلقت منه هذه النظرية يعتمد على قيام بعض انظمة العالم الثالث بمجموعة من الاصلاحات الديمقراطية وعلى قاعدة التعاون والعلاقات بين هذه الانظمة والاتحاد السوفياتي .

لقد أكد مؤتمر الاحزاب الشيوعية العالمي المنعقد في موسكو عام ١٩٦٩ ظهور « اشكال جديدة للتطور التقدمي » . وحيث « سلكت بعض الدول الفتية طريقا غير رأسمالي ، طريقا يوفر امكانية تصفية التخلف الموروث من الماضي الاستعماري وتوفير الظروف الضرورية من أجل الانتقال الى التطور الاشتراكي » ويضيف بلاغ الاحزاب الشيوعية قائلا : « وبالرغم من المصاعب ، وبالرغم من التجارب الجدية فان الاتجاه الاشتراكي في هذه البلدان يشق طريقه » (٥) . لا نريد هنا الدخول في مناقشة نظرية موسعة حول هذه المسألة ، لكن يكفي ان نشير الى ان هذه « البلدان الفتيه » التي يشق «الاتجاه الاشتراكي » طريقه فيها والتي اعتمدت النظرية السوفياتية على نموذجها المحدد هي من نوع مصر وغانا والصومال والهند ، ونعتقد ان نظرة واحدة الان على الواقع السياسي والاقتصادي في هذه الدول تكفي لاكتشاف ما تم توفيره من « الظروف الضرورية من أجل الانتقال الى التطور الاشتراكي » . !!

وفي المقابل لا نجد من يدلنا على نظام واحد تحقق فيه هذه النظرية او هذا القانون ولو نجاحا نسبيا مضمونا ، مما يجعل صياغة القانون

---

٥ ــ مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمي ــ موسكو ١٩٦٩ ــ منشورات « السلم والاشتراكية براغ ١٩٦٩ ص ٣٠ » .

المضاد للتطور وباتجاه الراسمالية هـو القانـون الصحيح . ان البرجوازية في السلطة حين واجهت مشاكل السياسة والتنمية خلال (صراعها) مع الاستعمار في المرحلة التي سبق لنا الحديث عنهـا قد اقدمت على حل مشاكلها بصورة « براجماتية » فاقامت العلاقات مع المعسكر الاشتراكي ووسعت قطاعها الحكومي العام . الا ان الطبيعية الطبقية والوظيفية لهذه الانظمة وقمعها المتواصل لكل القوى التقدمية والديمقراطية والجماهيرية كان كل ذلك يوطـد الاساس المادي لسيطرة البرجوازية البروقراطية في قمة السلطة ، وفي قمـة السلم الاجتماعي ، مما سيعني بالنتيجة وبالضرورة انتقال هـذا الوضع المؤقت (بعد ان استنفذ امكانياته في مرحلة محددة) الـى مثيله في السوق الراسمالي العالمي وبعيدا بقدر المستطـاع عـن (السوق) الاشتراكي ، وضد الاتحاد السوفياتـي والمعسكـر الاشتراكي .

ان مسار الدول الاكثر تقدما في العالم وانخراطها اللاحق فـي علاقات السوق الراسمالي يؤكد على الاتجاه العام والفعلي لانظمـة العالم الثالث والتي تبقى رغم خصائصها المتميزه وظروفها التاريخية في اطار العالم الراسمالي وشبكة علاقاته الاقتصادية .

ان عملية التطور التقدمي في دول العالم الثالث (على ارضيـة وحدة السوق الراسمالي) ستجـد نفسهـا مباشرة في مواجهـة الراسمالية العالمية بقيادة الامبريالية الاميركية **وامتداداتها الطبقية** ، ومثل هذه المواجهة ستقودها فقط الطبقات الثوريـة وباتجـاه الاشتراكية .

وفي مقابل هذا الوضع .. هذا الفهم وحين نتأمـل الدعـوة الصينية الجديدة بتشكيل جبهة متحدة من « دول العالم الثالـث وشعوبه » لمواجهة الامبريالية « والهيمنية » وبالطبع مع ضـرورة **« التمييز »** بينهما وتحديد **« الهدف الاول »** : الاتحاد السوفياتي .. نقول اذا تأملنا هذه الدعوة فسنكتشف ان فيها (لسوء الحـظ) جانبا من الصحة :

ان الانظمة الطبقية (في دول العالم (الثالث) والمنخرطة في نظام العلاقات الاقتصادية وآلية السوق الراسمالي العالمي تملك درجة

عالية من « التمييز » بين الامبريالية الاميركية والاتحاد السوفياتي ، وهذه الانظمة تمارس يوميا (نضالها) ضد الاتحاد السوفياتي ولكن ليس بسبب كونه امبريالية اشتراكية ولكن باعتباره اشتراكيا (شيوعيا وملحدا) وهذه الانظمة تشكل (جبهة متحدة) مع الولايات المتحدة باعتباره حليفا استراتيجيا وليس « الحليف الممكن » فقط ، الا ان هذه التقديرات كما نعتقد تظل من وجهة نظر الرفاق الصينيين مسائل شكلية لان الهام في النظرية هو « النضال » ضد الامبريالية الاشتراكية كهدف اول .. واخطر .. الخ ..

يبقى بعد ذلك الجانب غير الصحيح من النظرية والمتعلق بموقف شعوب العالم الثالث ونضالها . فهذه الشعوب تتعرض كل يوم لشتى اشكال الاضطهاد والقهر والاستغلال من انظمتها الطبقية كما تتعرض لذات القهر والاستغلال من الامبريالية الاميركية والتي يمتد نفوذها كما تقول النظرية الصينية الى مختلف مناطق العالم .

الفهم السطحي والمتسرع لنظرية « العوالم الثلاثة » يدفع الشعوب للنضال ضد الامبريالية الاميركية باعتبارها العدو المباشر والملموس بالنسبة لها لكنها تتعرض لابشع اشكال البطش من انظمتها نفسها والتي من المفروض ان تكون معها في « جبهة واحدة » ضد الامبريالية كما تؤكد النظرية ، الا ان هذه الشعوب الحائرة وبقليل من « التمييز » تكتشف (وبمساعدة امنية من انظمتها ومن النظرية الصينية) ان الامبريالية الاميركية هي « حليف ممكن » اما العدو « الاخطر » والهدف الاول فهو « الامبريالية السوفياتية » .

« العوالم الثلاثة » و « التضامن العربي »

ومن اجل ادراك هذا الديالكتيك العبقري للنظرية سنضرب مثلا توضيحيا ومن منطقتنا العربية ، محاولين خلاله ان نطبق هذه النظرية على الواقع العربي بطريقة (خلاقة) :

يحتل العدو الصهيوني المدجج بآلة الحرب الاميركية فلسطين واجزاء واسعة من الارض العربية المحيطة بها ، وهو يهدد بابتلاع

المزيد من الارض ، كما تفرض الامبريالية الاميركية سيطرتها الفعلية على مقدرات الحياة الاقتصادية والسياسية في اقطار متعددة من الوطن العربي وتقيم في اجزاء منه قواعد عسكرية لها (المغرب ، السعودية) ، كما تشكل اقطار اخرى كالاردن اداة مباشرة للولايات المتحدة ومخططاتها في المنطقة ، هذا اضافة الى دورها (عبر ايران والرجعية العربية) في الخليج العربي واليمن الجنوبي . فماذا نفعل في مواجهة هذه الاوضاع ؟

على هذا السؤال ستجيبنا نظرية « العوالم الثلاثة » :

بما « ان الدول تريد الاستقلال والامم تريد التحرر والشعوب تريد الثورة » فان هناك « قاسم مشترك » يجمع كافة الاطراف وهو الاتجاه او القاسم « الاستقلالي » لانه الاتجاه الرئيسي والتاريخي في كافة دول العالم الثالث رغم « **قد يكون قلة قليلة** من وكلاء الامبريالية » فيكون الحل اذن ان « تتضامن » الدول العربية (انظمة وشعوبا) من أجل الاستقلال .

ونظرا لان مسالة الامبريالية وامتداداتها في المنطقة ومصالح الطبقا تو الانظمة المرتبطة بها تبدو مسالة معقدة فسنكتفي هنا بالتضامن الهادف لمواجهة العدو الصهيوني وعلى اساس ان « كل البنادق نحو العدو الصهيوني » كما ينصحنا دعاة « التضامن العربي » .

من أجل ان نقاتل العدو الصهيوني للحصول على الاستقلال فان هناك مجموعة من المتطلبات الضرورية والتي بدونها لا يمكن ان نستقل .

الانظمة العربية المتضامنة ستقاتل العدو (على الارجح) بطريقة عسكرية كلاسيكية (على طريقة الحروب الماضية ولكن بعزيمة اقوى وبتضامن اشد) ومثل هذه الحرب بحاجة لمصادر تسليح حقيقية لمواجهة آلة الحرب الاميركية الهائلة داخل الكيان الصهيوني (نرجو ان لا يحدثنا احد الان عن ارادة الشعوب التي لا تقهر وعزيمتها التي تفل الحديد واعتمادها الثوري على نفسها وامكانياتها فنحن نتحدث عن حرب كلاسيكية مشروطة بتوفر امكانيات عسكرية فعلية :

طائرات ، دبابات ، صواريخ .. الخ ..) وعلينا هنا ان نتذكر ان حرب حزيران مثلا قد دمرت الغالبية العظمى من الامكانيات العسكرية العربية ، والاتحاد السوفياتي كان وحده القادر على اعادة تسليح هذه الجيوش النظامية ، اما حرب تشرين فان معركة الدبابات وحدها في صحراء سيناء قد دمر فيها اكثر من الفي دبابة فكيف سيتم تعويضها ؟ ان العالم الثاني حتى ولو اراد لا يستطيع ان يسلح جيوشا عربية تواجه آلة الحرب الاسرائيلية الاميركية ، كما لن تستطيع الصين ان تفعل ذلك رغم كل المشاعر الاممية .

الحرب الكلاسيكية التي ستخوضها الانظمة العربية المتضامنة بحاجة الى ترسانة الاسلحة السوفياتية . « العوالم الثلاثة » وتابعة « التضامن العربي » ورغم معرفة هذه الحقائق الاولية يدعوان للنضال ضد الاتحاد السوفياتي وبالتالي يدعوان للنضال ضد اية حرب نظامية حقيقية . فهل معنى ذلك ان هذه الانظمة ستتضامن معا ومع شعوبها لخوض حرب تحرير شعبية طويلة الامد ؟ ..

ان تجربة الكفاح الشعبي الفلسطيني مع انظمة التضامن العربي ومسلسل المجازر والمؤامرات التي تعرضت لها الثورة ..

ان هذه التجربة تكفي وحدها للرد على اية اوهام حمقاء يجرؤ اي كان على الاقتراب منها . ثم لماذا نبتعد كثيرا ونحن نلمس بايدينا نتائج السياسة المعادية للسوفيات وكما عبر عنها المثال النموذجي لنظرية العوالم الثلاثة وهو النظام المصري ورئيسه انور السادات والذي وجد كل التقدير والتبجيل من الصين ومن مجموعة المنظرين لمعاداة السوفيات تحت اليافطة الصينية .

ان السياسة المعادية للسوفيات لم تؤد الى توجه كل البنادق نحو العدو الصهيوني ، ولكنها قادت وبصورة عملية ومكشوفة ومباشرة الى القاء البنادق والارتماء في احضان الامبريالية الاميركية والعدو الصهيوني ، فهل هذا الذي حدث مجرد خلل فردي ارتكبه شخص (السادات) على عكس جوهر النظرية ؟ اذا كان الامر كذلك فكيف يمكن تفسير ان جوقة المؤيدين لخطوة السادات هم جميعا

من الملتزمين بنظرية معاداة السوفيات : المغرب ، السودان ، الاردن الصومال ومسقط كما ان معظم الاطراف العربية الاخرى التي التزمت موقف الحياد الشكلي والدعم الفعلي لنظام السادات هي بدورها انظمة حليفة للولايات المتحدة ومعادية للسوفيات بينما نجد في المقابل ان بقية الاطراف التي لم تعلن الحرب على الاتحاد السوفياتي باعتباره عدوا ، بل ان بعضها يعتبر نفسه صديقا له قد رفضت خطوة السادات وبغض النظر عن دوافع وحجم هذا الرفض وفعاليته وتفاوته بين نظام وآخر .

يبدو واضحا ان نظرية التضامن العربي تجد رواجها في حالة توجيه كل البنادق نحو « العدو السوفياتي » اما عندما يتصل الامر بالعدو الصهيوني والامبريالية الاميركية فان هذه البنادق تسقط لتحل مكانها الانخاب والتحيات في القدس والقاهرة .

« نظرية العوالم الثلاثة » وفرخها المحلي « التضامن العربي » ستجد نفسها مدعوة لكي تنسجم فعلا مع منطقها ان تعتبر الكيان الصهيوني ايضا « **حليفا ممكنا** » . وانطلاقا من ضرورة « **التمييز** » بين الاعداء الرئيسيين يجب ان يكون « الهدف الاول » لدى جميع دول المنطقة (من ايران الى المغرب ومرورا بالقواعد العسكرية الاميركية في السعودية والاردن والكيان الصهيوني) ان تتحالف في جبهة واحدة ضد تلك السفينة الامبريالية السوفياتية اللعينة التي تجوب البحر المتوسط لبسط هيمنتها وسيطرتها على المنطقة .

ان الترجمة العربية للنظرية الصينية قد قادت وتقود الى هذه الاستنتاجات العملية مطبقة بصورة (خلاقة) على واقعنا العربي تحت شعار « التضامن » ونرجو ان نكون بذلك قد وفقنا بشرح الديالكتيك العبقري لنظرية « العوالم الثلاثة » وتقديمها بصورة مبسطة الى جماهيرنا العربية لكي تكرس تضامنها وموقعها الفاعل في « تيار العالم الثالث التاريخي » ضد « الهيمنية السوفياتية » .

العالم الثاني :

بعد هذا الاستعراض للعالم الثالث عموما وللمنطقة العربية كجزء

منه ، علينا ان ننتقل الان الى العالم الثاني المدعوين للتحالف معه في جبهة عالمية واسعة ، وذلك على اعتبار ان المعسكر الامبريالي قد انفرطت حلقاته ولم يعد تابعا للولايات المتحدة اما المثال الناصع على هذه الحقيقة فهو الموقف الفرنسي . ان اي متتبع للوضع السياسي الفرنسي في هذه المرحلة يستطيع بسهولة شديدة ان يلاحظ وجود فارق كبير في الموقف الفرنسي الان قياسا للموقف في المرحلة الديجولية ، مما يشير بصورة أولية الى ان ذلك الموقف المناوىء للولايات المتحدة قد جاء تعبيرا عن لحظة محددة وارتبطت بشخص محدد نستطيع ان نطلق عليها : اللحظة الديجولية . يكفي ان نشير الى ان الدور العسكري الفرنسي الاخير في زائير قد تم فقط بعد الاستئذان من الولايات المتحدة وكما اعلن ذلك رسميون اميركيون . فاذا تجاوزنا الموقف الفرنسي رغم ذلك مسلمين جدلا بتمايزه عن بقية مواقف دول العالم الثاني الرئيسية ، فعلى اي اساس يصح القول بخروجها من الحلف الامبريالي بقيادة الولايات المتحدة ؟ ان التعبير الفعلي عن وجود مثل هذا الحلف يرتبط اساسا بتبعية اعضائه **العسكرية** للولايات المتحدة في اطار حلف شمال الاطلسي الذي سبق لنا تعداد الدول الاوروبية المشاركة فيه .

هذا الحلف العسكري المدعوم بالقوات والقواعد العسكرية الاميركية والاسطول السادس لا زال قائما كما كان .

اما التعبير الفعلي الاخر عن وجود هذا الحلف واستمراره فيتصل بالجانب **الاقتصادي** وبحجم الاحتكارات الاميركية ودورها في اقتصاد هذه الدول كما في داخل دول العالم الثالث ايضا .

في اعقاب الحرب العالمية الثانية وخلال ثلاثين سنة (١٩٤٥ ــ ١٩٧٦) وصل الراسمال الاميركي الى درجة عالية من التمركز مما سرع من معدلات تصديره للخارج « ارتفعت الاستثمارات **الشخصية** الاميركية المباشرة في الخارج من ١١ر٨ مليار دولار اميركي عام ١٩٥٠ الى ١٣٧ر٢ مليار دولار اميركي عام ١٩٧٦ » . « جاء في احصائيات رسمية اميركية ان عائدات الاستثمارات الشخصية الاميركية في الخارج بما فيها مكافآت البراءات قد وصلت في عام ١٩٧٦ الى ٢٢ر٤ مليار دولار اميركي ونسبة الربح زادت على

١٦ ٪ » هذا الوضع هيأ قاعدة اقتصادية هائلة للقوة الامبريالية الاميركية تمكنت من خلالها ومن خلال « الكتل العسكرية المتنوعة التي تسيطر عليها ان اقامت لنفسها مركز سيادة لم يسبق له نظير في العالم الرأسمالي ، واوقعت بقية الدول الرأسمالية تحت رحمتها » .

ان التنامي الهائل في حجم الاستثمارات الاميركية في العالم الرأسمالي يقوم اساسا داخل عدد من الدول الرئيسية في العالم الثاني وخصوصا في المانيا الغربية وايطاليا واليابان ، ورغم ذلك فان مجلة بكين تؤكد على ان دول اوروبا الغربية واليابان قد اعادت « بناء قوتها الاقتصادية تدريجيا وطورتها ، ودعمت منافستها للولايات المتحدة ان ما يسمى هنا بالمنافسة بين اليابان مثلا وبين الولايات المتحدة ليس في حقيقة امره اذا وجد سوى منافسة بين الشركات الاحتكارية الاميركية نفسها والتي توظف مليارات الدولارات داخل اليابان وذلك لوجود المواد الخام والايدي العاملة الرخيصة مما يتيح لرأس المال الاميركي تحقيق أرباح فاحشة تزيد على (١٦ ٪) مما يكشف عن الوجه البشع لرأس المال الاحتكاري الاميركي في استغلال الشعوب في العالمين الثاني والثالث .

النظرية الصينية تؤكد على أن دول العالم الثاني « تتعرض للسيطرة والظلم من قبل القوتين العظميين » نحن بالطبع لا نستطيع ان نفهم السيطرة والظلم خارج اطار علاقات الاستغلال الامبريالية . وهذا هو المبرر الموضوعي لتحالفها مع العالم الثالث ، الا ان النظرية نفسها ورغم اعلانها هذا تؤكد على انفراط المعسكر الامبريالي وخروج دوله به ومنافسته للولايات المتحدة !!

ان مثل هذه الكمية الهائلة من المقدمات والنتائج المتناقضة لا يمكن العثور عليها الا داخل مدرسة الديالكتيك المسماة بنظرية « العوالم الثلاثة » .

■

ثالثا : عدم وجود معسكر اشتراكي بسبب تحول الاتحاد السوفياتي الى الامبريالية :

تناولنا فيما تقدم ركنين من اركان النظرية الصينية الثلاثة ، وهما « حتمية » الحرب التي سيكون اخطر مصدر لها الاتحاد السوفياتي ، والاتجاه الاستقلالي لدول العالم الثالث ، وانفراط المعسكر الامبريالي وخروج دوله من تحت قيادة الولايات المتحدة ، وسنعرض فيما يلي الافتراض او الركن الثالث لنظرية « العوالم الثلاثة » .

كيف تم اختفاء المعسكر الاشتراكي ، وكيف تحول وطن لينين الاشتراكي الى امبريالية ؟

« ان الطفمة التحريفية السوفياتية المرتدة حولت الاقتصاد الاشتراكي العالي التمركز الى **اقتصاد راسمالي احتكاري للدولة عالي التمركز** فوصلت في **هذا** التمركز الى درجة تعجز عنها الولايات المتحدة » . هذا الاتهام **الوصفي** بالغ الاهمية والخطورة كما يبدو للوهلة الاولى لا يعني شيئا في حقيقة الامر . فالاقتصاد **الاشتراكي** عالي التمركز تحول الى اقتصاد راسمالي عالي التمركز . ولكن **كيف حدث هذا التحول ، وما هي المتغيرات التي وقعت في بنية التكوين الاقتصادي والاجتماعي فيما يتصل بالملكية وبالتشكيل الطبقي داخل الاتحاد السوفياتي ؟** النظرية الصينية لا تقول شيئا في هذا المجال ، وانما تهرب لوصف سياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية التوسعية العدوانية الامبريالية ، وخصوصا داخل اوروبا الشرقية ، وفي هذا المجال ايضا لا نجد ما تقوله سوى تكرار بعض الانتقادات الصحفية التي اوردتها على لسان صحف اوروبية شرقية من نوع « ان العمل على تنظيم كل شيء يعني عدم تنظيم شيء » وما شابه ذلك من ملاحظات .

ان الحديث عن الامبريالية يتصل اساسا كما هو مفترض براسمالية احتكارية ذات طابع تصديري ، وحيث من المفترض ان يحتل « الروبل » مركز النظام النقدي في سوق التداول داخل دول المنظومة الاشتراكية والدول التي تتعامل مع الاتحاد السوفياتي ، وذلك في مقابل النظام النقدي العالمي المتمركز في الدولار الاميركي .

الا ان المنظرين الصينيين لا يقتربون من هذه الموضوعات مكتفين

بايراد معلومات وارقام واوصاف من نوع « تقوم الامبريالية الاشتراكية السوفياتية في **جنون** متزايد **بالتغلغل والتوسع الى شتى** المناطق في العالم **وتستعرض** قوتها في كل مكان في **البر والبحر والجو** .. »

ومن نوع الحديث عن « السفن البحرية **الهجومية** » وامتلاك السوفيات لآلاف الرؤوس النووية اضافة للقوة العسكرية التقليدية مع ذكر ، أرقام عن الدخل القومي السوفياتي .. الخ ..

وعندما تحاول مجلة بكين ومنظروها تجاوز هذا الكلام الذي لا يعني شيئا ولا يقنع أحدا باتجاه الحديث عن مسائل محددة لكشف طبيعة العلاقات الامبريالية الاحتكارية التي يقيمها الاتحاد السوفياتي مع بعض دول العالم الثالث فاننا نجد مسائل من هذا النوع : « ان سعر الفحم الحجري والحديد الزهر وغيرهما من السلع التي يصدرها الاتحاد السوفياتي الى مصر يفوق السعر الذي يصدر به نفس السلع الى المانيا الغربية بـ ٨٠٪ وحتى بأكثر من ١٥٠٪ » وتكمل مجلة بكين قائلة « ومما ورد في الصحافة الغربية انه في ايام الحرب الاسرائيلية في اكتوبر ١٩٧١ » لم تطالب روسيا بتسديد ثمن اسلحتها المصدرة نقدا فحسب ، بل رفعت سعرها عندما وصلت الحرب إلى ذروتها وبعد ان دفعت هذا المبلغ بعض الدول العربية الرئيسية المصدرة للنفط بالدولار الاميركي ، اقرض الاتحاد السوفياتي هذه الاموال الى الاسواق الاوروبية بفائدة تصل الى ١٠٪ او اكثر » . (المصدر الذي استقت منه مجلة بكين هذه المعلومات من مجلة موني مانيجه ، الاميركية ١٤ ايلول ابريل ٧٤) .

لو اننا سلمنا جدلا بصحة المعلومات والارقام الواردة في مجلة بكين والمستقاة من الصحافة الغربية والاميركية .. فما هي دلالاتها الفعلية :

ـ ان الرأسمالية الاحتكارية تفرض شروطها المجحفة على الدول والشعوب من خلال هيمنتها العسكرية والاقتصادية عليها ، ولوجود شبكة هائلة من العلاقات والروابط الاقتصادية بين البلدين ، وفي حال فقدان هذا الشرط الاساسي كما هو وارد حول اسعار

الاسلحة في حرب تشرين من مصر واقراضها للاسواق الاوروبية فان العملية في النهاية لن تعني شيئا .

لقد قام النظام المصري بطرد السوفيات وشن الحرب عليه والتشهير به من خلال ارتمائه في احضان الامبريالية الاميركية واخيرا العدو الصهيوني . فلا يمكن بالتالي القول ان الاتحاد السوفياتي يمارس هيمنة امبريالية على مصر بفرض شروطه عليها . وهذا الكلام ينسحب بدوره على الاسواق الاوروبية وهي اسواق رأسمالية بالطبع اختارت ان تقترض من الاتحاد السوفياتي بفائدة مقدارها ١٠٪ مقابل فائدة اميركية تصل الى ١٦٪ فهل المطلوب من الاتحاد السوفياتي ان يقدم قروضه للسوق الرأسمالي الاوروبي بدون فوائد والا فانه يكون امبريالي . اين هو المنطق الذي يمنح الكلام السابق بعض الاحترام .

تأملوا مثلا هذه المفارقات : مقال بكين يحتج ويكشف امبريالية الاتحاد السوفياتي لانه يصدر السلع الى مصر بنسب تفوق ٨٠٪ عن سعرها في المانيا الغربية ، فهل المطلوب تخفيض السعر لمصر او رفعه بالنسبة للالمان ؟ ثم هي تحتج لانه يقبض ثمن الاسلحة من الدول العربية النفطية ويقرضه للاسواق الاوروبية بفائدة ١٠٪ فهل يجب تنقيص او زيادة هذه النسبة ؟ واضح ان الاحتجاج موجه ضد ان يبيع السوفيات للالمان الغربيين السلع باسعار ارخص من مصر ، فما هو وجه الاحتجاج اذن على فوائد القروض للاسواق الاوروبية والتي تصل الى ١٠٪ .

والان علينا ان نتجاوز هذه الدائرة الضيقة والمتناقضة من الارقام والشواهد ونتناول ما هو جوهري فعلا في علاقة الامبريالية بالدول التابعة لها والتي تتعامل معها .

ان الدور الذي يلعبه راس المال الاحتكاري لمصلحة الدول الامبريالية المتقدمة يقوم اساسا على تشويه واعاقة نمو الاقتصاد الوطني للدول النامية والمتخلفة وفرض نمط انتاجي وحيد الجانب على سياستها الاقتصادية ويتم ذلك اساسا بحرمانها من بناء

صناعتها الثقيله او بمباشرة كهربة البلاد على نطاق واسع لابقائها مصدرا للمواد الخام وسوقا لاستهلاك انتاجها الصناعي الضخم .

ان بناء الصناعة الثقيلة في الدول النامية يعني على المدى القريب بناء الركيزة المادية للاستقلال الوطني ، والاستغناء الفعلي عن الارتباط بالسوق الرأسمالي العالمي وشبكة احتكاراته الهائلة ، ان هذه السياسة الامبريالية معروفة للجميع ولا تحتاج لادلة او براهين ، وفي المقابل نرى ان اساس الدعم الذي يقدمه الاتحاد السوفياتي حتى ولو جاء بصورة قروض يقوم اساسا على بناء الصناعة الثقيلة وكهربة البلاد التي يتعامل معها (بناء المصانع في مصر والهند .. السد العالي وسد الفرات .. الخ ..)

وحول هذا الموضوع سنسجل هنا شهادة للرئيس جمال عبد الناصر كما اوردها وزير الصناعة المصري عزيز صدقي : « جاء وودز (احد مديري البنك الدولي) يوما الى القاهرة والتقى بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر حيث ناقشا امكانية مساهمة البنك الدولي في عمليات التنمية في مصر . وبعد اللقاء حدثني الرئيس عبد الناصر تلفونيا وقال لي بالحرف الواحد : « انا كان عندي دلوقت مستر وودز من البنك الدولي وقال لي « ريح نفسك لا تطلب قروضا **للصناعة** لانه ليس من سياسة البنك الدولي ان يساعد دولة كمصر على التصنيع لان سياسة البنك محكومة بسياسة الولايات المتحدة الاميركية ، وسياسة الولايات المتحدة لا تشجع على معاونة الدول النامية على التصنيع » واضاف عبد الناصر : « امامك الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ولا تضيع وقتا مع غيرهم » (٦) .

اما فيما يتصل بفوائد القروض السوفياتية على بناء هذه المصانع وشروط الدفع فتتم « بعد مرور عام من استكمال بناء المصنع (لكي يكون الدفع من عائد الانتاج) وبأقساط لمدة اثنتي عشر عاما وبفائدة لا تتجاوز ٢ر٥٪ » (٧) .

---

(٦) الطليعة المصرية ـ يوليو ١٩٧٥ من مقابلة مع الدكتور عزيز صدقي .
(٧) المصدر السابق .

أما الشروط الغربية (في حال موافقتها على بناء بعض المصانع التي لا يتعارض بناؤها مع المصالح الرأسماليه الاحتكارية) فتقضي (بالدفع الفوري او بالتقسيط على خمس سنوات بعد دفع ٢٥٪ من الثمن اولا وبفائدة قدرها ٦٪ » (٨) .

بالمناسبة الدكتور عزيز صدقي ليس شيوعيا سوفياتيا بل هو وزير صناعة يدلي بتصريح علني لمجلة معروفة ليحدد ارقاما وحقائق من موقعه في السلطة ، ولا يستمد ارقامه من بعض الصحف الغربية .

ان عملية التلقيط « التي قام بها المنظرون الصينيون لم ينتج عنها سوى كومة هائلة من المعلومات المتناقضة والارقام والنسب المئوية التي لا تعني شيئا ، وحاولوا من خلال هذا الركام ان يصيغوا مقدمات ونتائج لنظرية عالمية اسمها « العالم الثلاثة » اختلطت فيها القوى والطبقات والعوالم بصورة لم يسبق لها مثيل ، مما يقود الى تمييع حقيقة وجوهر التناقضات الطبقية على الصعيد العالمي ، ومما دفع حتى اشد حلفاء الصين وهو الحزب الشيوعي الالباني لاعلان رفضه الحاسم لهذه النظرية .

ان العالم ينقسم الى نظامين اساسيين :
النظام الرأسمالي والذي يمتد في مختلف اقطار العالم وفي المقابل النظام الاشتراكي وحركة الشعوب المناضلة من اجل الاشتراكية .

ويكمن جوهر واساس التناقض العالمي في وحدة نضال الشعوب ضد الامبريالية الاميركية وامتداداتها الطبقية وفي مقدمتها الكمبرادور مما يجعل الاشتراكية هدفا مباشرا لنضال هذه الشعوب بعد تحقيق انتصارها على العدو الطبقي ــ الامبريالي .

ان العالم **الواحد** ينقسم الى **نصفين** ، اما النظرية الصينية فقد (برهنت) على ان للعالم **الواحد ثلاثة انصاف** ، فكانت نظرية « العوالم الثلاثة » .

---

(٨) المصدر السابق .

منير شفيق وتناقضات التحليل مع الماركسية اللينينيه

مع صدور هذا العدد من دراسات عربية يكون قد مضى شهران على نشر مقالة منير شفيق « حول التناقضات في الوضع العربي العام » (★) التي أثارت ردود فعل حادة لا تزال تتفاعل حتى الآن .

ان تناولنا اليوم لهذه المقالة ليس بسبب اهمية الافكار التي تطرحها . أو بسبب خطورة النتائج والمواقف التي تدعو اليها ، بل لانها اولا تحمل وجهة نظر كاتب تقدمي (★★) ومناضل بين صفوف حركة ثورية . معروف بمواقفه وممارساته التي تتناقض جذريا مع دعوته الجديدة . ولانها ثانيا قد تنسحب على قوى سياسية كان منير شفيق يلتقي معها قبل ان يفاجيء الجميع بهذا الموقف السياسي الجديد .

من حق منير شفيق علينا قبل مناقشة آرائه ان تعرض وجهة نظره كاملة وبدرجة أعلى من الوضوح الذي حاول تجنبه ، بدوافع ايجابية من جهته ، ليتسنى الاطلاع عليها لمن فاته قراءة المقال او مر عليه مرورا سريعا دون تفحص دقيق . وحتى نتمكن من عرض وجهة نظره كاملة وواضحة . وجدنا من المفيد الاعتماد على دراسته المنشورة في نفس الشهر بعنوان « حول موازين القوى بعد حرب تشرين » (★★★)

(★) دراسات عربية . العدد ١٢ تشرين الاول ١٩٧٤ .

(★★) لقد جاءت الفترة اللاحقة لهذا المقال لتؤكد كافة الحقائق التي أوجدنا انفسنا هنا لكشفها ، وزاد عليها بسلسلة مواقف وتحالفات حسمت موقعه نهائيا كمنظر لليمين الرجعي رغم اصراره على ارتداء الطربوش الاحمر .

(★★★) قضايا عربية . تشرين الاول ١٩٧٤ .

ينطلق منير شفيق في تحليله للوضع العام من ابرز الاهمية العالمية للمنطقة العربية (استراتيجيا ، بتروليا وماليا ، جغرافيا ، الكيان الصهيوني والمسألة الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي) ، مما يستدعي تحديد السمات الخاصة لطبيعة مختلف القوى واتجاهاتها وصراعاتها عالميا ومحليا :

اولا : بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية .
يحدد منير شفيق السمة التي تتميز بها العلاقة بين الدولتين الكبريين في منطقتنا « بالصراع والتنازع بصورة مطلقة » وبأن اي « اتفاق لتسوية الوضع في المنطقة مسأله محالة ، وان اقصى ما يمكن ان يحدث هو اتفاق جزئي عابر وسريع لزوال غير قابل ان يكون ذا عمر طويل » .

هذا الصراع بين الدولتين الكبريين لا يتم مباشرة « وانما يمر عبر القوى المحلية » ، وهذا « **يزيد التناقضات القائمة اصلا فيما بين القوى المحلية** ، ويسبغ عليها صفة اشد حدة وعنفا . وهذا يضع عقبة كبيرة اضافية في طريق امكانية توصل الاطراف المحلية الى تسوية قضاياها . ويمكن ان نلحظ هذه السمة في مجالين ، الاول : بالنسبة للصراع العام بين الاطراف العربية وبين العدو الصهيوني ، اما المجال الثاني بالنسبه لعلاقات الاطراف العربية فيما بينها . الامر الذي يزيد من الدور العدواني للكيان الصهيوني من ناحية ، ويزيد من امكانات الانقسامات العربية الى محاور متصارعة ، كل محور تدعمه احدى الدولتين الكبريين من ناحية ثانية » .

ثانيا : حول قوانين الصراع مع الكيان الصهيوني .

في هذا المجال يحدد منير شفيق الطبيعة العدائية للتناقض بين الشعب الفلسطيني والغزوة الصهيونية . « اما بالنسبة لسمات الصراع بين **الانظمة العربية عموما** وبين الكيان الصهيوني فقد اتخذت بدورها طابعا عدائيا هي الاخرى منذ البداية وقد عرفت اربعة حروب حاميه عدا ما عرفته الحدود من اعتداءات صهيونية ومعارك استنزاف » .

ما هو موقف الانظمه العربية في هذا الصراع ؟ يقول منير شفيق : « حقا كانت هنالك دائما اتجاهات قوية عند الانظمة العربية لتهدئة صراعها مع العدو الصهيوني وتجنب الحرب الحامية » . اما سبب فشل هذه الانظمة في انجاح سياسة التهدئة وتجنب الحرب فمرده الى « الطبيعة العدوانية التوسعيه للكيان الصهيوني وبسبب الطبيعة العدائية للصراع ، وبسبب **التدخل الامبريالي والصراعات الدوليه** » .

ثالثا : حول التناقضات بين الدول العربية .

يحدد منير شفيق اسباب التناقضات والمحاور العربية بوقوع المنطقة العربية تحت تأثير **النفوذ الامبريالي الخارجي** . فالمحاور تتشكل « وفقا للتبعية الاستعمارية بالدرجة الاولى ، ولكن ذلك لم يمنع من ان تتشكل محاور ضمن مناطق النفوذ الامبريالي الواحد ، بسبب صراع القيادات الرجعية على الزعامة ، وبسط سيطرتها الاقليميه » . غير ان هذه التناقضات والمحاور كانت تشتد او تضعف « بمستوى ازدياد حدة او هبوط حدة التناقض مع العدو الصهيوني » كما حدث في السنوات ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٧٣ .

على ضوء هذا الفهم والتحليل يدعو منير شفيق الى :

« تضامن عربي واسع ، مدعوما بنضال حازم ضد **النفوذ الامبريالي** » لانه « **حيث وجد نفوذ امبريالي خارجي لا بد من اهتزاز أي تضامن عربي** » . (التأكيدات جميعها من عندنا) .

ذلك ان « المعركة ضد العدو الصهيوني محكومة **بقانون** (التأكيد منا) يفرض مثل هذا التضامن العربي ومثل ذلك النضال ضد **النفوذ الامبريالي** » .

□

حاولنا فيما تقدم أن نعرض وجهة نظر منير شفيق كاملة بأقصى ما تسمح به عملية التلخيص ، ودون أي تدخل من طرفنا خلال العرض .

التسلسل المنطقي في تحليل منير شفيق يحدد اولويات النضال

كما يلي :

(أولا) : النضال لطرد وانهاء النفوذ الامبريالي كشرط لتحقيق المهمة الثانية (ثانيا) : التضامن العربي وصولا الى (ثالثا) : قتال العدو الذي يحقق بدوره مزيدا من التضامن فالاستقلالية فالقتال ، مما يوجد علاقة جدليه متبادلة بين المهمات الثلاث يؤدي استمرارها الى تحقيق اهداف الثورة العربية .

سنناقش الان هذه العناوين الثلاثة :

اولا : النضال ضد النفوذ الامبريالي

علينا ان نحدد بداية هذا النفوذ الامبريالي الذي أصر منير شفيق على تركه عائما ومعلقا على امتداد مقالته حتى نوجد أرضية واضحة للنقاش . وعلى الرغم من ان منير شفيق لن ينفي ان المقصود بالنفوذ الامبريالي هما الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي ، فاننا مطالبون باثبات هذا القصد من خلال مقالته نفسها . واضح ان الدول العربية المعنية أساسا بالتضامن والقتال وطرد النفوذ الامبريالي هي دول المجابهة المباشرة عسكريا واقتصاديا . وهذه الدول المعنية تتحدد ارتباطاتها الدولية مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي اللذين يحرص منير شفيق على تحديد سمة الصراع بينهما فيما يتعلق بمنطقتنا ووضعنا العام ، مطلقا على تناقضهما تسمية « الصراعات الامبريالية » و « مناطق النفوذ الامبريالي » . وهو على الرغم من ايراده كلمتي النفوذ الامبريالي مرات عديدة فانه لم يلحق هذه العبارة مرة واحدة بتحديد هويه هذه الامبريالية اذا كانت اميركية او غربية او « سوفياتية » . في مقالته بمجلة « قضايا عربية » يبدو منير شفيق اكثر وضوحا في تحديد الاتحاد السوفياتي وضرورة العمل على طرده وانهاء نفوذه : « وكان الاتحاد السوفياتي قد عمد أيضا الى تثبيت حالة اللاحرب واللاسلم (. . .) في حين راحت القوى العربية تخوض صراعا ضاريا ضد هذه الحالة (. . .) وبالفعل اندلعت حرب اكتوبر كنقيض لحالة اللاحرب واللاسلم » .

ما هو الصراع الضاري الذي خاضته القوى العربية ؟..

أليس هو اخراج السوفيات من مصر ؟! هل احتاجت عملية اخراج السوفيات الى صراع ضار فعلا أم ان العملية تمت بقرار أصدره الرئيس السادات خلال دقائق ، ونفذه السوفيات خلال ايام ، بعد تواجد استمر خمسة عشر عاما بناء على طلب من عبد الناصر والنظام المصري ؟ هل يدخل الامبرياليون حقا ويخرجون بهذه الطريقة الى ومن مناطق نفوذهم ؟!

غير ان المسألة الاهم من ذلك هي اعتبار الاتحاد السوفياتي دولة امبريالية يجب محاربة وجودها ونفوذها .

نحن هنا امام موقفين من هذه القضية :

الموقف الاول : هو اعتبار الاتحاد السوفياتي دولة امبريالية وبالتالي يجب محاربتها وانهاء أي شكل من اشكال وجودها في بلادنا ، بل وأي شكل من اشكال العلاقات معها ، وفضحها وشن النضال ضدها سياسيا وايديولوجيا وحتى بالبنادق .

الموقف الثاني : هو اعتبار الاتحاد السوفياتي دولة اشتراكية كبرى لنا معها خلافات اساسيه حول العديد من القضايا (التعايش السلمي ، القضية الفلسطينية ، الهجرة اليهودية ، الوحدة العربية الخ) ، ومع ذلك فان مصلحتنا الوطنية والقومية في صراعنا الدموي والمسلح مع العدو الصهيوني والامبريالي تتطلب منا ان نسعى للاستفادة من حالة التناقض بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ونقيم علاقاتنا ونحددها على ضوء مصلحتنا اولا وبما لا يتناقض مع برنامجنا السياسي الوطني والثوري . ومصلحة الاتحاد السوفياتي تفرض عليه ان يتجاوب مع مطالبنا ما دام في حالة تناقض وصراع مع الامبريالية الاميركية فيما يتعلق بمنطقتنا العربيه .

ان اختيار احد هذين الموقفين لا تقرره رغباتنا الذاتية ، وانما تفرضه طبيعة التناقضات والصراعات على المستويين العالمي والمحلي . ان دعوة منير شفيق لتضامن عربي يقاتل « اسرائيل » تحتاج الى سلاح ، ومصادر السلاح في العالم معروفة ومحدودة (نحن نتحدث ضمن منطق منير شفيق عن تضامن الدول العربية) ، فهل يجوز والامبريالية الاميركية تدجج العدو الصهيوني بالسلاح والاموال (بمعدل مليارين من الدولارات سنويا) ان نتصدى نحن

« للامبريالية السوفياتية » ونناضل ضدها سياسيا وايديولوجيا وعمليا ؛ أليس معنى ذلك تصاعد قوة العدو وضعفنا في مواجهته ؟

هنا قد ينشأ أكثر من احتجاج ، كالقول مثلا ان اعتبار الاتحاد السوفياتي دولة امبريالية او اشتراكية مسألة لا تقررها مصالحنا ، وانما تقررها الطبيعه الحقيقية للاتحاد السوفياتي . ان هذا الاحتجاج وارد ومنطقي ولكننا نعتقد ان حسم هذه المسألة ليس مهمة هذا الحوار . ان الحركه الثورية الاشتراكية العالمية التي تضم بين صفوفها ملايين المناضلين منقسمة الان ايديولوجيا وسياسيا حول هذه القضية ، من هنا كان رأينا انه من غير المجدي الخوض فيها الان . لكننا حتى لو سلمنا جدلا ان الاتحاد السوفياتي امبرياليه اشتراكيه وفي نفس الوقت متناقضة مع الامبريالية الاميركية في منطقتنا ، فان مصلحتنا الوطنية تفرض مراعاة مجموعة من الاعتبارات الضرورية بما لا يتعارض مع الاهداف الاستراتيجية لنضالنا ولمصلحتنا العليا . وهذا يعني في التطبيق العملي اتباع سياسة نقدية تجاه مواقف الاتحاد السوفياتي كموضوع الهجرة مثلا وفي نفس الوقت الحرص على عدم قطع الجسور معه ووضعه في خانة الاعداء . وهذا يتطلب منا ان لا نكون طرفا في الصراع داخل الحركة الشيوعيه العالمية . واذا كان الموقف الصيني في هذا المجال يعبر عن مصالح الصين الراهنة ، فليس من الضروري ان يعبر عن مصالح بلادنا في فترة صراعها مع الامبريالية الاميركية . مثلما لم يكن من مصلحة الصين ان تعادي الامبريالية الاميركية في فترة صراعها مع الاحتلال الياباني ، بل نجد ماوتسي تونج يسمح للجيش الاميركي باستخدام الاراضي الصينية المحررة خلال الحرب ، كما نجده يدعو الى التحالف مع الاقطاعيين الصينيين عملاء الولايات المتحدة ضد الاقطاعيين الصينيين عملاء اليابان .

اضافة الى الاعتراض السابق ، ربما ينشأ اعتراض آخر وهو ان يرفض الاتحاد السوفياتي مدنا بالسلاح والدعم الا في ظل شروطه بأن تكون له مناطق نفوذ وان يكون له الحق في التدخل بقرار القتال ونتائجه الخ . فما هو العمل ؟ ان مثل هذا الاعتراض عليه ان يثبت ان ممارسات الاتحاد السوفياتي في المنطقة العربية خلال اكثر من خمسة عشر عاما كانت بهذه الكيفية ، كما عليه ان يثبت ان الرئيس السادات لم يتمكن من شن الحرب في تشرين الا بعد أن شن الحرب ضد النفوذ الامبريالي السوفياتي وطرد خبرائهم من مصر ، كما عليه ان يثبت ان الرئيس الاسد لم يقاتل في تشرين

الا بموافقة السوفيات الموجودين في سوريا ، وكذلك الرئيس البكر . نحن نعتقد ان الامر الطبيعي ان يسعى الاتحاد السوفياتي كدولة عظمى لها استراتيجيتها السياسيه على النطاق العالمي الى الضغط على الاخرين — اذا احتاج الامر — للسير في اطار هذه الاستراتيجية ولكننا نعتقد في نفس الوقت ان الوضع الدولي يسمح للقوى العربية اذا ارادت ، وفي ظل علاقاتها الراهنة والسابقة مع الاتحاد السوفياتي ، ان تختار الطريق الذي تريد في صراعها مع العدو كما اثبتت الاحداث حتى الان . لقد بدأ عبد الناصر حرب الاستنزاف بعد حزيران ١٩٦٧ خلال وجود السوفياتي في مصر ، وهو لم يوقف هذه الحرب بناء على تعليمات موسكو لكنه اوقفها بعد موافقته على مشروع روجرز الشهير وبهدف بناء قواعد صواريخ سام السوفياتية كما قيل فيما بعد .

ما الذي يجعل منير شفيق يصر على طرح امبريالية الاتحاد السوفياتي ونفوذه وضرورة انهائه ، الخ ؟ هل لان الاتحاد السوفياتي يريد ان يفرض على الانظمة المرتبطة به موقفه السياسي من مسألة الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية ؟ وهل يوجد اصلا خلاف بين الطرفين حول هذه القضايا ؟

نحن نعرف ان الاتحاد السوفياتي قد قدم بعد حرب حزيران ٦٧ عدة قرارات لفرض الانسحاب الاسرائيلي بلا قيد او شرط ، وبعد فشل هذه القرارات ونجاح المشروع البريطاني الذي وافقت عليه معظم الدول العربية كما وافق عليه الاتحاد السوفياتي ، اصبحت قضية الموقف مما يسمى بمشكلة الشرق الاوسط هي وجود موقف مشترك سوفياتي وعربي ، وهذا الموقف هو الذي (تناضل) الانظمة العربية للوصول اليه منذ حزيران ومن اجله خاضت حرب تشرين . فهل يحتاج السوفيات الى الضغط والتدخل لفرض تراجعات سياسيه عربية تنسجم مع الموقف السوفياتي ؟! وهذا الكلام ينطبق بدوره على موقف الانظمة العربية من القضية الفلسطينية اذا لم نقل **ان موقفه افضل من موقف عدد كبير من هذه الانظمة .**

تبقى بعد ذلك نقطه هامة ، وهي اختلاف البرنامج الثوري

الفلسطيني في تحرير فلسطين واقامة الدولة الديمقراطية مع البرنامج السوفياتي الذي يقف فقط مع قرارات الامم المتحدة من القضية الفلسطينية . فهل « النفوذ الامبريالي السوفياتي » في الساحة الفلسطينية ، على اعتبار انها احدى مناطق نفوذه ، هو السبب في التعديلات والتراجعات التي دخلت على البرنامج الفلسطيني ام ان السبب نابع من الساحة الفلطينية ذاتها ؟!! وهذا السبب هو الذي دفع باتجاه الاتحاد السوفياتي من أجل تثبيت البرنامج الفلسطيني المعدل دون أن يكون السوفيات بحاجه الى توجيه أي ضغط بهذا الاتجاه . الا اذا كان المطلوب من الاتحاد السوفياتي ان يضغط ويناضل في الساحة الفلسطينية ليحافظ الفلسطينيون على برنامجهم السياسي !! مرة أخرى نتساءل لماذا اذن هذا الموقف المعادي من الاتحاد السوفياتي ومساواته بالامبريالية الاميركية ؟ الا يخدم مثل هذا التوجه في نهاية المطاف الامبريالية الاميركية التي يمتد وجودها العسكري في اكثر من دولة عربية ، عدا دولة الكيان الصهيوني وتركيا وايران . كما يمتد نفوذها الامبريالي في غالبية الدول العربية التي يدعوها منير شفيق للتضامن .

نحن نعتقد أن تسليط النار على الكيان الصهيوني والامبريالية الاميركية والانظمة الرجعية والعميله المرتبطة بها هو الموقف السياسي الصحيح ، وسنجد الاتحاد السوفياتي حليفا لنا في المعركة في النهاية اذا كنا **نحن بالفعل** نخوضها بجدية وعزيمة واستمرار ، سواء على المستوى العربي او الفلسطيني . اما أن نطالب السوفيات بأن يكونوا ملكيين اكثر من الملك ، واذا لم يفعلوا ذلك فهم امبرياليون تجب محاربتهم ، فتلك حرب لن نشارك فيها .

□

ثانيا : التضامن العربي

يعتقد منير شفيق ان هناك امكانيات موضوعية لتضامن عربي يقاتل العدو ويتصدى للتسوية كما حدث في أربع حروب خاضتها الانظمة العربية . وهو لهذا ينصح بالابتعاد عن سياسة

المحاور والتنابذ ، والتوجه صفا واحدا وقلبا واحدا لقتال العدو الصهيوني والامبريالي ، فهذا العدو هو المستفيد من التجزئة ، وهو الذي يهدف الى « تمييع موقف الجبهة العربية » . وهذا الموقف كما يقول منير شفيق في « قضايا عربية » : « صالح للتطبيق العملي على اوسع نطاق ، ويحقق مصلحة غالبية القوى التي خاضت حرب تشرين ، بما في ذلك مصلحة مصر نفسها ، كما يؤدي الى تكريس مكتسباتها ومتابعة انتصاراتها » .

ورغم ذلك فان القوى التي قادت حرب تشرين طرحت في مقابل هذا الخط « خطا سياسيا آخر فتح ، بدوره الباب ، أمام السعي للتسوية » .

لماذا تفعل الانظمة التشرينية ذلك ؟ وتقف ضد مصالحها نفسها كقوى وطبقات ؟ ولماذا « حقا هناك دائما اتجاهات قوية عند الانظمة العربية لتهدئة صراعها مع العدو الصهيوني وتجنب الحرب الحامية » ؟ . . . لماذا يصر منير شفيق على الفصل بين الحرب وبين طابعها السياسي ؟ اليست الحرب امتدادا للسياسة ؟ او ليست السياسة تعبيرا عن مصالح قوى طبقية محددة ؟

وهل نحن مع اي تضامن عربي يتم باسم الحرب ومن اجل الحرب ؟

ما هو البرنامج السياسي للانظمة المدعوة للتضامن الان ؟

وما هو الهدف من سياستها الحربية حتى نقف داعين ومصفقين لتضامنها وحربها ؟!

بعد ذلك هل صحيح ان الانظمة العربية خاضت اربع حروب حامية ضد الكيان الصهيوني ؟

هذه الاسئلة وعشرات غيرها تتطلب منا وقفة جدية لوضع الاجابات الصحيحة عليها حتى نخرج من أسار العقلية الانشائية التي تدعو للوحدة المقدسة وتحرير الوطن السليب من ايدي قوى البغي والعدوان .

الذي يحدد طابع الحرب كما يقول لينين هو بمعرفة « اية **طبقة**

تشن هذه الحرب ، وما هي السياسة التي الحرب امتداد لها » (١)

ان الحروب التي تشنها او تخوضها الطبقات المستعبدة او الدول والشعوب المستعمرة بغض النظر عن طبيعة الطبقات التي تقود هذه الحروب هي من وجهة النظر الماركسية ـ اللينينية شرعية وتقدمية وعادلة « مثلا ، اذا اعلنت مراكش غدا الحرب على فرنسا ، والهند على انكلترا ، وايران او الصين على روسيا ، الخ ، فان هذه الحروب ستكون حروبا « عادلة » . و « دفاعية » ايا كان البادىء ، وكل اشتراكي سيتمنى انتصار الدول المضطهدة ، التابعة التي لا تتمتع بكامل حقوقها ، على الدول « الكبرى » المضطهدة ، المستعبدة ، النهابة » (٢)

بهذا الفهم علينا ان نحاكم حروب الانظمة العربية وسياساتها . فهل خاضت الانظمة العربية حرب ٤٨ العادلة والشرعية والتقدمية من أجل تحقيق هدف سياسي يمنع الحركة الصهيونية من اقامة كيان وطني لها ، والمحافظة على فلسطين عربية ؟ ام ان هذه الانظمة تحت قيادة الامير عبد الله والجنرال كلوب قد حاربت من أجل تثبيت قرار التقسيم الجائر وامتصاص الانتفاضات الجماهيرية الفلسطينية والعربية والالتفاف عليها ؟

يقول ناجي علوش عند حديثه عن الاوضاع في فلسطين

في العامين الحاسمين ٤٧ ، ٤٨ « وكانت فلسطين محاصرة حصارا محكما . كان هنالك الحصار الذي فرضه الاستعمار البريطاني منذ سنة ١٩١٧ (....) وكان هنالك الحصار « العربي » . ذلك ان دول الجامعة العربية فرضت على نفسها ، وعلى فلسطين ان تكون وصية عليها . فقررت في البدء تشكيل لجنة عسكرية . ثم قررت دخول جيوشها . وكانت هذه الدول مطايا للاستعمار ، ولا

---

(١) لينين . الثورة والمرتد كاوتسكي . المجلد الثالث الجزء الاول ص ١٥١ .

(٢) لينين . حركة شعوب الشرق التحررية الوطنية ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

سيما مملكة شرقي الاردن التي طمعت بالحصول على جزء من فلسطين . وكانت تعمل على تحقيق ذلك بكل الوسائل » . (٣)

فهل الدول العربية (مطايا الاستعمار) تحت قيادة الامير عبد الله (قائد الجيوش العربية) الذي دخل الحرب للحصول على جزء من فلسطين ، كانت تخوض حربا حامية ضد الحركة الصهيونية لتحقيق هدف سياسي وطني وتقدمي وشرعي يجعلنا نطلق على حروب هذه الانظمة صفة التناقض العدائي ، ويجعلنا نسترشد بهذه الحرب للدعوة الى تضامن عربي ؟

ان التضامن العربي عام ١٩٣٦ قد اجهض الثورة الفلسطينية مما مكن هذا التضامن عام ١٩٤٨ من تثبيت الكيان الصهيوني واقتسام ما تبقى من الوطن الفلسطيني .

صحيح ان الانظمة العربية بعد عام ٤٨ لم تعترف بهذا الكيان بسبب ظروف متعددة ومعروفة في ذلك الوقت . فهل يحقق التضامن العربي الجديد خلال وبعد حرب تشرين في ظل الظروف الجديدة هذا الاعتراف ؟! خاصة ان القادة المصريين في حرب تشرين قد اعلنوا ان هدف الحرب هو تحريك قضية الشرق الاوسط بهدف « فرض » تنفيذ قرار ٢٤٢ الذي يعترف باسرائيل وحدودها الامنة الخ . يبدو ان الخطأ الذي وقع فيه منير شفيق في تحليله للوضع العربي ناتج من اقتناعه بمضمون نظرية صينية جديدة مفادها ان دول العالم الثالث ومن بينها الدول العربية تنحو باتجاهها العام للتخلص من مناطق النفوذ الامبريالية الاميركية والسوفياتية ، وتحرص السياسة الصينية على تعزيز هذا الاتجاه والدفع نحو توضيحه وبلورته . وهذا يفسر الدعم الصيني لدول مثل ايران والحبشة والسودان بعد مذبحة الشيوعيين . منير شفيق يعتقد ان الانظمة العربية تتجه بدورها موضوعيا في هذا الاتجاه

---

(٣) ناجي علوش . المقاومة العربية في فلسطين . دار الطليعة . الطبعة الاولى ص ١٦٤ .

التاريخي العام . ومن هنا فان موقف الرئيس السادات في طرد الخبراء السوفيات هو تأكيد لهذا القانون كما ان موقف السعودية والدول النفطية خلال حرب تشرين هو تأكيد آخر . يقول منير شفيق في « قضايا عربية » :

« ان القرار العربي باعلان حرب اكتوبر وخوضها ضمن تضامن عربي عريض وبنجاحات عسكرية وباستخدام سلاح النفط ، وبتأييد عالمي واسع زعزع مواقع الامبريالية الاميركية واخرج الوضع من تحت سيطرتها » . كذلك فقد « خرج الاتحاد السوفياتي بعد حرب اكتوبر اضعف نفوذا في البلاد العربية ، وقد بدا واضحا ان قرار الحرب ونتائجها قد افلت الامور من تحت سيطرته ، (....) ان ضعف سيطرة كل من الاتحاد السوفياتي والامبريالية الاميركية على الوضع في المنطقة ، وان يكون هنالك كلمة مسموعة للاطراف العربية في الصراع يشكل عاملا ايجابيا في اختلال موازين القوى لمصلحة الجبهة العربية عموما » .

كما ان « حظر النفط العربي عن الولايات المتحدة الاميركية وتضامن الدول العربية المنتجة للنفط ، اظهر الاهمية الكبرى للبلاد العربية على النطاق العالمي وخطورة سيطرتها على جزء كبير من حاجة العالم ، خاصة الدول الصناعية ، للطاقة . وقد برز مع هذا الجانب امتلاك الدول العربية للكمية الضخمة من النقد العالمي » .لقد قاد هذا الحظر النفطي كما يقول منير شفيق الى « اندفاع اوروبا واليابان نحو الدول العربية طلبا لصداقتها والتعامل الاقتصادي معها بما في ذلك تقديم تنازلات سياسية لها . وهذا بدوره ، اذا ما احسن استخدامه ، يساعد البلدان العربية على تعزيز الاتجاهات الاستقلالية فيها » .

هل احسنت الدول العربية استخدام ذلك ؟ واذا هي لم تحسن فهل المسالة من قبيل الصدفة ؟ ان تحليل منير شفيق يقود الى وجود امكانية موضوعية لكي تغير الدول العربية تحالفاتها على المستوى العالمي تاكيدا لاستقلاليتها التي بدت واضحة خلال وبعد حرب تشرين مباشرة . نحن نعتقد ان تغيير صيغة التحالفات الاقتصادية والسياسية مسالة هامة وكبيرة لا يجوز اخضاعها لمجرد

صدفة او احتمال ما ، قد يحدث او لا يحدث . ان تضخيم بعض الظاهرات السطحية التي برزت خلال وبعد الحرب واعطاءها صفة الامكانية الموضوعية والتاريخية ـ كمسألة قطع النفط السعودي مؤقتا عن الولايات المتحدة ـ ثم الاتكاء على هذا التضخيم ، يهدف الى تمرير وجهات نظر خاطئة كالقول ان الدول النفطية نتجه موضوعيا ضد النفوذ الامبريالي (هنا الاميركي) ؛ وباتجاه مواقف استقلالية عربية ، وبالتالي القول بضرورة التضامن مع هذه الدول من اجل القتال والتحرير .

في مقابل الظاهرات السطحية التي حاول منير شفيق ان يعطيها صفة القانون (الاتجاهات **الاستقلالية** ، تغيير التحالفات) سنطرح الحقائق المادية الدامغة التي تفرض (نفوذها) على المنطقة بعد حرب تشرين :

« ارتفعت بنسبة محسوسة ، في النصف الاول من هذه السنة (١٩٧٤) قيمة الصادرات الاميركية الى الدول العربية (...) اذ قفزت قيمة الصادرات الاميركية الى الدول العربية من ٨١٦ مليون الى مليار و٤٧٥ مليون دولار . وسجلت المستوردات الاميركية من الدول العربية في الوقت ذاته قفزة مماثلة اذ ارتفعت من ٥٠٤ ملايين دولار في النصف الاول من ١٩٧٣ الى ٩٠٦ ملايين في النصف الاول من ١٩٧٤ اي بزيادة مقدارها ٧٩٪ وقد ارتفع تبعا لهذه الارقام فائض المبادلات التجارية بين الطرفين من ٣١٢ مليون دولار في الاشهر الستة الاولى من السنة الماضية الى ٥٦٨ مليون دولار في الفترة المماثلة هذه السنة ، ويصب للفائض المذكور في مصلحة الولايات المتحدة .

وقد حلت السعودية ومصر في طليعة المستفيدين من الارتفاع الحاصل في قيمة المبادلات التجارية العربية ـ الاميركية ، اذ قفزت الصادرات الاميركية الى السعودية في الفترة المذكورة بنسبة ١٥١٪ بينما ارتفعت صادرات الولايات المتحدة الى مصر بنسبة ٨٥٪ » . (٤)

---

(٤) النهار البيروتية ٧٤/١٠/٢٦ .

هذا ما تقوله الارقام عن ازدياد النفوذ الاميركي بعد حرب تشرين فماذا تقول الوقائع السياسية ؟

سنترك منير شفيق يجيب على هذا السؤال :

« ١ ــ ان الدور الذي لعبته الامبريالية الاميركية في تحقيق اتفاقات فك الارتباط . . . انقذ هيبتها ، واتاح لها الظهور بمظهر « القوة الوحيدة القادرة » على التأثير بالوضع في منطقة الشرق الاوسط .

٢ ــ عودة العلاقات الدبلوماسية مع مصر وسوريا ، وما تبع ذلك من تصريحات حول الصداقة مع اميركا . خفف عزلتها عربيا فبدت وكأنها لم تعد عدوا يجب تسليط النار عليه .

٣ ــ عقد الاتفاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية بين السعودية والولايات المتحدة **دعم موقفها ونفوذها على نطاق واسع** وذلك من خلال اعادة تقوية قبضتها على النفط السعودي .

٤ ــ افادت اميركا من عودتها الى البلاد العربية على هذه الصورة ، وخاصة مسألة وقف حظر النفط واتفاقياتها مع السعودية ، وعلاقاتها مع مصر . لكي تمارس اشد الضغوط على اوروبا الغربية وتشعرها بأن حصولها على النفط سيبقى عبر الشركات الاميركية . وكان هذا احد العوامل التي تفسر الانتكاسة المؤقتة التي حدثت لاتجاه دول اوروبا الغربية ، خاصة فرنسا ، الرامي الى الانفلات من التبعية الاميركية » . (٥)

يبدو ان الظاهرة السطحية والعابرة التي التقطها منير شفيق خلال الحرب (موقف الدول الاوروبية واليابان) وحاول من خلالها صياغة **امكانية موضوعية** تسمح بتعزيز الاتجاهات الاستقلالية العربية بعيدا عن مناطق نفوذ الدول الامبريالية الكبرى تحتاج

---

(٥) قضايا عربية العدد السادس ، تشرين الاول ١٩٧٤ .

الى مراجعة شاملة ليس لطبيعة الانظمة والقوى المحلية وانما للوضع الدولي وتأثيرات رأس المال الاميركي على أوروبا واليابان

كما يبدو ان الاتجاهات الاستقلالية العربية ، وخاصة السعودية ، لا تقود الى تقوية القبضة الاميركية على الوضع العربي فحسب ، وانما تقود أيضا الى تقوية قبضتها على الدول الاوروبية التي يراهن منير شفيق على العلاقة معها لتكون بديلا للعلاقات مع الامبرياليات الكبرى . ويبدو أيضا ان دعوة منير شفيق لطرد النفوذ الامبريالي والتضامن العربي تجد صداها في طرد النفوذ « الامبريالي السوفياتي » فقط بينما يتعزز النفوذ الاميركي وتقوى قبضته . اما التضامن العربي فيبدو ان شرط حدوثه موضوعيا يتم فقط تحت شعارات التسوية على ضوء برنامج النظامين المصري والسعودي ، وليس على ضوء برنامج ثوري يهدف الى تعبئة كافة القوى المادية والمعنوية العربية لخوض نضال ضار طويل يحرر فلسطين ويحقق اهداف الثورة العربية .

ثالثا : القتال

ان اعتقاد منير شفيق بان هناك تناقضا رئيسيا بين **الانظمة** العربية والعدو الصهيوني عبر عن نفسه « بأربعة حروب حامية » كان آخرها حرب تشرين يمكن ان يعبر عن نفسه موضوعيا بقيام جبهة عربية عريضة يسميها شفيق « تضامن عربي » ، تتصدى للعدو الصهيوني .

لقد سبق لنا الحديث عن « حرب » الـ ٤٨ ، وقلنا أن هدف الانظمة العربية لم يكن نفي « النقيض » الصهيوني ، بل على العكس تثبيت الهدف الصهيوني باقامة كيان له . اما حرب تشرين فان بعض ظواهرها الايجابية قد اوقعت منير شفيق ، الذي يحرص باستمرار على ان يصفها بأنها **مجيدة** ، في فخ الانتقائية والتجزيئية بديلا عن القاء نظرة كلية على الحرب بمقدماتها وخلفياتها ونتائجها مما يدعونا الى ازالة الاوهام العالقة بهذا الموضوع الهام الذي يبني منير شفيق على أساسه خطه السياسي الجديد . اذا كانت الحرب استمرارا للسياسة كما يقول لينين ،

فينبغي على من يريد تقييم حرب تشرين ان « يدرس السياسة قبل الحرب ، السياسة التي تفضي وافضت الى الحرب » (٦)

لانكم « اذا لم تدرسوا السياسة المطبقة منذ عشرات السنين من قبل مجموعتي الدول المتحاربة بشكل لا يبدو معه أي شيء صدفيا ، واذا لم تحذروا من المحاكمة بناء على امثلة منعزلة . واذا لم تبينوا ما يربط هذه الحرب بالسياسة السابقة فانه من المؤكد انكم لم تفهموا شيئا من هذه الحرب » . (٧)

فما هي سياسة الانظمة العربية قبل حرب تشرين والتي جاءت الحرب استمرارا لها ؟ اليست هي السياسة المبنية على قرار ٢٤٢ ؟ السياسة المتجهة نحو التسوية وانهاء الصراع مع العدو الصهيوني ؟ سياسة قمع الجماهير وعدم تعبئتها وتسليحها واعدادها لخوض القتال مع العدو ؟ سياسة مصادرة المنجزات الاشتراكية والديمقراطية . وفي نفس الوقت السياسة التي ترتمي في احضان الامبرياليين الاميركيين وتستغل رسلهم ومشاريعهم (برانجر . سكرانتون . سيسكو ، روجرز ، كيسنجر ، نيكسون) ؟ .

اذا كان هذا هو الاتجاه الرئيسي للسياسة العربية . خاصة منذ حرب حزيران . فهل يعتقد منير شفيق ان « التضامن العربي » الراهن الذي « قاتل » في حرب تشرين يمكن من خلال الحرب ان يغير سياسته خلال الحرب نفسها . . لقد اثبتت التجربة الحية ان حرب تشرين قد كرست السياسة السابقة ، وجعلت دعاتها اكثر قوة . ان سير المعارك العسكرية لا يغير الا من حيث الشكل سياسة الانظمة والطبقات التي تخوض الحرب ، لنستمع الى راي

---

(٦) لينين . حول الوطن والوطنية . ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، ص ١٠١ .

(٧) لينين . نصوص حول المسائل العسكرية . ترجمة الهيثم الايوبي ص ٢٦٨ .

لينين حول هذه المسألة « ترتبط كل حرب بشكل لا يقبل الانفصام مع النظام السياسي الذي تنبثق عنه ، انها السياسة التي تمارسها قبل الحرب بمدة طويلة دولة محددة ، وطبقة محددة داخل هذه الدولة . **تلك السياسة التي تتابعها هذه الطبقة نفسها خلال الحرب بشكل محتوم مؤكد ولا تبدل سوى شكل عملها** » . (٨)

ان هذه الرؤية الماركسية اللينينية للحرب تزيل كثيرا من الاوهام العالقة بحرب تشرين وتفسر حتى سير العمليات العسكرية في الايام الاولى ثم وقف اطلاق النار المفاجيء ما دام هدف الحرب قد تحقق بتحريك القضية لانها كما يقول الجمصي رئيس اركان الجيش المصري « كانت حرب تحريك ، وليست حرب تحرير » . (٩)

لقد حققت حرب تشرين هدفها بازالة عقبة الجمود التي وقفت في طريق تحريك التسوية . يقول ماوتسي تونج « تندلع الحرب كي تزيح العقبات التي تعترض طريق السياسة .. وحين تزاح العقبة وتحقق السياسة هدفها ، تقف الحرب » . (١٠)

على ضوء هذا الفهم لطبيعة الحرب عموما ، ولحرب تشرين على وجه الخصوص ، هل يكون الاستنتاج الصحيح هو الدعوة للمحافظة على الجبهة التشرينية العسكرية والبترولية وما يسمى بالتضامن العربي ام بكشف اسباب هذا التضامن ودوافعه الحقيقية ؟

لقد شهدت المنطقة العربية في الفترة الممتدة بين حزيران ٦٧ وتشرين ١٩٧٣ اتجاهين سياسيين رئيسيين :

الاول : اتجاه القوى الساعية نحو التسوية ، بما ينسجم مع طبيعتها الطبقية وايديولوجيتها .

---

(٨) لينين . نصوص حول المسائل العسكرية ص ٢٦٤ .

(٩) مجلة البلاغ العدد ١٤٢ في ٧٤/٩/٣٠ .

(١٠) ماوتسي تونج . المقتطفات ص ٦٢ .

الثاني : اتجاه القوى الوطنية والثورية الرافض للتسوية والمصمم على القتال والتحرير .

وقد عبر كل من الاتجاهين عن خطه السياسي بسلسلة من المواقف السياسية والعملية ، الداخلية والخارجية ، وقد ادى التناقض بين الاتجاهين الذي وصل في بعض مراحله الى درجة الصدام الدموي المسلح (صدامات الثورة الفلسطينية فوق الساحة العربية ، صدامات القوى الشعبية الطلابية والعمالية في مصر) الى وضع اصحاب الاتجاه الاول في خانة حرجة تهددهم بالسقوط ، فكان مخرجهم الطبيعي والوحيد من هذا الوضع هو الالتفاف على الضغوط الشعبية وامتصاصها عن طريق تنسجم مع خطهم السياسي وايديولوجيتهم ومصالحهم . على ضوء هذا الفهم نستطيع فقط ان نفهم لماذا اندلعت الحرب ولماذا توقفت ، كما نستطيع ان نكتشف عبر التجربة الحية صحة الموضوعة اللينينية التي تقول ان « الحرب امتداد للسياسة بوسائل اخرى » وترتبط كل حرب بشكل لا يقبل الانفصام مع النظام السياسي الذي تنبثق عنه . انها السياسة التي تمارسها قبل الحرب بمدة طويلة دولة محددة وطبقة محددة داخل هذه الدولة تلك السياسة التي تتابعها هذه الطبقة نفسها خلال الحرب بشكل محتوم مؤكد ولا تبدل سوى شكل عملها » .

التضامن العربي وحرب التحرير الشعبية

ليست صدفة ان الخط السياسي الذي يطرحه منير شفيق يخلو من اية اشارة الى حرب التحرير الشعبية . وليس معنى ذلك ان منير شفيق لا يؤمن بهذه الحرب ، ولكن لان طرح هذه القضية يخل بالبناء النظري الذي اقامه وبدعوته الى تضامن عربي وحرب تضامنية عربية . ان التعرض لموضوعة حرب الشعب طويلة الامد سيفرض عليه الحديث عن البرنامج السياسي لهذه الحرب الشعبية الذي يتناقض جذريا مع برنامج الانظمة المتضامنة واستراتيجيتها ، كما يتناقض مع اطروحات منير شفيق السابقة : « ان النقطة الحاسمة هي ضرورة الارتباط العضوي بين استراتيجية حرب الشعب طويلة الامد للثورة الفلسطينية ، وبين استراتيجية كلية

لحرب الشعب طويلة الامد للثورة العربية » . (١١) ولهذا يهرب منير شفيق من هذا التناقض دون ادنى اشارة لعلاقة الاستراتيجية الثورية الفلسطينية باستراتيجية التسوية والحل السياسي في اطار التضامن العربي الراهن .

تبقى نقطة اخيرة لا بد من توضيحها :

نحن نعتقد ان مجموعة الاوضاع العالمية والمحلية وطبيعة التناقض الرئيسي بين الكيان الصهيوني والامبريالية الاميركية من جهة وبين الجماهير الفلسطينية وحركة التحرير العربية من جهة اخرى ، ستقود الى مزيد من التفجرات والصراعات والحروب ، ولهذا فنحن نؤمن ان الحرب العربية الاسرائيلية الخامسة ستشتعل دون ريب . (١٢)

ان « التضامن » الذي نؤمن به وندعو اليه هو تضامن القوى الوطنية والثورية الفلسطينية والعربية حول برنامج سياسي ثوري يرفض اتجاه التسوية ويتصدى له ، ويؤمن تعبئة كل القوى على طريق التحرير الشعبية العربية لالحاق الهزيمة بمثلث الاعداء الصهيوني والامبريالي الاميركي والرجعي .

ان هذا الموقف لا يعني للحظة واحدة ان نقف ضد الحروب التي تخوضها الانظمة العربية . ان هذه الحروب يجب ان تكون مناسبة لكي تدفع القوى الثورية خلالها باتجاه حرب التحرير الشعبية العربية كطريق وحيد للنصر ، كما تدفع باتجاه انتزاع مزيد من الحريات الديمقراطية للجماهير الشعبية . على هذا النحو فقط يمكن توظيف الصراع في المنطقة لخدمة البرنامج السياسي

---

(١١) منير شفيق ، بين استراتيجية التحرير الكامل واستراتيجية الحل السياسي ، دار الطليعة ، ص ١٤١ .

(١٢) نزيه ابو نضال ، دراسات عربية العدد التاسع ١٩٧٤ .

الثوري وبلورته تنظيميا وسياسيا وايديولوجيا وعمليا ، حتى تتمكن جماهير الامة العربية من تمييز قواها الطليعية الثورية المعبرة عن مصالحها الحقيقية وتطلعاتها ، وحتى تكون قادرة بالتالي على التصدي لبرنامج التسوية وليس هنالك حل « تضامني » بين الخطين والبرنامجين .

(كانون اول ١٩٧٤
دراسات عربية)

الثورة الفلسطينية والفكر التوفيقي
« رد على مقولات ناجي علوش » ★

عند فواصل الانعطافات التاريخية الهامة ، حيث تبدأ عملية الفرز الحقيقي للطبقات والقوى والافكار ، يصاب كثير من مثقفي البرجوازية الصغيرة **بالدوار** فيحاولون عبثا الاتكاء على مسلماتهم ومفاهيمهم القديمة من جانب ، والانسجام مع الافكار والتطلعات الجديدة من جانب آخر . بيد ان هذه المحاولة العبثية الترقيعية تنتهي عادة بالسقوط في احضان « الاصلاحية » باسوأ معانيها ،

★ بعد مرور اكثر من عام على طرح ناجي علوش لمقولاته اصدر في تشرين الاول من عام ١٩٧٦ كراسا صغيرا بعنوان « الخط العلمي الثوري » يتنصل فيه من مواقفه السابقة ويرد بالاسم على منير شفيق ونهجه اليميني التضامني . وهو حين فعل ذلك لم يتوقف لحظة واحدة امام طروحاته السابقة ليحاكمها بروح ماركسية نقدية وجادة ، بل ذهب الى عملية تبرير شخصية لم تحقق شيئا لا على مستوى الدفاع على النفس ولا في الهجوم على الخصوم . ورغم ذلك فاننا نرحب بخروجه من دائرته السابقة ووقوفه ضد طروحاتها اليمينية المنحرفة التي لا يزال منير شفيق منخرط فيها .

ومن هنا فان تثبيتنا لهذا الرد على مواقف ناجي علوش السابقة ، انما يستهدف اساسا الرد على اتجاه وخط لا يزال موجودا ، وهمه الوحيد الدفاع عن التضامن العربي والرجعية العربية ، والهجوم على الاتحاد السوفياتي والاحزاب الشيوعية العربية .

بعد زيارة السادات الاخيرة لاسرائيل ازداد اصحاب هذا الاتجاه اليميني ضعفا وبلبلة وتشتتا وهم يواصلون يوميا انحدارهم الذريع نحو النهاية .

ويتحول هؤلاء المثقفون الى منظرين للتضامن والوفاق بين قوى الثورة الجديدة وبين القوى الطبقية المتخلفة وحتى الرجعية المعادية منها .

وعادة ما تجد الطبقات المهددة في هؤلاء المنظرين من اصحاب النشاط التوفيقي افضل اصدقائها . ذلك انهم يسهمون في تمييع عمليات التحول الاجتماعية العنيفة . وتخفيف اثارها الى ادنى درجة ممكنة .

وفي منطقتنا العربية حيث يتكالب الاعداء القوميون والطبقيون على تكريس الاحتلال الصهيوني لفلسطين ومنحه شرعية الوجود ، وعلى تثبيت مواقع الامبريالية الاميركية ، وفتح منافذ جديدة لها لبسط نفوذها وسيطرتها .. في هذا الوقت بدأت اعتى القوى الرجعية والعميلة في المنطقة العربية تحتل دور الصدارة في تصريف شؤون المنطقة والاشراف على مقدراتها ومستقبلها ، واستعادت هذه القوى زمام المبادرة في شن هجوم مضاد على كافة القوى الثورية والتقدمية ، وعلى كل المنجزات التي حققتها حركة التحرر العربي ابان فترة المد العالي الذي شهدته بين عام ١٩٥٥ ــ ١٩٦٥ ، والذي استعادته مرة اخرى بين ٦٨ الى ٧٠ مع تصاعد ونمو حركة الثورة الفلسطينية . وتكمن خطورة الهجوم الرجعي المضاد في تخفيه تحت راية « الوطنية » وباسم بطولات المقاتلين العرب وتضحياتهم في حرب تشرين . في ظل هذه الاوضاع يصبح من الطبيعي ان تشهد المنطقة العربية عملية فرز حادة ، وان تغادر الجماهير الثورية مقاعد « **الائتلاف** » الزائف لتحضير نفسها وتنظيم صفوفها لشن هجومها الثوري ضد اعدائها القوميين والطبقيين .

في مثل هذه اللحظات التاريخية الفاصلة يصبح المناخ ملائما لبروز الاصلاحيين والتوفيقيين والوسطيين الذين يدعون للوحدة والتضامن ورص الصفوف لمواجهة العدو الامبريالي الصهيوني المشترك على الرغم من ان هذه الصفوف وبشهادة الاصلاحيين انفسهم تضم كثيرا من القوى العميلة للامبريالية

والتي « تربط مخططاتها بمخططات الاعداء » مما يوقعهم في العديد من التناقضات والمواقف السياسية الخاطئة .. لكن ما ذنبهم اذا كان **حرصهم** على التضامن والتوفيق له مثل هذه المظاهر السيئة والمتناقضة ؟ ان الخيار الوحيد المطروح امام التوفيقيين في هذا المجال ان يرتفعوا فوق الطبقات وان يطرحوا على الجميع افضل رغباتهم ، وعادة ما تجد مثل هذه الدعوات القبول والرضى ليس من القوى الطبقية المضادة فقط ولكن حتى بين اوساط من المواطنين الخاملين الذين يحرصون على حمل شهادة « الوطنية » في ظروف السلم ويتبخرون عندما ينتصب أول « متراس » ثوري في الشارع .

ويلجأ هؤلاء الاصلاحيون من أجل تدعيم وجهات نظرهم التوفيقية والتضامنية الى استعارة خليط غريب من النظريات والمواقف مما يوقعهم دائما في التجزيئية والانتقائية والنظرة الاحادية وضرب الامثلة المعزولة عن سياقها التاريخي ومحاولة الباسها لظروف نوعية مختلفة في بلادنا . الخ ..

وحتى يستطيع التوفيقيون انجاح مهمتهم فلا يكفي ان ترضى عنهم الطبقات والقوى المهددة والمعادية ، ولهذا نجدهم حريصين على ارضاء الطبقات والقوى الثورية ايضا حتى ليبدو ان بعضهم ناطق رسمي باسم هذه الطبقات ، ومن هنا نجدهم يتخفون بثياب الماركسية واليسار والماوية مما يحقق لهم بعض النجاح النسبي المؤقت .. بيد ان عملية الفرز المادية الهائلة التي تعصف بأساسات الاوضاع القديمة اجتماعيا وفكريا لا تلبث ان تلقي بهذه الظاهرات المؤقتة بعيدا .. فلا احد يستطيع الوقوف على الحد الفاصل بين جبهتين متطاحنتين .

لقد سبق لنا ان فتحنا حوارا اوليا مع احد دعاة التضامن ★ ،

(★) منير شفيق وتناقضات التحليل مع الماركسية ـ اللينينية » دراسات عربية ، العدد الثاني ، كانون الاول ١٩٧٤ .

(منير شفيق) ونحن هنا بصدد استكمال هذا الحوار .

□

اجابات الاخ ناجي علوش على التساؤلات المطروحة ★ ، اثارت بدورها تساؤلات جديدة وخطيرة لا بد لنا من الاجابة عليها ، خاصة ان كثيرا من القضايا النظرية السياسية قد استجدت على مواقف وطروحات ناجي علوش خلال السنتين الاخيرتين كما ان هذه هي المرة الاولى التي تعلن فيها هذه المواقف مكتوبة .

□

يبدو واضحا ان اجابات ناجي علوش ومواقفه الجديدة قد صيغت بدقة متناهية مما يسمح لنا بالمقابل بمحاكمتها بدقة مشابهة . الا ان دقة اجاباته لا تعني وضوحها ، فقد كان الاخ ناجي علوش حريصاعلى عدم الوضوح في كثير من المسائل ، وخاصة تلك التي تجنب الحديث عنها مباشرة ، وهي في راينا الاكثر خطورة ، وهذا ما سنسعى الى تجنبه في اجاباتنا والتي نأمل ان تكون دقيقة وواضحة .

في ردنا على آراء ناجي علوش سنتناول القضايا التالية :

اولا : الوضع اللبناني .
ثانيا : حرب تشرين ونتائجها .
ثالثا : الوضع العربي .
رابعا : التضامن العربي والجبهة العريضة .
خامسا : الوضع الدولي .

اولا : الوضع اللبناني

(★) ناجي علوش : « دراسات عربية » ، العدد التاسع ، تموز ١٩٧٥ .

في تقييمه للاحداث الاخيرة في لبنان كما في كافة تقييماته لاوضاع المنطقة والعالم ينطلق ناجي علوش من وجهة نظر ضيقة ، احادية ، غير جدلية ، فأحداث لبنان « **ليست الا** حلقة من حلقات التآمر على الثورة الفلسطينية » .

وهذه الـ « **ليست الا** » لم ترد سهوا خلال تحديد الاسباب المختلفة لاحداث لبنان لان ناجي علوش يعود الى تأكيدها بصورة قاطعة « ولذلك فما قام به حزب الكتائب **ليس نتيجة اختلال في ميزان القوى** ، ولكن لان الولايات المتحدة الاميركية ارادت ان يحدث تفجير في هذا الوقت بالذات لاضعاف المقاومة الفلسطينية ولارباك القوى الوطنية العربية » ذلك ان « حزب الكتائب **قرر** ان يربط ارادته بمخططات الولايات المتحدة الاميركية ، **وفضل** ان يخدم سياستها في القمع والقتل وتخريب الاوطان » . (يبدو ان ناجي علوش يعتقد ان بامكان حزب الكتائب ان **يقرر ويفضل** سياسة أخرى) .

قد يبدو للوهلة الاولى ان هذه النظرة الاحادية لاحداث لبنان انما تستهدف تضخيم حجم المؤامرة على الثورة الفلسطينية ، الا اننا بقليل من التمعن والمتابعة سنكتشف الخطورة البالغة التي يقود اليها هذا التصور ، كما سنكتشف اساس الخلل النظري لمسلسل التشويهات اللاحقة .

يعتقد ناجي علوش في تفسيره لاحداث لبنان بأن المخابرات المركزية الاميركية قد اصدرت تلعيماتها « في هذا الوقت بالذات » الى « القيادات المتنفذة » في حزب الكتائب لتفجير الاوضاع فسارعت هذه القيادات على الفور الى تفجير الموقف وجرت معها كل حزب الكتائب وحزب الاحرار وغالبية المؤارنة كما تمكنت من زج السلطة والجيش ايضا ولهذا فان ناجي علوش ينصحنا بأن نوجه « اصابع الاتهام (فقط) الى حزب الكتائب وحده ، وبشكل **اكثر تحديدا** الى **قيادته المتنفذة** » ويبدو ان هذا الاستدراك في عزل قيادات الكتائب عن جسم الحزب ليس كافيا فيضيف بضرورة « **فتح باب الحوار مع قواعد حزب الكتائب** » .

كيف استطاعت بضع « قيادات متنفذة » في حزب الكتائب و « في هذا الوقت بالذات » أن تفجر حربا اهلية واسعة وان تزج كل هذه القوى معها ؟ .

ناجي علوش لا يجيب على هذا السؤال لان ذلك سيقوده الى الحديث عن الصراعات الاجتماعية والطبقية في لبنان وعلاقتها بوجود الثورة الفلسطينية وعند هذا الحد سيكشف الخلل النظري الذي يستند اليه ، كما سيكشف التحليلات والدعوات المتهالكة التي يقوم بها . ولهذا نجده يهرب الى التفسيرات البوليسية في تحليل الاحداث التاريخية التي تمر بها الساحة اللبنانية ، متذرعا بمقتضيات مرحلة التحرر الوطني بمفهومها البالي والعتيق والمتخلف .

ماذا حدث في لبنان ؟

منذ بدايات القرن التاسع عشر شهد لبنان صراعا تاريخيا هائلا بين الكتل الاجتماعية ذات الصبغة الطائفية (الموارنة والدروز اساسا) انتهى بغلبة ساحقة للكتلة المارونية في منتصف القرن الماضي تمثلت بامتيازات اقتصادية واجتماعية وسياسية ، وتكرست هذه الامتيازات بميثاق ١٩٤٣ .

وبنتيجة تراكم الاعداد والقوى لدى القوى الوطنية والطوائف الاسلامية عموما أخذ ميزان القوى الاجتماعي بالاختلال مما ادى الى وقوع حرب أهلية شاملة عام ١٩٥٨ اتسمت بصراع الكتل الطبقية ــ الطائفية التي تشكلت تاريخيا ، وكان من نتيجة هذه الحرب احداث تعديلات جديدة في موازين القوى الاجتماعية ، لمصلحة الجماهير الوطنية والاسلامية عموما ، وجماهير السنة على وجه الخصوص . ولقد ترافقت هذه التعديلات مع انحسار المد الاوروبي المسيحي (هنا الاستعمار الفرنسي) الذي ارتبطت به الكتلة المارونية اقتصاديا وسياسيا ، ومع تصاعد المد العربي التحرري الذي ارتبطت به الكتلة الوطنية والاسلامية سياسيا وثقافيا .

بعد ذلك بدأت عملية تراكم جديدة لقوى الجماهير الوطنية والاسلامية ، وخاصة الكتلة الشيعية ، مما يمهد لتغيير نوعي جديد في ميزان القوى الاجتماعية ــ الطائفية . وقد ادى وجود الثورة الفلسطينية في لبنان « وتفاعلها مع الجماهير المضطهدة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وهي القوى التي تنتمي في **معظمها** الى طائفة واحدة : الاسلام ، وترتبط وطنيا وقوميا بالمحيط العربي وتطلعاته الوحدوية والتحررية ★ » الى تسريع في عملية تراكم القوى والتغييرات النوعية . من هنا فان لبنان لا يمر « بفترة تململ وقلق سياسي » كما يقول ناجي علوش وانما يمر بمرحلة صراع عنيف . في هذا الاطار الصراعي التاريخي قام حزب الكتائب للدفاع عنمصالح الكتلة المارونية وامتيازاتها الطبقية والسياسية بتوجيه ضربة استباقية ضد القوى الوطنية والجماهير الاسلامية عموما وضد الثورة الفلسطينية المتحالفة مع هذه القوى . وقد توافقت هذه الضربة مع المخططات الامبريالية لتصفية الثورة . وفي هذا المجال من المفيد ان نلاحظ ان اعنف المعارك قد نشبت في الشياح والمسلخ والكرنتينا وراس النبع . كما علينا ان نلاحظ بأن المخيمات الفلسطينية باستثناء مخيم تل الزعتر في الايام الاولى لم يطلق عليها طلقة واحدة تقريبا . وهذه مسألة لها دلالتها الهامة في فهم ابعاد الصراع واسبابه والذي لا يستهدف الثورة الفلسطينية « **ليس الا** » فقط ، **وانما** يستهدف الحركة الوطنية والاحزاب والقوى التقدمية ايضا .. (هذه الاحزاب التي تجنب ناجي علوش الاشارة اليها او ذكر اسمها) . ان امتيازات الكتلة المارونية التي نهضت الكتائب للدفاع عنها بضربة استباقية (باعتبار ان الحزب يمثل مصالح طبقة كما يعرف الاخ ناجي) هي وحدها التي تفسر قدرة « القيادات المتنفذة » في حزب الكتائب على جر الحزب كله وحزب الاحرار والسلطة والجيش وغالبية الكتلة المارونية الى معركة مع الثورة والقوى الجماهيرية اللبنانية . اما ان تكون هذه الضربة جزءا من مخطط امبريالي لتصفية الثورة فهذه مسألة بديهية . فالمصالح

(★) محمود سويد : « دراسات عربية » ، العدد التاسع ، تموز ١٩٧٥ .

الاقتصادية والسياسية للطبقة المستغلة في لبنان مرتبطة بالمصالح الرأسمالية الاميركية ، وطبيعي ان يدافع اصحاب المصالح المشتركة ضد اعدائهم المشتركين وهم هنا الثورة الفلسطينية والجماهير الشعبية اللبنانية ، **خاصة في هذا الوقت بالذات** الذي تتصاعد فيه شراسة الهجمة الامبريالية لضرب الثورة الفلسطينية وقوى حركة التحرر العربية في اطار مخططات التسوية القائمة الان .

ربما يقول قائل : وما هو وجه الخطورة هنا في ان يخطىء ناجي علوش في فهم طبيعة وابعاد الصراع ، وبأن **المؤامرة** كانت تستهدف الثورة الفلسطينية **ليس الا ؟** .

سنترك لناجي علوش الاجابة على هذا السؤال :

اذا كان هدف ما جرى في لبنان ضرب الثورة الفلسطينية فلا بد لها من ان تتخذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة على مواقعها . هذا يحتاج الى : ٥ ــ ان على قوى الثورة الفلسطينية **الا تتدخل في حسابات السياسة المحلية** تدخلا يقود الى استنفار بعض القوى الوطنية ضدها » .

ماذا يفهم من هذا البند ؟ هل يدعو ناجي علوش الى عدم التدخل في السياسة اللبنانية بصورة مطلقة مع التنبيه الى انه اذا حدث تدخل فلا بد من الحذر والانتباه حتى لا نزعج احدا من القوى الوطنية ؟ .

ان الذي يحسم الاجابة على هذا التساؤل هو تحديد من هي القوى الوطنية التي علينا الحذر من استنفارها ضد الثورة .

بديهي ان الجهة التي يمكن ان تغضب وتستنفر ضد الثورة لا يمكن ان تكون الجماهير الشعبية الوطنية والاسلامية عموما ، هذه الجماهير التي حملت السلاح مرارا دفاعا عن الثورة الفلسطينية ، اذن فهذه القوى هي القوى التي سبق لها واستنفرت ضد الثورة سواء حزب الكتائب او الاحرار او حتى قواعد الكتلة الوطنية بالاضافة الى السلطة والجيش ، هذه هي القوى الوطنية التي يخشى علوش من اغضابها اذا تدخلت الثورة في

الحسابات السياسية اللبنانية وهذه القوى جميعها وطنية ولهذا نجد ناجي علوش ينصح « بفتح باب الحوار مع الفئات المارونية الاخرى ومع قواعد حزب الكتائب » أيضا .

فاللاوطنيون في عرف ناجي علوش هم فقط « القيادات المتنفذة » في حزب الكتائب وليس كل القيادات أيضا .

نستدل من هذا كله ان ما عناه الاخ ناجي علوش في البند الخامس بصورة محدودة هو عدم التدخل في الحسابات السياسية اللبنانية بصورة مطلقة لان اي تدخل سيغضب كثيرا من « القوى الوطنية » التي يتحدث عنها .

ان شعار « عدم التدخل » له كثير من الانصار ولا بأس ان ينضم اليه نصير جديد ، غير ان الامر المحير في هذا المجال هو رد ناجي على سؤال ماذا نفعل في مواجهة حزب الكتائب في حالة اصراره على المواجهة المسلحة فيقول « يجب السعي اولا لايقاف المجزرة فاذا لم يتوقف عن سياسة سفك الدماء يصبح من واجبنا ان نعامله باعتباره قوة لا بد من تصفيتها **وهذا من واجبات القوى الوطنية اللبنانية اولا** » .

غريب ! ان ناجي علوش ضد ان تتدخل الثورة في الحسابات السياسية اللبنانية لان ذلك سيغضب ويستنفر السلطة والجيش والاحرار والكتلة المارونية وقواعد حزب الكتائب . ولكن اذا اصرت الكتائب على المواجهة المسلحة فان ناجي يضع القوى الوطنية امام واجبها لتصفية حزب الكتائب .

اعتقد بأن اية صفقة رابحة لا يمكن ان تكون افضل من هذه ، لان اية صفقة تشترط دفع القليل مقابل ربح الكثير ، اما ناجي علوش فلا يريد ان يدفع شيئا ويطالب الاخرين ان يضحوا بكل شيء ...

لقد اندفعت الجماهير الشعبية واللبنانية والقوى والاحزاب الوطنية والتقدمية بعد جريمة الباص في عين الرمانة للدفاع عن

الثورة والاستشهاد في سبيلها وقد علمنا ذلك ان هناك من يموت معك . وان هناك من يموت ضدك . فمع من تقف وضد من ؟!

تبقى نقطة اخيرة حول احداث لبنان ، فلقد اكد ناجي علوش أن معركة لبنان استراتيجيا هي « أن يكون مع تحرير فلسطين او لا يكون . أيكون مع الجبهة العربية المناضلة ضد الامبريالية الاميركية أو لا يكون . أيكون مع الاستقلال الوطني والتقدم الاقتصادي والاجتماعي والتطور الديمقراطي أو لا يكون » ورغم هذا التوكيد . لم يستطع ناجي علوش ان يتقدم خطوة واحدة في ربط هذه المعركة الاستراتيجية باحداث لبنان الاخيرة كما لم يستطع أن يعين اطراف التناقض والصراع الطبقي الكامن في أساس هذه المعركة وعلاقات ذلك باختلال موازين القوى الاجتماعية وتحولاتها النوعية بحيث ان ما يبدو « صدفيا » هو في صلب الضرورة التاريخية .

ان القدرة على تمييز الفارق بين « صدفة الضرورة التاريخية » وبين الصدفة الآنية العارضة هي التي تميز الماركسي عن قارىء الماركسية .

ان التفسير **البوليسي** لاحداث لبنان الدامية باعتباره فقط صفقة تآمرية بين المخابرات الاميركية وبعض « القيادات المتنفذة » في حزب الكتائب . لا يمكن ان يساعد احدا في فهم ما حدث ، وما يمكن ان يحدث فوق الساحة اللبنانية . ولكنه من الممكن جدا ان يحرف النضال بعيدا عن مساره الموضوعي وباتجاه مسارب فرعية تضيع من يسلكها .

ثانيا : حول حرب تشرين

على الرغم من ان غبار معركة تشرين قد زال بدرجة تسمح بحرية الرؤية وسلامة التقييم . فلا يزال الكثيرون يخلطون بين سير العمليات الميدانية التكتيكية ، وتضحيات الجنود العرب وبطولاتهم من جهة ، وبين موقف القوى التي قادت الحرب والنتائج

التي توختها من هذه الحرب وبين الموقف السياسي المنتظر — والذي يمارس تدريجيا الان — وتحديدا من قبل الزعامة المصرية من جهة ثانية .

وفي الوقت الذي يجري فيه هذا الخلط يقام **سور صيني** جديد بين الحرب وبين مقدماتها السياسية وطبيعة القوى التي تخوضها والاهداف السياسية التي تسعى لتحقيقها .

ان مثل هذا الخلط والفصل يوقع اصحابه في سلسلة من الاخطاء النظرية والسياسية التي تفقدهم القدرة على تحديد المواقف الصحيحة سواء على صعيد التعبئة الجماهيرية او على صعيد تعيين الحلفاء والاصدقاء في اطار الجبهة او التضامن او التحالفات الدولية .

ونتيجة لهذا الخلط والفصل يعتقد ناجي علوش ان حرب تشرين قد حققت « انعطافا كبيرا » في نقل « الموقف العربي من الدفاع الى الهجوم » كما يعتقد بأن « الانظمة العربية قادرة على مواصلة التحدي » ولهذا فهو يدعو الى **التضامن** بين هذه الانظمة حتى لو كان بعضها « مغرقا في رجعيته وخضوعه للامبريالية الاميركية » .

قبل الاستمرار في مناقشة هذه المواقف والدعوات نرى ان من المفيد التوقف قليلا لتحديد معنى الحرب نظريا وذلك بسبب التشويهات التي رافقت وترافق هذه المسألة .

حول طبيعة الحرب

ان اي تحديد لمعنى الحرب عموما لا بد ان ينطلق من المقولة الماركسية بأن اية حرب هي استمرار لسياسة القوى التي تخوضها ولتحقيق هدف سياسي محدد . ان تثبيت هذه المسألة أمر حاسم في فهم الحرب ووضعها داخل اطارها السياسي المحدد .

لينين في تعريفه للحرب يقول « الحرب هي امتداد

للسياسة » (١) . ويضيف ماوتسي تونج « ان الحرب بهذا المعنى هي السياسة ، والحرب نفسها عمل سياسي . ولم يحدث قط منذ اقدم العهود ان نشبت حرب لم يكن لها طابع سياسي (٢) » وبصيغة اكثر وضوحا يضيف : « ... ولهذا يمكن القول بأن السياسة هي حرب غير دامية ، وان الحرب هي سياسة دامية (٣) » .

من هنا نجد لينين يصر على ضرورة دراسة « السياسة قبل الحرب ، السياسة التي تقضي وافضت الى الحرب (٤) » لانكم « اذا لم تدرسوا السياسة المطبقة منذ عشرات السنين من قبل مجموعتي الدول المتحاربة بشكل لا يبدو معه اي شيء صدفيا ، واذا لم تحذروا من المحاكمة بناء على امثلة منعزلة ، واذا لم تبينوا ما يربط هذه الحرب بالسياسة السابقة فانه من المؤكد انكم لم تفهموا شيئا من هذه الحرب (٥) » .

لماذا يبتعد ناجي علوش عن تحديد علاقة حرب تشرين بسياسة القوى التي خاضتها وبالاهداف السياسية التي ارادت تحقيقها ؟.

ان غياب مثل هذا التحديد يسمح لناجي علوش بالحديث عن « تضامن عربي » دونما اشارة الى البرنامج السياسي لانظمة هذا التضامن والذي يمكن تلخيصه بقرار ٢٤٢ .

---

(١) لينين . حول الوطن والوطنية ص ١٠١ ؛ ترجمة جورج طرابيشي . دار الطليعة .

(٢) ماوتسي تونج . المؤلفات المختارة المجلد الثاني ص ٢١٣ .
(٣) المرجع السابع ص ٢١٤ .
(٤) لينين . حول الوطن والوطنية ص ١٠١ .

(٥) لينين . نصوص حول المسائل العسكرية ترجمة الهيثم الايوبي ص ٢٦٨ .

لقد خاضت الزعامة المصرية حرب تشرين بهدف ازالة العراقيل من طريق التسوية ومن أجل « تحريك » القضية وليس من أجل تحرير الارض بالقتال بعيدا عن شروط التسوية وعن قرار مجلس الامن . ولهذا فقد توقفت الحرب عندما حققت هدفها السياسي . يقول ماوتسي تونج « **تندلع الحرب كي تزيح العقبات التي تعترض طريق السياسة .. وحين تزاح العقبة وتحقق السياسة هدفها ، تقف الحرب (٦)** » . ويقول الجمصي رئيس الاركان المصري في وصفه لحرب تشرين بأنها « كانت حرب تحريك . وليست حرب تحرير (٧) .

هل **يساعد** مثل هذا التحديد الدقيق ناجي علوش على فهم حرب تشرين والكثير من النتائج السلبية التي تمخضت عنها ؟ . هذه النتائج التي يرجعها علوش الى سوء التقدير وعدم الفهم والمراهنة على الولايات المتحدة على طريقة **((قرر وفضل))** .

ان **((مثالية))** ناجي علوش لا تسمح له بمثل هذه المساعدة . ونظرته الميكانيكية الوصفية للظواهر تبعده خارج اي فهم للعلاقات الجدلية بين هذه الظواهر وارتباطها بالمصالح الاقتصادية والسياسية **المحددة** للنتائج السلبية التي نشهدها الان .

سنتناول فيما يلي مقطعا من المقابلة لكشف هذه « المثالية » .

في تحليله للاوضاع العربية الراهنة بعد حرب تشرين يقول علوش ان الانظمة العربية « على الرغم مما **حققته** حرب تشرين لا تتصدى لمشكلة الصراع **العربي الصهيوني (بلا تداخلات !)** بما تقتضيه من من **حشد وحزم ومبادرة** . (هذه قضايا يسهل حلها عن طريق التعبئة المعنوية والاناشيد الحماسية) **يتجلى** ذلك في مجالات السياسة العربية المختلفة . فعلى صعيد **حشد القوى العربية** (أية قوى) ؟ لم تستطع الانظمة ان **توحد** ولو جزءا من قواها (لماذا ؟) يكفل لها التصدي للمخططات

---

(٦) ماوتسي تونج . المؤلفات المختارة . المجلد الثاني ص ٤١٢ .
(٧) مجلة البلاغ اللبنانية العدد ١٤٢ في ١٩٧٤/٩/٣٠ .

الصهيونية الامبريالية . **وعلى الرغم** من اجتماع **مؤتمر** القمة فما زالت القوى العربية غير محشودة للمعركة (يا لخيبة المفاجئة) وما اتخذ من قرارات لم ينفذ في معظمه (غريب . لماذا ؟) كما ان ما رصد للمعركة من اموال لم يدفع بمعظمه ايضا (يا للبخل !) وبدلا من ان تتوطد العلاقات بين دول المواجهة تزعزعت (هنا سيقول لنا لماذا) بسبب انتهاج سياسة الخطوة خطوة . (ولكن مرة ثالثة لماذا تنتهج هذه السياسة ؟) .

وفيما يتعلق **بحشد** قوى الجماهير العربية للمعركة ، فان الانظمة **على ما يبدو** (لاحظوا على ما يبدو هذه ، **فيبدو** ان ناجي لم يتأكد بعد) ما زالت تعتبر نفسها **المعنية وحدها** بقضية الصراع مع العدو الصهيوني (هل هذه انانية ؟!) . ولذلك فان الجماهير لا تعبأ ولا تدرب ولا تسلح ، **ولا تعطى** المجال للمشاركة في بناء الجبهة الوطنية لتكون دعامة الحرب الاساسية . (لاحظوا كيف يتم بناء الجبهة الوطنية .. لكن من يسمع ؟!) . « كما ان الانظمة العربية ما زالت لا تعبىء للحرب باعتبارها الوجه الرئيسي لسياستها (لماذا ؟) .. ولذلك فهي تعطي **النشاط الدبلوماسي** الدولي الاولية على الاعداد للحرب (لماذا مرة رابعة ؟) وهي بذلك تنتهج خطا لا ينسجم مع **طبيعة** الصراع مع العدو . (ايضا لماذا ؟) . « ثم ان **اصرار** الانظمة على **اقحام** الولايات المتحدة في معركة الحل السلمي (اليس غريبا هذا الاصرار والاقحام !) **والمراهنة** على احداث شرخ خطير في العلاقات الاسرائيلية الاميركية قاد وما زال يقود الى **انتهاج** سياسة داخلية **تفسح** المجال لبروز **عملاء** الولايات المتحدة والى **ضرب** القوى الوطنية والديموقراطية لكسب ود الولايات المتحدة » **(على ما يبدو** ، انه سوء تقدير من المراهنين الذين لا يريدون انتهاج سياسة تفسح المجال لبروز عملاء .. وضرب القوى الوطنية) .

هذه هي الوصفية الشكلية التي يحاكم ناجي علوش من خلالها حرب تشرين ونتائجها ليقودنا الى تضليلات ومتاهات لا حد لها .

ولكن لماذا يفعل الاخ ناجي علوش ذلك وهو المناضل الوطني

الذي عرضناه ؟ لا بد لنا من تعيين الخلل النظري الذي قاده الى هذه المتاهات ونحن بكل حب واخلاص نريد ان نفعل ذلك وان بدا اننا نقسو قليلا .. ولكن من اجل ازالة بعض التأثيرات المضللة في مواقف ومفاهيم ناجي الجديدة .

اذا كان الفصل بين الحرب والطابع السياسي للقوى التي خاضتها قد اوقع ناجي بهذه السلسلة من التشويهات والتقييمات العرجاء فان مكمن الخلل النظري في هذا الفصل يرجع الى التغييب الكامل لعلاقة الحرب بطبيعة ومصالح القوى الطبقية التي تخوضها وارتباط هذه القوى الاقتصادي والسياسي بالسوق الرأسمالي الامبريالي وهذا ما سنوضحه في معرض ردنا على مسألتي التضامن والجبهة الوطنية وفي معرض تحليلنا للوضع العربي الراهن .

يتحدث ناجي علوش عن ثلاثة اتجاهات اساسية برزت بعد حرب تشرين ، اتجاه القبول بسلطة وطنية تبناه اولئك الذين قيموا حرب تشرين ايجابيا وتوقعوا حتمية الحل . واتجاه الرفض الذي قيم تشرين سلبيا مؤكدا ان التسوية قادمة لا محالة . اما الاتجاه الثالث الذي يعتبره علوش صحيحا وكان يؤمن به ويدعو له فهو يقيم حرب تشرين تقييما ايجابيا ، وهذا التقييم ينسحب على القوى نفسها التي خاضت الحرب ، ولهذا فان هذه القوى بسبب الهوة التي تفصلها عن المطالب الاسرائيلية لا تستطيع الا ان تحارب مرة خامسة وقد قاد هذا « التقدير » الى دعوات من نوع جبهة عريضة تضم الانظمة والجماهير كما يقول منير شفيق او دعوات التضامن العربي كما يقول منير وناجي ، وان كان الاخير يحاول في هذا المجال ان يميز نفسه قليلا حين يتحدث عن شروط التسوية وامكانية القبول بها « ان الطرف العربي لا يستطيع ان يدفع هذا الثمن (الصلح والاعتراف والحدود الامنة) الا بارتكاب خيانة وطنية عظمى . فمن هو القائد العربي القادر على ارتكاب هذه الخيانة ، حتى لو اراد ؟ ان عدم القدرة على تنفيذ هذه الخيانة مرتبط بموقف الجماهير العربية وباصرارها على انهاء كل مواقع السيطرة الاجنبية في البلاد وخاصة دولة الاحتلال الصهيوني » .

يبدو واضحا ان هذه المحاولة الخجولة للتمايز لا تعني شيئا

في النهاية ، فتضخيم التوقع « الخيانة الوطنية العظمى » و « من هو القائد العربي » ، تفيد ان ما يحدث حتى الان (من نوع الانفتاح الهائل على اميركا ، والموافقة على قرار ٢٤٢ والمواقف في كمبالا والخرطوم ، وتصريحات سالزبورغ عن الاعتراف باسرائيل ووشكان توقيع الاتفاق الاميركي الاسرائيلي المصري في سيناء ، الخ ..) ليس له علاقة « بالخيانة الوطنية العظمى » خاصة وان ناجي علوش لا يتحرج في دعوة الانظمة « المغرقة في رجعيتها وخضوعها للامبريالية الاميركية » للمشاركة في صفوف « التضامن العربي » ضد الصهيونية والامبريالية الاميركية !! وبالتالي يصبح اى حديث من نوع « عدم القدرة على تنفيذ هذه الخيانة مرتبط بموقف الجماهير .. الخ » لا يساوي قيمة الحبر الذي كتب به .

الاتجاه الرابع

لقد سبق لنا ان حددنا موقفا نقديا واضحا من حرب تشرين ، كما حددنا احتمالات الوضع الراهن في اكثر من مجال ودعونا الى ضرورة التصدي لبرنامج التسوية والقوى الطبقية التي تقف وراءه وحدود حركتها السياسية والعسكرية في اطار قرار مجلس الامن . واكدنا على اهمية « توظيف الصراع في المنطقة لخدمة البرنامج الثوري وبلورته تنظيميا وسياسيا وايديولوجيا وعمليا ، حتى تتمكن جماهير الامة العربية من تمييز قواها الطليعية الثورية المعبرة عن مصالحها الحقيقية وتطلعاتها ، وحتى تكون قادرة بالتالي على التصدي لبرنامج التسوية ، وليس هناك حل « تضامني بين الخطين والبرنامجين » ★ كما اوضحنا « ان مجموعة الاوضاع العالمية والمحلية وطبيعة التناقض الرئيسي بين الكيان الصهيوني والامبريالية الاميركية من جهة ، وبين الجماهير الفلسطينية وحركة التحرر العربية من جهة اخرى ، ستقود الى مزيد من التفجرات والصراعات والحروب » ★★ ولهذا فنحن نؤمن ان الحرب الخامسة

(★) نزيه ابو نضال ، دراسات عربية ، العدد الثاني ، كانون اول ١٩٧٤ .

(★★) نزيه ابو نضال ، دراسات عربية ، العدد التاسع ١٩٧٣ .

قادمة ولكن سيسبقها نضالات كبيرة ضد القوى التي تقوم الان بتوفير شروط التسوية بصورة تدريجية : « ان قيام طرف ، او اكثر بتوفير الحد الادنى من الشروط المطلوبة لعملية التسوية لا يعني ان توفير هذه الشروط لا يشكل خطورة حقيقية في تنفيذ عملية التسوية مما يستدعي التصدي لها ومقاومتها بكل الوسائل » ★ .

نحن نعتقد ان الاتجاه الصحيح لمواجهة اوضاع ما بعد تشرين يتمثل في ضرورة التصدي لكافة اشكال التسوية القائمة **ولكل القوى التي تنادي بها** . اما الحديث عن رفض التسوية والدعوة الى اقامة جبهة او تضامن مع دعاة هذه التسوية فلا يعني سوى تضليل الجماهير التي ندعوها للتصدي .

لقد اثبتت مرحلة ما قبل تشرين ان النضالات الثورية والجماهيرية ضد مشاريع التسوية ودعاتها ، ومن اجل خوض القتال ضد العدو الصهيوني ، هي العامل الرئيسي في خوض الحرب ، ولكن هذه الحرب جاءت في العديد من وجوهها على طريقة الانظمة الداعية للتسوية وفي اطار حساباتها السياسية .

ان حرب تشرين التي نمجدها هي الحرب التي ارادتها الجماهير وليست الحرب التي ارادتها انظمة التسوية . هذه الجماهير هي المدعوة للجبهة « والتضامن » من اجل حرب **التحرير** ، اما جبهة الانظمة المتضامنة « التي تضم دولا مغرقة في رجعيتها وارتباطها بالامبريالية الاميركية » فانها حين تضطر للحرب فانها ستخوض حرب **تحريك** لازالة العقبات من وجه التسوية ، وبما يتفق مع مصالحها وسياساتها . ورغم ذلك فنحن نقف بصلابة مع كل حرب جديدة . . ولكن بنفس الصلابة نقف ضد الاهداف السياسية التي ستخاض من اجلها الحرب ، وذلك من اجل ان تطور القوى الجماهيرية والثورية اساليب نضالها المسلحة ، بما يحقق اهدافها بالتحرير والوحدة والديمقراطية الشعبية .

(★) نزيه ابو نضال . نضال الطلبة . ايار ١٩٧٥ .

ثالثا : الوضع العربي

ان تحديد الوجه الرئيسي للبرجوازيات العربية وانظمتها في كل مرحلة من مراحل تحركها مسألة هامة في تحديد المواقف والتحالفات مع هذا النظام او ذاك .

ناجي علوش يتعامل مع الطبقات الاجتماعية ودورها في مواجهة الامبريالية والصهيونية بطريقة سكونية تفترض حالة ثبات ابدية للبرجوازية ، ولهذا فهو يدين قطاعات المثقفين الذين « يطلقون الاحكام جزافا حول دور الطبقات وصعودها وهبوطها » دون أن يدلنا الى الاحكام الصائبة حول هذا الدور ، لكنه يدعونا في مجالات اخرى الى بناء جبهة وطنية تضم حتى قوى برجوازية قامت بأدوار تآمرية ضد الحركة الوطنية العربية وضد الثورة الفلسطينية .. الى جانب هذه النصيحة لا نجد اية اشارة من الاخ ناجي ترفض مشاركة اية طبقة اجتماعية في الجبهة الوطنية . ذلك لانه لا يتحدث عن طبقات وانما عن عملاء وعناصر متآمرة ، مما يدعونا الى تحديد السمات العامة للوضع الراهن على ضوء التطور التاريخي الذي شهدته المنطقة . الا ان هذا التحديد سيجيء مكثفا جدا بسبب تنوع موضوعات الرد واتساع مجالاتها النظرية والسياسية .

ان التفاوتات الواضحة في درجة نمو وبلورة الاوضاع السياسية والاقتصادية في المجتمع العربي (بفعل التجزئة وتعدد اشكال الاستعمار والتفاوت الزمني في تشكيل الوحدات السياسية الاقليمية وتكويناتها الطبقية المختلفة) لا تسمح باصدار احكام موحدة على الواقع العربي بقواه السياسية والاجتماعية المتعددة . ومن هنا فان تحديد السياسات الصحيحة تجاه اي وضع اقليمي لا بد ان ينطلق من الدراسة العينية المباشرة لهذا الوضع او ذاك . ورغم ذلك فان الواقع التاريخي ابرز عدة سمات اساسية عامة لا بد من التوقف امامها :

١ ــ جاء تشكل البرجوازية المحلية العربية في بدايات هذا القرن في ظل الهيمنة الاستعمارية المباشرة ، وترافق مع وصول

الراسمالية الى مرحلة الامبريالية مما افقد هذه البرجوازيات القدرة على شق طريقها الاقتصادي والسياسي بصورة حرة ومستقلة وجعلها خاضعة للاقتصاد الاجنبي ، وانعكس هذا الوضع على مواقفها السياسية التي اتسمت بالتردد والمساومة وعلى برامجها ذات الطابع الاصلاحي .

٢ ــ بعد عام ١٩٤٨ وحدوث العديد من الانقلابات العسكرية في الدول العربية على ايدي **عناصر** تنتمي الى البرجوازية الصغيرة اخذت بعض البرجوازيات المحلية العربية تحقق دورها « التقدمي » تاريخيا بالاطاحة بطبقات الاقطاع وشبه الاقطاع وبالراسمالية المرتبطة بالاقتصاد الاجنبي نسبيا ، كما عمدت الى تحقيق بعض مهمات الثورة القومية الديمقراطية بتقليص اشكال النفوذ الاقتصادي الغربي (تأميم البنوك والشركات وشركات التأمين وقناة السويس وتأميمات البترول) وبتحقيق الوحدة العربية (مصر وسوريا) وبالتصدي للمشاريع والاحلاف الاجنبية (حلف بغداد ، مشروع ايزنهاور) . وفي المقابل اقدمت على اقامة **علاقات وتحالفات** جديدة مع الدول الاشتراكية (صفقة الاسلحة التشيكية ، بناء السد العالي ، بناء سد الفرات ، بناء الصناعة الثقيلة) .

٣ ــ تميزت البرجوازيات العربية خلال مراحلها المختلفة بسمتين اساسيتين : الاولى التناقض والصدام مع الامبريالية مع التردد والمساومة في حسم العلاقة وخوض الصراع معها . والثانية التوجه نحو الامبريالية والتحالف معها . وكان بروز احدى السمتين لبشكل الوجه الرئيسي لحركة البرجوازية في كل مرحلة ينعكس داخليا وعربيا وعالميا بشكل متلازم :

حين يكون الوجه الرئيسي لهذه البرجوازية هو الصدام مع الاقطاع وشبه الاقطاع والنفوذ الاقتصادي والسياسي الاجنبي تعزز علاقتها محليا مع القوى اليسارية والتقدمية ومع جماهير العمال والفلاحين (مع الحرص على ضرب وتصفية اي شكل تنظيمي لهذه القوى) . كما تحرص عربيا على توثيق علاقاتها مع الانظمة الوطنية وقوى حركة التحرر العربية العريضة وجماهيرها الشعبية (مع استثناء الاحزاب المنظمة) .

وعلى الصعيد العالمي تعزز علاقاتها وتحالفاتها مع الدول الاشتراكية مع شن النضال السياسي ضد الاستعمار والامبريالية (دون قطع الجسور معها) . كما تعمد الى تحقيق اشكال من التحالفات الجديدة التي تتيح لها كما تعتقد حرية نسبية في الحركة السياسية والاقتصادية (عدم الانحياز والحياد الايجابي) مع الدول الوطنية والاشتراكية (الهند ، يوغسلافيا) . اما حين يبرز الوجه المرتبط لهذه البرجوازية كوجه رئيسي في مرحلة اخرى كما حدث مثلا بعد عام ١٩٦٧ وخاصة بعد انقلاب ١٥ أيار ١٩٧١ في مصر ، فان هذه البرجوازية المرتبطة تلجأ الى ضرب القوى التقدمية والشعبية والوطنية على الصعيد الداخلي (ضرب اليسار الناصري .. الصدامات الدموية مع الجماهير الطلابية والعمالية ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ .. اقصاء المثقفين اليساريين ومطاردتهم واحلال اليمين المصري الرجعي مكانهم .. رفع التأميمات والحراسات ، وتنشيط القطاع الخاص ، ضرب القطاع العام .. الخ) بكلمة واحدة : استشراء نفوذ البرجوازية المرتبطة على حساب البرجوازية المحلية . اما على الصعيد العربي فتلجأ البرجوازية الى توثيق علاقاتها مع اشد النظم العربية رجعية وتخلفا وعالميا تقوم بالتحالف واقامة العلاقات الاقتصادية والسياسية مع الامبريالية الاميركية والمعسكر الرأسمالي وتنهي أو تحد من علاقاتها مع الدول الاشتراكية (طرد الخبراء السوفيات من مصر وشن الهجوم السياسي ضده) . كما تسعى الى تحالفات دولية من نوع مختلف (المؤتمر الاسلامي) . الا انها في نفس الوقت لا تقطع الجسور نهائيا مع دول المعسكر الاشتراكي ، او مع اشكال التحالفات الدولية المختلفة .

ان الدراسة التفصيلية لكل نظام عربي بأوضاعه وطبقاته على ضوء هذه السمات العامة ، شرط اساسي لتحديد المواقف ، والسياسات والتحالفات . اما الدعوات التجريدية للجبهة والتضامن ودونما التفات للواقع الملموس — بل وعلى حسابه — فستقود الى « أوخم العواقب » كما يقول ناجي علوش في مجال آخر (سنعود الى هذا الموضوع مرة ثانية عند بحث مسألتي الجبهة والتضامن) .

رابعا : حول الجبهة والتضامن

اثارت موضوعات التضامن والجبهة العريضة التي طرحها منير شفيق درجة واسعة من النقد مما حدا بالاخ ناجي علوش لمحاولة الفصل بين هاتين الموضوعتين ، فتحدث اولا عن جبهة وطنية عريضة ، ثم تحدث بعد ذلك عن سياسة التضامن العربي معتبرا اياها « قضية اخرى » الا ان هذا الفصل ليس سوى اجراء شكلي ، فعلى الرغم من ان ناجي يحدد القوى التي تتشكل منها الجبهة و « هي القوى الجماهيرية » اساسا « ولكن الجبهة يمكن أن تضم ايضا شخصيات واحزابا اشتركت في قمع الحركة الشعبية في مراحل سابقة » . ثم لا يلبث ان يتحدث عن اشراك الانظمة العميلة في هذه الجبهة مع التنبيه الى ضرورة الحذر من محاولة هذه الانظمة لشق الجبهة من الداخل : « هنا تطرح قضية بعض القوى والانظمة التي تمارس دورا قمعيا ضد الجماهير وتأخذ موقفا عدائيا من الحركة الوطنية باستمرار وتربط مخططاتها بمخططات العدو ، فان من الواجب سحق مثل هذه القوى . فاذا ما طرحت برنامج تعاون وتنازلت عن مخططاتها مؤقتا ، فيجب ان تعامل بحذر شديد ، حتى لا يتاح لها المجال لان تنفذ الى شق صفوف الجبهة الوطنية وممارسة سياسة تآمرية **من الداخل** » . ان الجبهة الوطنية ليست مفتوحة كما راينا للانظمة الوطنية فقط ، وانما ايضا للانظمة القمعية التي تربط مخططاتها بمخططات العدو ايضا ولكن بشرط ان نأخذ الحيطة والحذر !!

الى جانب هذه الجبهة العريضة جدا من الجماهير والانظمة القمعية والاحزاب التآمرية ، يدعو ناجي علوش في اطار علاقات الدول العربية الى « تضامن عربي » يضم دول المنطقة ، بما فيها تلك الدول « المغرقة في رجعيتها وخضوعها للامبريالية الاميركية » . لان هذه الدول « اصبحت في الظروف الراهنة اكثر قدرة على التعارض مع مخططات الامبريالية الاميركية ولذلك سببان : اولهما ضعف الامبريالية الاميركية داخليا وعالميا .

وثانيهما : طموح الفئات الحاكمة في هذه البلدان الى مزيد من **الاستقلالية** » .

ما الفرق اذن بين الجبهة والتضامن ؟

شكليا يبدو الفرق في ان القوى الجماهيرية هي اساس الجبهة بينما التضامن هو بين الانظمـــة .

ولكن من هي هذه القوى الجماهيرية ؟ ومن يقود الجبهة ؟

ناجي علوش لا يجيب على الشق الاول من السؤال على عادته في الهرب من اي حديث عن (وباء) الطبقات وصراعاتها . امـــا الشق الثاني المتعلق بقيادة الجبهة فان « الذي يقود هو الـــذي يستطيع ان يثبت قيادته في الميدان وليس من على منابر الخطابة (. . .) طبعا هذا لا يعني أن تسلم قيادة الجبهة لقيادة قوى عميلة او متخلفة » .

اذا اردنا أن نعيد صياغة افكار ناجي علوش بطريقة رياضية فسنكتشف المعادلة التالية :

الجبهة = جماهير وانظمة وطنية ومرتبطة .

النتيجة : ان جبهة علوش الوطنية لا تختلف الا من حيـــث اسلوب الطرح الشكلي عن جبهة منير شفيق العريضة ، وكلاهمـــا يتحدث عن كل شيء في الجبهة عدا تحديد الطبقات الاجتماعيـــة التي تشكل هذه الجبهة . هناك فقط اشارات وتجريدات عامـــة عن الجماهير والانظمة والعناصر والاحزاب والقوى .

ناجي علوش حين يضطر في مواجهة سؤال محدد لتحديـــد دور الطبقات يكتفي بالهجوم على الذين شغلوا انفسهم « بسقوط البرجوازية الصغيرة » وعدم استعدادهم للعمل معها في اطـــار جبهة وطنية مع « القوى الوطنية الاخرى خلال الصراع مـــع العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية » . ثم يضيف « **وهـــذا لا ينسجم مع التحليل العلمي لدور الطبقات في مرحلـــة التحـــرر الوطني** » ! .

نحن نوافق الاخ ناجي علوش على ان البرجوازية الصغيـــرة لا زال لها دور هام في الجبهة الوطنية ، كمـــا نوافقـــه على ان البرجوازية الصغيرة لم تسقط بعد حرب حزيران لانها اصلا لـــم

تستلم السلطة كطبقة قبل حزيران كما يعتقد علوش والذين يسقطون البرجوازية الصغيرة . ان صعود **عناصر من** البرجوازية الصغيرة عبر الانقلابات العسكرية في الخمسينات **لا يعني** ان هذه **الطبقة** هي نفسها التي اصبحت في السلطة .

ان وصول عناصر من البرجوازيين الصغار الى السلطة السياسية المصرية ـ مثلا ـ عام ١٩٥٢ لم يحدث تغييرا في البنية الطبقية للمجتمع المصري الا فيما يتعلق بوضع الطبقة الاقطاعية وشبه الاقطاعية والراسمالية الريفية ، وبما يحقق موضوعيا المصالح الجوهرية للبرجوازية المصرية اساسا تحت شعارات التحالف الوطني وبناء الاشتراكية العربية .

ان التصور الخاطىء عن استلام البرجوازية الصغيرة المصرية للسلطة يقود الى مجموعة من الاوهام والنتائج الخطرة .

فهذه البرجوازية الصغيرة ـ كطبقة في السلطة ـ بمواقفها السياسية واجراءاتها الاقتصادية مثلت ولا تزال استجابة طبيعية لمصالح الجماهير الشعبية العمالية والفلاحية في مرحلة الثورة القومية الديمقراطية . وبالتالي فانها في الظرف الراهن تشكل حالة صدامية ضد الامبريالية والعدو الصهيوني ، فلا بد اذن من دعمها والوقوف الى جانبها والانخراط معها في « جبهة وطنية » او « تضامن عربي » ما دام العدو الخارجي لا يزال يحتل جزءا من ارض الوطن .

ان مثل هذا الطرح يسقط الفهم الماركسي لعلاقات الانتاج ودور الطبقات الاجتماعية المختلفة فيها ، خاصة دور البرجوازية الصغيرة المتذبذبة بين الانتماء للطبقة البرجوازية المالكة وبين الانتماء لطبقتي العمال والفلاحين ، **دون** ان تحتل وضعية محددة في اطار العلاقات الانتاجية يضعها كأحد طرفي التناقض الطبقي . أن هذا القانون هو الذي حكم ثورة ٢٣ يوليو وان بدت الصورة السطحية للاحداث مختلفة نسبيا مع هذا التحليل بفعل جملة التعقيدات والتناقضات والضرورات التي رافقت فترة **الانتقال** ، والشعارات التي طرحها ممثلو **البرجوازية المحلية** في مرحلة صعودها وتصديها

لشبه الاقطاع وراسمالية الريف والبرجوازية المرتبطة والنفوذ الاجنبي الاقتصادي والسياسي . وبعد ان استنفذت البرجوازية المحلية في مصر مهماتها **نسبيا** ، وقفت في مواجهة خيارين لا ثالث لهما :

الاول : احداث تغييرات جذرية في طبيعة البنية الطبقية للسلطة المصرية ، للمضي بعملية التحول الاجتماعي والاقتصادي باتجاه الاشتراكية ، وهذا يحتاج لتحقيقه الى حركة القوى الطبقية من اسفل .

الثاني : ان تقف كطبقة عند حدودها التاريخية وتواجه تناقضها مع جماهير العمال والفلاحين .

غير ان عبد الناصر بطموحه الفردي وشخصيته الاستثنائية اختار سنة ١٩٦١ الطريق الثالث الذي لا وجود له موضوعيا : تحقيق الاشتراكية تحت قيادة البرجوازية بجناحيها **المحلي** (برجوازية الدولة البيروقراطية والعسكرية) **والمرتبط** (برجوازية القطاع الخاص باستثناءات) ، وفي ظل شعارات المصالحة الطبقية والتذويب السلمي للفوارق بين الطبقات .. الخ . وكانت النتيجة الطبيعية لهذه الطريق الثالث هو « ما شهده الواقع المصري من جمود وشلل بعد حوالي اربع سنوات من بدء عملية التطبيقات الاشتراكية سنة ٦١ وقبل حزيران ٦٧ » (★) ، هذه الحرب التي جاءت تعبيرا عن حالة التناقض مع العدو الصهيوني والامبريالي على المستوى الخارجي ، كما جاءت نتيجتها المريرة تعبيرا عن حالة الفشل على المستوى الداخلي .

القيادة المصرية الحالية اكثر انسجاما مع نفسها ودورها ، ولهذا نجدها تتابع طريقها الموضوعي في التصادم مع طبقتي

(★) يراجع في هذا المجال كتابات مصرية العدد الاول موضوع : البرجوازية المصرية لعادل كامل الشريف ، ص ٤٦ . كما يراجع كراس : موقف من القائلين بسلطة البرجوازية الصغيرة . شيوعي مصري ، دار الطليعة .

العمال والفلاحين وفئات الشعب الثورية والوطنية الاخرى ، سواء في اجراءاتها الاقتصادية او في مواقفها السياسية المختلفة (محليا وعالميا) ، مما يدفع وبشكل يومي الى استكمال سيطرة البرجوازية المرتبطة والتي اعلنت تحالفها المعلن مع بقايا طبقة كبار الملاك والراسماليين في ظل الانفتاح الهائل على الامبريالية الاميركية والسوق الراسمالي .

لقد استطردنا قليلا حول مسالة البرجوازية الصغيرة ودور الطبقات المختلفة في الوضع الراهن لابراز اهمية تحديد وضع الطبقات في اطار الجبهة الوطنية ودورها في انجاز مهمات المرحلة التاريخية التي نمر بها ، وكذلك من اجل فهم ما حدث قبل وبعد حرب تشرين .

فما هي طبيعة هذه المرحلة ؟

هل هي مرحلة تحرر وطني بالفهم المتخلف الذي يطرحه ناجي علوش ؟ ام مرحلة ثورة قومية ديمقراطية ؟

ناجي علوش لا يميز اي فارق بين المرحلتين ويورد التسميتين ليشير الى هذه المرحلة باعتبارهما اسمين لشيء واحد .

هذا الخلط يوقع الاخ ناجي علوش في تناقضات ومفارقات طريفة ، فنجده عند الحديث عن القوى التي تتشكل منها **الجبهة الوطنية** يتحدث عن قوى **مرحلة تحرر وطني** تضم الجماهير ! والانظمة الوطنية والانظمة العميلة والاحزاب والعناصر .. الخ .. اما عند الحديث عن **البرنامج السياسي** ومهمات هذه الجبهة فنجده يستعير « برنامج الثورة القومية الديمقراطية القائم على اعمدة ثلاثة : الاول تحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة . الثاني : العمل على توحيد الامة العربية . الثالث : العمل من اجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي » ناجي علوش يطرح افضل رغباته السياسية ، لكنها رغبات مشلولة ، لان اداة تحقيقها متخلفة وعاجزة ، ذلك ان مهمات مرحلة الثورة القومية الديمقراطية تحتاج الى بناء جبهة وطنية قادرة على انجاز هذه المهمات . فاذا كان تحرير فلسطين مهمة قومية كما يقول ناجي ، فلا بد من الانتباه

للاداة التي تتشكل منها الجبهة الوطنية لانجاز المهمات **المتداخلة** لمرحلة الثورة القومية الديمقراطية وبالتالي اهمية تعيين من يقود هذه الجبهة . في الحديث عن الجبهة الوطنية ينصحنا ناجي علوش بدراسة تجارب الصين وفيتنام وكمبوديا ولاوس ، فماذا تقول هذه التجارب حقيقة ؟

الصيـــــن :

ان دراسة الوضع الاقتصادي لمختلف الطبقات في بلادنـــا ولموقف كل منهما تجاه الثورة قضية اساسية لتحديد اصدقائنـــــا الحقيقيين واعدائنا الحقيقيين لاننا على ضوء ذلك فقط نستطيـــع ان نبني جبهة وطنية فعلا .

فهل فعل ناجي علوش ذلك ؟ نحن لا نطالب ناجي بدراســـة اقتصادية تفصيلية ، لكننا نطالب بتحديد موقف طبقي لنتيجة تصور وضع الطبقات العام ودورها . ناجي علوش لا يقدم اية مساهمة في هذا المجال وهو بالتالي لا يقدم اية مساهمة مفيدة في بنـــاء الجبهة الوطنية كما يجب ان تكون « اذا اردنا الا نقود الجماهيـــر في الثورة الى طريق خاطىء وان تكفل النصر للثورة ، ينبغي لنـــا ان نهتم بالاتحاد مع اصدقائنا الحقيقيين لنهاجم اعداءنا الحقيقيين . وعلينا لكي نميز بين هؤلاء واولئك ان نقوم بتحليل عام للوضـــــع الاقتصادي لمختلف الطبقات في المجتمع الصيني ، ولموقف كل منهما تجاه الثورة » (١) . هذا ما تعلمنا اياه الثورة الصينيـــــة ، كما تعلمنا ان نحدد بالدقة من هي الطبقات التي معنا ، ومن هي الطبقات التي تقف ضدنا ، دون ان تكتفي بالتجريدات العموميـــــة عـــــن العملاء والقوى المضادة لان الرفاق الصينيين تعلموا من لينين ايضا ان « **احلال المجرد مكان المحدد هو واحد من اكبر واخطر خطايـــا الثورة** » . **يحدد** ماوتسي تونج موقف الطبقات الصينية كما يلي : « ان اعداءنا هم كل من يتواطئون مع الامبريالية وهم : امراء الحرب

---

(١) تحليل لطبقات المجتمع الصيني ، ماوتسي تونج ، المؤلفـــات المختارة ، الجزء الاول ص ١٥ ،

والاداريون الكبار وطبقة الكمبرادوريين وطبقة كبار ملاك الاراضي وفئة المثقفين الرجعيين التابعين لهم . والقوة القائدة لثورتنا هي البروليتاريا الصناعية ، واقرب اصدقائنا هم اشباه البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة بمختلف فئاتهم . اما البرجوازية الوسطى المتذبذبة فقد يصبح جناحها اليميني عدوا لنا وجناحها اليساري صديقا لنا » (٢) ، وفي الحديث عن الجبهة الوطنية المتحدة يدعو الى تشكيل « جبهة وطنية ثورية متحدة متسعة » من اجل تحقيق استقلال الصين وحريتها ، وهذا ، يتطلب منا ان نحارب الامبريالية الاجنبية **والقوى المحلية المعادية** للثورة . لقد صممت الامبريالية اليابانية على غزو الصين بشراسة **وان القوى المحلية المعادية للثورة . قوى طبقتي ملاك الاراضي والكمبرادوريين** ، ما زالت متفوقة على قوى الشعب الثورية » (٣) وفي مجال آخر يحدد قوى الثورة التي تشكل الجبهة الوطنية : « ان الهدف من اتجاهنا السياسي الصحيح ووحدتنا المتينة هو كسب عشرات الملايين من الجماهير الى الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان . وان الجماهير الواسعة من البروليتاريا والفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن في حاجة الى قيامنا بأعمال الاثارة والدعاية والتنظيم بينهم ، كما ان من واجبنا بذل المزيد من الجهود لتشكيل تحالف مع الجماعة المناهضة لليابان من البرجوازية » (٤) . هذا ما تعلمنا اياه الثورة الصينية فيما يتعلق ببناء الجبهة الوطنية ، ومن اية طبقات تتشكل ، فماذا تعلمنا بالنسبة **لمن يقود هذه الجبهة ؟**

يقول ناجي علوش ان الذي يقود الجبهة هو من استطاع اليها سبيلا ، شرط ان لا يكون عميلا او متخلفا . فماذا يقول ماوتسي تونج : « اتكون البروليتاريا هي التي تقود البرجوازية داخل الجبهة المتحدة ام العكس ؟ ايكون الكومنتانج هو الذي يجتذب الحزب الشيوعي اليه ام العكس ؟ وهذا السؤال يعني

---

(٢) ماوتسي تونج ، المؤلفات المختارة ، الجزء الاول ص ٤٤ ،

(٣) ماوتسي تونج المؤلفات المختارة ، الجزء الاول حول الجبهة الوطنية المتحدة ص ٤٣٧ ،

(٤) المصدر السابق ص ٤٤٦ ،

بالنسبة الى المهمة السياسية المحددة الراهنة ما يلي : هل سنرفع مستوى الكومنتانج الى مستوى قبول ما ينادي به الحزب الشيوعي من البرنامج ذي النقاط العشر لمقاومة اليابان وانقاذ الوطن من المقاومة الشاملة ، ام سنهبط الى مستوى ما يباشره الكومنتانج **من دكتاتورية ملاك الاراضي والبرجوازية ومن المقاومة الجزئية** » (٥) نرجو ان يلاحظ ، الاخ ناجي علوش اهمية الاسئلة المطروحة حول النتائج المترتبة على من يقود ؟ ان الموافقة على قيادة الكومنتانج تعني الاستسلامية ومن « الضروري معارضة الاستسلامية بكل حزم » (٦) ، لماذا ؟ « لان نزعة الاستسلام الطبقي تشكل في الحقيقة خلال الحرب الوطنية الثورية المناهضة لليابان ، القوى الاحتياطية لنزعة الاستسلام القومي ، كما انها اسوأ اتجاه يدعم المعسكر اليميني ويؤدي بالحرب الى الهزيمة . ان من واجبنا في سبيل تحقيق تحرر الامة الصينية والجماهير الكادحة وجعل الصراع ضد نزعة الاستسلام القومي صراعا حازما وقويا ، ان نعارض الاتجاه نحو الاستسلام الطبقي بين صفوف الحزب الشيوعي والبروليتاريا وان نوسع نطاق هذا الصراع حتى يشمل جميع مجالات عملنا » (٧) . لقد حرصنا على ايراد هذه الاستشهادات الطويلة لسببين : الاول : لعلاقتها بالوضع الراهن في بلادنا .

الثاني : لان ناجي علوش ــ الذي يتبنى الكثير من المواقف **الصينية** الراهنة ــ يرتكب الكثير من الاخطاء والتشويهات باسم « الماوية » والتجربة الصينية ، وهذه التشويهات لا تسيء الى نضالنا الراهن فحسب ولكنها تسيء الى تجربة الثورة الصينية ايضا .

اذا كانت الجبهة الوطنية هي تحالف طبقات اجتماعية في مرحلة تاريخية معينة حول برنامج الحد الادنى ، فان كل طبقة من هذه الطبقات ستسعى الى انجاح برنامجها الخاص في نهاية

---

(٥) ماوتسي تونج ، المؤلفات المختارة الجزء الثاني ص ٨٥ ، ٨٦ .
(٦) المصدر السابق ص ٨٧ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

المطاف . ان مهمات مرحلة الثورة القومية الديمقراطية في بلادنا متواصلة مع مهمات المرحلة التاريخية التالية لبناء الاشتراكية ، بل ان ظروف التجزئة الحالية وتفاوت اشكال ودرجات التقدم الاجتماعي والتشكيلات السياسية والطبقية ستسمح في بعض الاقطار العربية ببناء الاشتراكية في المرحلة الراهنة ، وهذا يعني ان القوى الطبقية **القادرة على اقامة** الجبهة الوطنية لتنفيذ مهمات المرحلة هي نفس القوى التي يجب ان تقود الجبهة ايضا . ان المسألة هنا ليست مرهونة بالرغبات ولكنها مرتبطة بالضرورة والتجربة ، وفي هذا المجال من المفيد ان نسأل : لماذا فشلت قوى الطبقات السائدة الان في بناء جبهة وطنية عربية عريضة على الرغم من انها ترفع منذ اكثر من عشرين سنة نفس شعارات ومهمات المرحلة الحالية ؟

ان رفع الشعارات واعلان الرغبات شيء ، والممارسة السياسية الصحيحة شيء آخر . فمن هي القوى الطبقية التي تتبنى فعلا برنامج الجبهة وعلى استعداد لممارسته الى النهاية لانه يعبر حقيقة عن مصالحها الطبقية والقومية ؟

فيتنام :

سنترك لتجربة الثورة الفيتنامية الاجابة على هذا السؤال :

« بالنسبة للطبقة العاملة ، وبحكم مركزها التاريخي ، فان مصلحتها الطبقية والمصلحة الوطنية تتطابقان تماما . اما بالنسبة للطبقات الاخرى فانه بينما يوجد اتفاق بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة ، الا ان هناك ايضا نقاط اختلاف بينهما . (...) وبفضل قيادة حزبنا للثورة بخط سياسي يعكس المصلحة الوطنية المشتركة تماما ، فانه كان من الطبيعي أن يحظى حزبنا بالاعتراف به قائدا للجبهة ، ان مصلحة الثورة ومصلحة الامة تتطلبان العمل بشكل مستمر على تعزيز ودعم **الدور القيادي** للحزب في اطار الجبهة الوطنية (...) ، ان الدعم الدائم **للحلف العمالي الفلاحي** هو مفتاح المحافظة على الدور القيادي للحزب ولتعزيز الجبهة .

وبدون الحلف العمالي الفلاحي كقاعدة صلبة ، فانه **لا يمكن ان**

تكون هناك جبهة وطنية ديمقراطية حقيقية ، كما لا يمكن توسيع صفوف الجبهة » (٨) . اما فيما يتعلق بالقوى الطبقية التي تشكل اساس التحالف في الجبهة الوطنية الفيتنامية فان « لي زوان » يحددها كما يلي : البرجوازية الصغيرة والفئات الوطنية من المثقفين والطلبة الذين تستنهضهم الهبة الثورية الى جانب العمال والفلاحين » (٩) . وكذلك البرجوازية الوطنية التي تنهبها **الامبريالية** ، هي ايضا وطنية **من بعض الجوانب** » (١٠) .

بلغاريا :

ومثل هذا التحديد الدقيق للطبقات المشاركة في الجبهة الوطنية نجده في واحدة من اهم التجارب الجبهوية ، ونعني بها تجربة « جبهة الوطن » البلغارية التي « تنصهر فيها جهود الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين وصغار المنتجين وصغار الملاكين في المدن . والانتلجنسيا المتحدرة من الشعب ، والقوات المسلحة الوطنية لاجل بناء وحدة الشعب الوطنية المعادية للفاشية في الكفاح ضد الملكية والفاشية ولاقامة حكم ديمقراطي شعبي . وتتكون **ركيزة** هذه الوحدة من تحالف **الطبقة العاملة والفلاحين (١١)**

ان ابتعاد ناجي علوش عن تحديد الادوار المختلفة التي تلعبها الطبقات الاجتماعية في بلادنا ، وموقع كل طبقة منها سواء في داخل الجبهة الوطنية او في الطرف المعادي لها ، قاده الى مجموعة تقييمات خاطئة فيما يتعلق بمختلف المسائل التي جرى الحوار حولها ، سواء تلك المتعلقة بفهم الصراع الاخير على

---

(٨) لي زوان ، الثورة الفيتنامية ، دار الطليعة ، ص ٢٢ ،
(٩) المصدر السابق ،
(١٠) المصدر السابق ،
(١١) فلاديمير يونيف ، تجربة الجبهة الوطنية في بلغاريا ص ١٨٥ ، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ،

الساحة اللبنانية او في فهم وتقييم حرب تشرين ونتائجها او في طرح مسائل الجبهة الوطنية والتضامن العربي .. الخ .. الخ .

يبدو واضحا ان علوش ينطلق من منظور عشائري متخلف يرى ان **العرب جميعا** باستثناء بعض العملاء والجواسيس سيقفون وقفة رجل واحد ضد الامبريالية والصهيونية ، ولكن عليهم ان ينظفوا بيتهم من الجواسيس والمندسين .

اليست هذه عقلية القبيلة التي تهب هبة رجل واحد ضد غزو القبيلة الاخرى ؟

اليس سبب الهزائم في كثير من الحصون الحربية ، كما تعلمنا حين كنا صغارا ، هو قيام احد **عملاء** العدو بفتح احد الابواب السرية فيدخل جيش الاعداء وتقع الكارثة ؟

بهذه العقلية يبدو ان ناجي علوش لا يزال يفهم دور العملاء « والقيادات المتنفذة في حزب الكتائب » على الرغم من ولوجنا القرن العشرين ووصول الراسمالية الى اعلى مراتبها الامبريالية .

عام ١٩٢٦ حدد ماوتسي تونج طبقة الاقطاع والكمبرادور كأعداء للشعب وكحلفاء للامبريالية بحكم ارتباط مصالحهم الطبقية بالاعداء .. وبعد خمسين سنة ، وعلى الرغم من ان السوق العالمي لراس المال قد تشابكت مصالحه مما خلق برجوازيات مرتبطة وتابعة تستمد قوتها ووجودها من هذا السوق الذي وصل الى درجة عالية من الوحدة والترابط ، فان ناجي علوش لا يزال يفكر بعقلية الحصون الحربية وبنخوة القبيلة .

خامسا : الموقف الدولي والنموذج الكمبودي

على اثر الخلاف الصيني ــ السوفياتي ، والانقسام الذي حدث في الحركة الشيوعية العالمية ، بدات عملية صياغة نظرية لاسباب الخلاف ولاشكال التباين وكان من نتيجة ذلك ظهور العديد من الحركات « الماوية » الصغيرة في كثير من انحاء العالم .

وقد تميزت هذه الحركات بتبنيها لشعارات الكفاح المسلح وحرب الشعب وبأخذ اشد المواقف يسارية في معالجة مختلف القضايا العالمية .. الى جانب ذلك كان من الطبيعي ان تردد التهم النظرية والسياسية الصينية المتعلقة بالاتحاد السوفياتي وبرامجه السياسية من نوع الامبريالية الاشتراكية وسياسة الهيمنة والنفوذ ... الخ .

الا انه بسبب المواقف السياسية الصينية اللاحقة (العلاقات الصينية ــ الاميركية ، دعم انظمة الشاه وهيلاسلاسي والنميري .. الخ) وبسبب الطروحات النظرية الصينية الجديدة (الموقف من الثقافة ، الاتجاه الاستقلالي لدول العالم الثالث ، الموقف من ستالين .. الخ) اخذت الحركات الماوية تشهد سلسلة متتابعة من الانشطارات .

ضمن هذه الاجواء كان من الطبيعي ان تشهد المنطقة العربية نفس الظاهرة ، وبالفعل فقد اعلنت مجموعة صغيرة منشقة عن الحزب الشيوعي اللبناني تشكيل حزب ماوي جديد في لبنان ، الا ان هذا التنظيم الصغير لم يلبث ان شهد مجموعة من التمزقات والصراعات التي انهت وجوده تماما .

وحديثا فقط ، بدأت تبرز بعض الافكار والمقالات المتناثرة التي تتبنى الخط الصيني والمواقف السياسية والنظرية الجديدة للصين ، الا ان دعاة « الخط الجديد » لم يحاولوا الوقوف على يسار الاحزاب الشيوعية كما فعل الماويون في اوروبا ، ذلك ان اصحاب الخط الجديد ليسوا « ماويين » ملتزمين بأفكار الثورة الصينية وتجربتها الغنية خلال خوض الكفاح المسلح ضد الامبريالية اليابانية والاعداء الداخليين ، ولكنهم « صينيون » ملتزمون بمواقف الصين الراهنة وسياساتها الداخلية والخارجية ، وقد قادهم هذا « الالتزام » الى جانب اسباب اخرى ، الى مواقف يمينية واضحة في كثير من المسائل ، الى ان تحولت اصوات بعضهم الى ابواق دعاية للرجعية العربية . ان منهج منير شفيق مثلا وكتاباته

الاخيرة (★) تصب في هذا الاتجاه ، كما ان المقابلة الاخيرة لناجي علوش تنطلق من نفس المنهج وتصب في ذات الاتجاه ايضا . وعلينا هنا ان ننبه مرة ثانية الى ان هذا الاتجاه ليس ماويا — كما راينا — وانما هو اتجاه رجعي يدعي الانتماء للماوية فيسيء لها قبل ان يسيء للنضال العربي . ان خطورة هذه الاتجاهات لا تنبع من منطقها النظري المشوه فقط وانما من انعكاسات هذا التشويه على كافة المواقف والممارسات السياسية والعملية ، وعلى مسائل التحالفات المحلية والعربية والعالمية ايضا .

لقد مررنا بمجموعة من النماذج عن هذه التشويهات والمواقف على الصعيدين اللبناني والعربي ، فما هو موقف اصحاب هذا الاتجاه من القضايا الدولية ؟

وما هو الموقف من قضايا الخلاف داخل الحركة الشيوعية العالمية ؟

هناك من يعتقد ان « الامبريالية الاشتراكية » هي اشد خطرا على المنطقة العربية من الامبريالية الاميركية ، واذا كانت الاخيرة تقدم للعدو الصهيوني السلاح فان الاولى تقدم له الرجال (هجرة اليهود السوفيات) اضافة الى ان « الامبريالية الاشتراكية » امبريالية شابة تشكل خطرا داهما على مستقبل الامة العربية واستقلالها ، بينما الامبريالية الاميركية امبريالية شائخة في طريقها الى الزوال . بل اكثر من ذلك ، فاذا كانت الامبريالية الاميركية تستهدف تصفية الثورة جسديا فان « الامبريالية الاشتراكية » تستهدف تصفيتها « **بطريقة اشد خطرا** » « بقتل الروح والنفس والعقل والارادة » .

احد اصحاب هذا الاتجاه يحدد استراتيجية الاتحاد السوفياتي من الثورة الفلسطينية كما يلي :

(★) يراجع في هذا المجال مقالي منير شفيق استراتيجيات الدول الكبرى (دراسات عربية العدد ٣ كانون الثاني ١٩٧٣) وحول التناقضات في الوضع العربي العام في دراسات عربية العدد ١٢ ، ١٩٧٤) وردنا عليه في دراسات عربية العدد ٢ كانون اول ١٩٧٤ .

« المطلوب من الثورة الفلسطينية التخلي عن هدفها المبدئي ، مما يتطلب بالتالي ، التخلي عن استراتيجية حرب الشعب طويلة الامد ، والانتقال الى استراتيجية العمل السياسي والضغوط الدبلوماسية والتخلي عن الكفاح المسلح (...) واستبدال كل ذلك بالعمل المسلح المحدود ذي الطابع الفردي (...) وهذا يعني بكلمة بسيطة تصفية الثورة **بطريقة أشد خطرا** من التصفية الجسدية التي تسعى لها الصهيونية والامبريالية والرجعية العربية (...) الفرق كالفرق بين قتل الجسد وبين ابقاء الجسد مع **قتل الروح والنفس والعقل والارادة** » (★) .

ناجي علوش لا يعلن في حواره مثل هذا الموقف ، بل انه يسعى للتأكيد بأن عدونا الرئيسي هو الامبريالية الاميركية والصهيونية والعملاء ، وهو لا يذكر اسم الاتحاد السوفياتي على امتداد ٢٥ صفحة من « دراسات عربية » ، مكتفيا باستعارة تعبير محمد حسنين هيكل ومنير شفيق والنهار عن « **الدولتين العظميين** » الا انه من جانب آخر يركز دائما على « **الاستقلالية** » ويدعونا **لاحتذاء النموذج الكمبودي** « في مرحلة الصراع مع الاستعمار الجديد والصراع **الايديولوجي والسياسي ضمن ما كان يسمى « المنظومة الاشتراكية »** (المزدوجات من ناجي علوش) كما ينبهنا الى ضرورة « ان نعمل بداب لمحاربة اية اتجاهات **لسيطرة الدول المتقدمة** على الدول المتخلفة **والدول الكبيرة** على الدول الصغيرة » . واخيرا يؤكد على اهمية الاعتماد على النفس لان « الحرب ليست حكرا على الاقوياء وعلى الذين يملكون مصانع الاسلحة المتقدمة . فالشعوب الصغيرة تستطيع ان تقاتل **بامكانياتها** » .

وفي هذه الحالة فان « الشعوب التي تقاتل تستطيع بصمودها ان تحصل على **بعض** الاسلحة المتقدمة التي تعينها على مواجهة **تكنولوجيا الحر بالجبارة** » .

(★) منير شفيق ، استراتيجيات الدول الكبرى في الوطن العربي ، دراسات عربية العدد الثالث ١٩٧٣ ص ١٩ ، ٢٠ .

هذه بعض الاشارات المتفرقة والمشوشة والغامضة التي تحدد موقف ناجي علوش من القضايا الدولية والخلافات داخل الحركة الشيوعية العالمية والموقف منها ، فماذا تعني في لغة البرامج السياسية والممارسات العملية والتحالفات العالمية ؟

ان مجموعة الاشارات السابقة تنطلق من مقولات **صينية** جديدة يمكن ايجازها كما يلي :

١ ــ هناك « اتجاه تاريخي » تسعى دول العالم الثالث من خلاله لتحقيق استقلاليتها بعيداً عن نفوذ الامبرياليتين الاميركية والاشتراكية ولا بد من دعم هذا الاتجاه وتعزيزه .. ولهذا رحبت الصين كما رحب « الصينيون » بطرد السوفيات من مصر كما رحبوا بمذبحة الشيوعيين في السودان .

٢ ــ ان الاتحاد السوفياتي دولة امبريالية تسعى لبسط هيمنتها ونفوذها فلا بد من التصدي لها ومهاجمتها .

٣ ــ ان الدول الكبيرة تسعى لفرض سيطرتها على الدول الصغيرة والدول الغنية والمتقدمة تسعى لفرض سيطرتها على الدول الفقيرة والمتخلفة .

٤ ــ ولهذا فلا بد من اعتماد الشعوب الصغيرة والمتخلفة على امكانياتها الخاصة والمحافظة على استقلاليتها حتى لا تتعرض لخطر الوقوع ضمن مناطق الهيمنة والنفوذ الامبريالي .

ناجي علوش يتبنى بأمانة هذه المقولات لكنه يعبر عنها باسلوب غامض ، فهو يؤكد على اهمية « الاستقلالية » في اكثر من عشرة مواقع دون ان يحدد بدقة **من يستقل عن من ؟**

ان الدعوة للاستقلالية دعوة مشروعة ، شرط ان لا تستغل باتجاه نتائج خطيرة ، فاذا كانت « الدول العربية الواقعة ضمن نفوذ الامبريالية الاميركية اصبحت اكثر قدرة على التعارض مع مخططات الامبريالية الاميركية » بسبب « طموح الفئات الحاكمة

في هذه البلدان الى مزيد من الاستقلالية » كما يقول ناجي علوش ، فان النتيجة المترتبة على مثل هذه المقدمة هي الدعوة للتضامن مع هذه الانظمة وقبولها في الجبهة الوطنية .

والاستقلالية تفترض « الا نكون جزءا من محاور القوى دوليا » فما هي محاور القوى الدولية التي يجب الا نكون جزءا منها ؟ اليست هي الامبريالية الاميركية والراسمال العالمي في مواجهة الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي ؟ ناجي لا يحدد هذه القوى لكنه ينصحنا من اجل « ان نحشد قوى حركات التحرر في العالم الثالث والحركات الوطنية والثورية والبروليتارية في العالم (. . .) اننا بذلك كله نستطيع ان نمنع خضوع **الامم الصغيرة لسيطرة اية جهة** » . **اين (طارت) القوى الاشتراكية** من بين القوى التي يسعى ناجي لحشدها ؟ واضح انها في « **اية جهة** » تسعى لاخضاع الامم الصغيرة . ويبدو هذا الامر واضحا بتبني ناجي علوش **للنموذج الكمبودي** في مرحلة « الصراع الايديولوجي والسياسي ضمن ما كان يسمى « المنظومة الاشتراكية » . (★)

فما هو هذا النموذج ؟!!

لقد وقفت الجبهة الوطنية الكمبودية التي يراسها سيهانوك ويقودها الحزب الشيوعي الكمبودي طوال فترة الثورة المسلحة لاسقاط نظام العميل لون نول موقفا عدائيا حادا من الاتحاد السوفياتي مطلقة عليه كافة الاوصاف الصينية المشهورة .. وفي كافة المؤتمرات العالمية التي يشارك فيها الكمبوديون كانوا حريصين على مهاجمة الامبريالية الاشتراكية وتوجيه التحية للصين ، **وفي** نفس الوقت التأكيد المستمر على الاستقلالية !

نحن لا نريد هنا مناقشة الموقف الكمبودي ، لكننا اردنا توضيح هذا النموذج الذي ينصحنا علوش باحتذائه لخوض الصراع الايديولوجي والسياسي على الطريقة الكمبودية .

(★) نظرا لضيق المجال سنكتفي هنا بتحديد موقفنا من مسألة الخلاف داخل الحركة الشيوعية العالمية والذي يمكن ان نسميه « الموقف الفيتنامي » .

ربما كان ناجي علوش يعتقد بان التزامنا بالموقف الصيني الذي يتحدث عن الاستقلالية هو تحقيق عملي لهذه الاستقلالية . ان كلمة استعمار تعني بالاساس البناء والتعمير ، فماذا ستعني « الاستقلالية » بالمستقبل لدعاة التضامن والجبهة العريضة ؟ هل سيحققون « استقلالهم » تحت رايات الرجعية العربية التي « تطمح فئاتها الحاكمة لمزيد من الاستقلالية » ؟!!

ان تناول بعض الظاهرات السطحية التي يبدو من خلالها ان هناك تعارضات بين الانظمة الرجعية والعميلة وبين الامبريالية ، وبناء اساس نظري لحتمية تاريخية تتحرك هذه الانظمة بموجبها ، يعطيها الحق في قيادة الحركة الجماهيرية المعادية للامبريالية او على الاقل الحق الكامل في المشاركة في هذه الحركة او الجبهة ، ومن هنا يبدو ناجي علوش منسجما مع نفسه حين يتحدث عن **موقع** لانظمة القمع العربية الرجعية « التي تربط مخططاتها بمخططات الاعداء » بين صفوف الجبهة الوطنية .

هكذا مرة اخرى .. تنعدم الرؤية في اكتشاف العلاقة بين المصالح الاقتصادية للطبقات البرجوازية المرتبطة مع السوق العالمي لراس المال والخاضع للامبريالية الاميركية واحتكاراتها الهائلة .

كيف يتفق ان « ماركسيا » يتحدث عن اتجاه استقلالي لانظمة عميلة ورجعية ترتبط مصالحها الاقتصادية بعجلة الاقتصاد الامبريالي ؟ واكثر من ذلك فان هذا الارتباط يزداد ويتوطد ، كما نجد ذلك على سبيل المثال في العلاقات الاقتصادية الاميركية ـ السعودية والاميركية ـ المصرية حيث نجد « الصادرات الاميركية للسعودية تقفز بعد حرب تشرين بنسبة ١٥١٪ والى مصر بنسبة ٨٥٪ خلال ستة اشهر » (★) فهل يتحرك الاستقلال السياسي والاقتصادي على طريقين متقابلين ؟!!

(★) النهار البيروتية ٢٦ ـ ١٠ ـ ١٩٧٤ .

يبدو اننا لا نزال بحاجة ماسة لفهم ماهية الامبريالية ، حتى لا نظل اسرى التفكير بعقلية الحصون الحربية القديمة .

□

لم يسمح لنا ضيق المجال بمناقشة قضايا اخرى طرحها الاخ ناجي علوش ، كما ان ضيق المجال وتعدد الموضوعات لم يتيحا لنا الفرصة الكافية لتحديد وجهة نظرنا حول القضايا المثارة بوضوح كاف في معظم الحالات .. هذه القضايا التي نرجو ان نعود الى طرحها قريبا بشكل محدد .

ايلول ١٩٧٥
دراسات عربية

الثورة الفلسطينية والموقف مـــن
قضايا الخلاف في الحركة الشيوعية العالمية*

(الموضوعات التالية تستهدف تغطية القضايا والموضوعات التي لم نتمكن في معرض ردودنا السابقة من تغطيتها بصـــورة كاملـــة) .

خلال الزيارة التي قمت بها لفيتنام عام ١٩٧٢ ، حرصت على معرفة موقف الثورة الفيتنامية وحزب العمل الفيتنامي من قضايـا الخلاف داخل الحركة الشيوعية العالمية ، الا انني رغم تعـدد الاسئلة وتعدد المسؤولين الفيتناميين كنت دائما اتلقى جوابا واحدا :

« ان الصين والاتحاد السوفياتي دولتان صديقتان لنا وتقدمان لنا الدعم والتاييد في كافة المجالات . اما بالنسبة لقضايا الخـلاف داخل الحركة الشيوعية العالمية فنحن نعلن دائما قلقنا وتخوفنـا من هذا الخلاف وندعو باستمرار لوحدة الحركة الشيوعية العالمية ، وقد اكد الرئيس هوشي منه هذه الدعوة في وصيته الاخيرة » .

ولكن ماذا عن مسألة التثقيف الايديولوجي بين صفوف الحزب ؟ فلا شك ان قضايا الخلاف المطروحة تتضمن كثيرا من المسائـل النظرية والسياسية التي تهم الماركسيين في جميع انحاء العالم ؟

ومرة ثانية كنت اتلقى نفس الاجابة ، الا ان المسؤول الحزبي يحرص على ان يضيف : **« من الخطأ الجسيم ان يثقف الحـزب اعضاءه بما يتناقض مع الموقف الذي يلتزم به الحزب في اطـار**

---

* نشر هذا المقال قبل ثلاث سنوات حدثت خلالها تطورات هامـــة وخطيرة في المواقف النظرية والسياسية الصينية والتي تستحق وقفة جـادة تجاهها ، والتي ادت الى اعلان البانيا - وهي اول حليف للصين - رفضها لها .

الجبهة الوطنية او بما يتناقض مع المواقف المعلنة للحزب . ان ذلك يؤدي بالنتيجة الى عملية تخريب في بناء الجبهة وفي وحدة الحزب ».

ولكن .. (اضيف سؤالا جديدا) ماذا عن تعدد الاجتهادات ووجهات النظر حول هذه القضايا في صفوف القاعدة الحزبية ؟

« لا شك ان الرفاق الحزبيين في القاعدة يناقشون هذه القضايا الا ان الالتزام الديمقراطي بالموقف الرسمي للحزب هو الذي يحسم هذا النقاش » . ★

قبل الانتقال من الساحة الفيتنامية الى الساحة العربية والفلسطينية ارى من المهم ان انقل هذين المشهدين :

المشهد الاول في مطار صيني صغير على الحدود الصينية ـ الفيتنامية حيث جلسنا في ردهة المطار نشرب الشاي الصيني مع عدد من المستقبلين الفيتناميين والصينيين ، ودار حديث سريع عن العلاقات بين الصين وفيتنام وعن الدعم الذي يقدم لثوار فيتنام ، وقد امتنع المسؤولون الصينيون بتواضعهم المعروف من الحديث في هذا الموضوع ، الا ان الرفاق الفيتناميين اخبروني عن الدعم المتعدد الذي يقدم . لقد لفت نظري من بين انواع هذا الدعم ان قطارا خاصا ينقل يوميا كميات هائلة من « البسكويت » الخاص الذي يحتوي على مجموعة غذائية كاملة يصنع خصيصا لثوار فيتنام في مصنع اقيم لهذه الغاية ويواصل عمله منذ سنوات .

المشهد الثاني : في شوارع هانوي او في الطريق الممتدة بين هانوي والمدن المجاورة ، كان اطفال فيتنام يلوحون لي بأيديهم ويهتفون بكلمة محددة ، وحين سألت مرافقي عن هذه الكلمة قال : **« انها تعني مرحبا بالصديق السوفياتي لان شكلك يشبه شكل الروس ، وقد اعتاد الاطفال هنا ان يقابلوا الكثير من الرفاق السوفيات الذين يسهمون في دعمنا بمختلف المجالات » .**

★ ان هذا الموقف لا يعني للحظة واحدة غياب فيتنام عن قضايا العالم السياسية وتحديد موقف حاسم منها ، وبغض النظر عن موقف كلا الدولتين .

مشهد عام . في مختلف الوحدات العسكرية ، وفي مختلف مواقع الميليشيات الشعبية كنت تشاهد السلاح السوفياتي الى جانب السلاح الصيني ، وكثيرا ما تنطلق صواريخ « سام » ضد طائرة فانتوم اميركية في نفس اللحظة التي تنطلق فيها رشاشات « ماو » .. فتسقط الطائرة الاميركية ، ويستطيع اطفال فيتنام ان يواصلوا ابتساماتهم الحلوة والتلويح بأياديهم الغضة للرفاق السوفيات والصينيين في شوارع هانوي الفيتنامية المحررة .

□

في اجتماع المجلس الثوري لحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » الذي انعقد في نهاية شهر آب ١٩٧٥ اكد المجلس ان « فتح » تعتبر الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية دولتين صديقتين للثورة الفلسطينية ، كما اكد ان « فتح » ليست طرفا في قضايا الخلاف المثارة داخل الحركة الشيوعية العالمية .

وقد جاء هذا القرار بعد ان برزت بعض الاصوات في الفترة الاخيرة ، يتضح منها ان هناك من يأخذ موقفا منحازا الى هذا الجانب او ذاك ، وقد ووفق على هذا القرار **بالاجماع** ـ باستثناء صوت واحد ـ .

هذا الموقف يأتي تأكيدا لمختلف المواقف التي التزمت بها الثورة الفلسطينية عبر برامج مجالسها الوطنية والتي كان آخرها في دورة انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني الثانية عشرة (من ١ ـ ٩ حزيران ١٩٧٤) حيث اكد البرنامج السياسي على « **ان وقوف البلدان الاشتراكية وقوى التحرر والتقدم في العالم الى جانب قضية شعبنا وامتنا وتضامنها معنا يتطلب بذل المزيد من الجهود لتحقيق تلاحم اقوى مع هذه القوى ، وعلينا ان نركز في هذا المجال على توسيع جبهة اصدقائنا** » كما اعلن المجلس في برنامجه اجلاله لدور « **المعسكر الاشتراكي في دعم نضال الشعب الفلسطيني والامة العربية ويخص بالذكر في هذا المجال الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية** » .

وفي تقرير اللجنة التنفيذية المقدم الى المجلس الوطني في دور انعقاده الحادظ عشر (٦ ـ ١ ـ ١٩٧٣) والذي رافقه انعقاد المؤتمر الشعبي الفلسطيني اكدت اللجنة **نمو وتطور**

التعاون والدعم من قبل دول المنظومة الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفياتي للثورة الفلسطينية (...) واستمرار الموقف الثابت من قبل جمهورية الصين الشعبية الى جانب اهداف نضال شعبنا في كافة المجالات وعلى مختلف الاصعدة » .

وعن الموقف من قضايا الخلاف داخل الحركة الثورية العالمية اكد البرنامج السياسي للمجلس بأن « **النضال الوطني الفلسطيني العربي هو بشكل حاسم وثابت الى جانب وحدة كل قوى الثورة العالمية** » كما اكد « **ان اسهام النضال الوطني العربي في حسم اية خلافات في الحركة الثورية العالمية هو في المحل الاول بمعالجته لقضاياه وللتحديات التي تواجهه بشكل فعال وبنجاح** » كذلك فقد اقر المجلس الوطني في دورة انعقاده الحادية عشرة الخطة المرحلية التي تؤكد « **على ضرورة تطوير العلاقات مع البلدان الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية** » .

هذه هي الخطوط الرئيسية لمواقف الثورة الفلسطينية كما اكدتها برامجها السياسية ومواقفها العملية (عموما) في هذه المرحلة وفي المراحل السابقة .

الا ان غياب الالتزام المبدئي بهذه المواقف سمح ببروز اصوات من داخل اطارات الثورة الفلسطينية تخل بالميزان الدقيق لهذه المواقف مما يدفع اطرافا اخرى الى اخذ موقف نقيض يخل بالميزان على الجانب الاخر حتى اصبحت قضايا الخلاف داخل الحركة الشيوعية العالمية احدى قضايا الخلاف داخل الساحة الفلسطينية ، وهذا في تقديرنا انحراف خطير عن الخط الصحيح كما اعلنته واكدته البرامج السياسية للثورة الفلسطينية ، وكما يلزم تدعيمه واستمرار المحافظة عليه .

ويتراوح هذا الانحراف من اتهام الاتحاد السوفياتي « **بالامبريالية الاشتراكية وبانه اشد خطورة على الثورة الفلسطينية من الامبريالية الاميركية** » . الى اتهامه « **بممارسة سياسة الهيمنة والنفوذ ومحاولة فرض السيطرة** » . وعلى الجانب الاخر نجد ان هناك اتجاها يتعمد التجاهل الكامل للصين الشعبية والتركيز المبالغ فيه على دور واهمية الاتحاد السوفياتي والتثبيت المستمر لصيغة

« دول المنظومة الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي » ، مسقطا اية اشارة للصين الشعبية ودورها في دعم الثورة الفلسطينية .

□

كيف تشكلت هذه المواقف والاتجاهات الخاطئة داخل الساحة الفلسطينية ولماذا ؟

عند انطلاق الكفاح المسلح الفلسطيني عام ١٩٦٥ كان من الطبيعي ان ترافق ذلك عملية دراسة جدية للتجارب الثورية المشابهة ، وخاصة تلك التجارب التي اكتملت صياغتها النظرية عسكريا وسياسيا . وفي هذا المجال احتلت كتابات **ماوتسي تونج** العسكرية ومؤلفاته المختارة دورا بارزا ومتقدما . اضف الى ذلك ان عددا كبيرا من كوادر الثورة الفلسطينية قد تلقى دورات تدريبية وتثقيفية في الصين الشعبية نفسها ، وعاد هؤلاء الى الساحة الفلسطينية وهم يحملون معهم ليس تجربة الثورة الصينية ضد الاحتلال الياباني فقط وانما يحملون ايضا دهشتهم واعجابهم بالصين المعاصرة وبموقفها السياسي المبدئي في دعم القضية الفلسطينية وفي ادانة الوجود الصهيوني ورفض الاعتراف بالكيان الصهيوني .

وهكذا تشكلت **حالة تعاطف** فلسطينية مع التجربة العظيمة للثورة الصينية .. مع الموقف السياسي المبدئي الراهن من الصين تجاه النضال الفلسطيني .. مع الدعم المادي الذي يلمسه المقاتل الفلسطيني بيديه : رشاشا ولغما وقنبلة . (في اللقاء الذي تم مع الزعماء الصينيين في مايو (ايار) ١٩٧٢ اخبرنا شوان لاي ان كمية السلاح الذي قدمته جمهورية الصين الشعبية لحركة فتح وحدها يسلح ٢٧ الف مقاتل ، هذا الرقم لم يكن كبيرا اذا تذكرنا اعداد المقاتلين والميليشيا الشعبية في الاردن وحدها في ايلول ١٩٧٠ وعلى امتداد قواعد الثورة الفلسطينية من جنوب لبنان الى جنوب الاردن مرورا بسوريا) .

الا ان حالة التعاطف الفلسطينية مع صورة النقاء الثوري الصيني بدات بالاهتزاز منذ عام ١٩٧٢ وبدا كثير من كوادر الثورة الفلسطينية يطرحون الاسئلة والاستفسارات التي تحمل طابع **العتب والادانة الرفاقية** :

ـــ لماذا تدعمون نظام الشاه في ايران وتستقبلون شقيقته في بكين استقبال الزعماء .. بينما في ايران ثورة شعبية لا بد من تدعيمها ومساندتها ؟

ـــ أليست مساعدتكم للامبراطور هيلاسيلاسي وتقديم القروض له اضعافا لموقف الثورة الارترية ؟

بعد ذلك تصبح الاستفسارات والتساؤلات اصوات رفض واحتجاج ، وتحديدا بعد تأييد الصين للنميري على اثر مذبحة الشيوعيين السودانيين واعدام محجوب والشفيع :

ـــ انكم تخطئون يا رفاق بهذا الموقف . ولا يجوز ان تنسحب مواقفكم من السوفيات والاحزاب الشيوعية على الحزب الشيوعي السوداني الذي يحتل في وجدان الجماهير العربية مكانة كبيرة .

ثم تأتي عملية تدعيم وتأييد موقف السادات في طرده للخبراء السوفيات في الوقت الذي شعرنا فيه جميعا برائحة المؤامرة الاميركية التي تهدد الثورة الفلسطينية والمنطقة العربية ، ويكتب كمال ناصر (**ضمير الثورة**) افتتاحية « فلسطين الثورة » : « **ليس دفاعا عن السوفيات وانما دفاعا عن انفسنا** » . رغم ذلك كله ، ورغم اهتزاز صورة النقاء الثوري الصيني ، ظلت الثورة الصينية تحتل مكانا طيبا في الوجدان الفلسطيني الذي يبحث عن الاصدقاء ويتشبث بهم ، خاصة وانهم يؤيدون النضال الفلسطيني والبرنامج الثوري الفلسطيني ، ويرفضون الاعتراف بالعدو الصهيوني .

الاتحاد السوفياتي :

ارتبط الاتحاد السوفياتي في الذهن الفلسطيني والعربي عموما بمسألة الاعتراف « باسرائيل » وبمسألة التقسيم . وظلت هذه تحتل مركز الخلافات السياسية مع الاحزاب الشيوعية العربية ولتنسحب بصورة مباشرة على الموقف من الاتحاد السوفياتي الذي يعترف « باسرائيل » ويقيم معها العلاقات الدبلوماسية والسياسية المختلفة .

وقد صاحب ذلك ذروة الحرب الباردة بين الامبريالية الاميركية والمعسكر الراسمالي عموما وبين الاتحاد السوفياتي ، وما ترسب من هذه الحملة في المنطقة العربية (الخاضعة للاعلام الغربي) من حساسيات وتحفظات ضد الشيوعية والاتحاد السوفياتي خاصة فيما يتعلق بقضايا « الدين والملكية والعائلة والحرية » الخ . الا ان الصورة اخذت بالتبدل مع منتصف الخمسينات حين بدأت المنطقة العربية تخوض معاركها القومية والديمقراطية ضد المشاريع الامبريالية المختلفة (حلف بغداد ، مشروع ايزنهاور) وضد الوجود الاستعماري في الارض العربية وخاصة الوجود الانكليزي في مصر والاردن والعراق والسودان واليمن الجنوبي والخليج العربي والوجود الفرنسي في الجزائر وتونس والمغرب ، هذه المعارك التي بلغت ذروتها في الهجوم العسكري على مصر عام ١٩٥٦ فيما عرف بمعارك السويس وبور سعيد .

قبل ذلك كانت مصر قد كسرت احتكار السلاح الغربي عام ١٩٥٥ وتم عقد صفقة السلاح التشيكي ، كما تمت مجابهة الموقف الاميركي من مسالة تمويل بناء السد العالي وصفقة القمح المعروفة بواسطة الاتحاد السوفياتي . ويجيء انذار بولجانين العسكري ضد العدوان الثلاثي تتويجا للمواقف السابقة وليفتح صفحة جديدة في العلاقات السوفياتية العربية التي تطورت فيما بعد تطورا كبيرا في مصر وسورية والعراق والجزائر ، خاصة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ .

بالنسبة للثورة الفلسطينية كانت الصورة مختلفة . فتجربة الثورة الروسية تختلف عن طبيعة الثورة الفلسطينية التي تكافح ضد الاحتلال الصهيوني ، كما ان موقف الاتحاد السوفياتي من الثورة الفلسطينية وبرنامجها كان متعارضا مع البرنامج السوفياتي ومع مواقف الاحزاب الشيوعية العربية فيما يتعلق بقضية التحرير وازالة الكيان الصهيوني الا ان هذا التعارض لم يمنع الثورة الفلسطينية من العمل على تطوير علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي والاحزاب الشيوعية العربية ، خاصة بعد ان ثبتت الثورة اقدامها كقوة اساسية في المنطقة العربية ، وجاء اللقاء اولا مع الاحزاب الشيوعية في الاردن وسورية ولبنان والعراق التي بدأت تشهد

تغيرات فعلية في مواقفها وبين صفوفها ، هذه التغيرات التي تبلورت عمليا بتشكيل « قوات الانصار » وعلى الجانب السوفياتي بدأت عملية تطور بطيئة ولكن مستمرة على طريق اقامة علاقات افضل وتسارعت هذه العلاقات بعد ذلك خاصة بعد طرد الخبراء السوفيات من مصر . الا ان عاملا سلبيا دخل بعد ذلك على موقف الاتحاد السوفياتي بموافقته على هجرة يهودية واسعة الى « اسرائيل » . وتجيء حرب تشرين لتدخل تغييرا كبيرا وهاما على العلاقة بين الثورة الفلسطينية والاتحاد السوفياتي ، حين قامت منظمة التحرير الفلسطينية بطرح برنامجها المرحلي المتقاطع مع البرنامج السوفياتي في نقطة لقاء بالغة الوضوح . هذا البرنامج المرحلي كان مرهونا بتدعيم السوفيات له بشكل أساسي ، من هنا فان دعاة السلطة الوطنية الفلسطينية ركزوا رهانهم بصورة مكثفة على الاتحاد السوفياتي ودوره وفعاليته في المنطقة . وقد قاد هذا الرهان القائم على حسابات خاطئة في فهم موازين القوى الفعلية في المنطقة الى اخلال في الموقف الاستراتيجي الصحيح من قضية الخلاف داخل الحركة الشيوعية العالمية .

هكذا نجد أن تقاطع البرنامج المرحلي الفلسطيني مع البرنامج السوفياتي في نقطة لقاء محددة قد قاد اصحاب البرنامج المرحلي الى الوقوع في خطأين استراتيجيين :

الاول : انهم راوا نقطة التقاطع ولم يروا الخطين المتقاطعين ، بمعنى انهم وقفوا امام نقطة اللقاء وراهنوا عليها للوصول الى سلطة وطنية ، هذه السلطة ــ لو جاءت افتراضا ــ ستكون على حساب البرنامج الاستراتيجي الفلسطيني لان الرهان كان على الاتحاد السوفياتي اساسا قبل وخلال وبعد الوصول الى هذه السلطة ؟!

الثاني : الخطأ الثاني الذي وقع فيه اصحاب البرنامج المرحلي والذي يؤكد الخطأ الاستراتيجي الاول كان حين قادهم الرهان الى تركيز صورة التحالف مع الاتحاد السوفياتي فقط على حساب الموقف من الصين الشعبية ومن قضية الخلاف داخل الحركة الشيوعية العالمية .

في هذا الاطار وعلى هذه الارضية بدات الخطوط والاتجاهات الخاطئة والمنحرفة تبرز داخل الساحة الفلسطينية فبدلا من النضال والتصدي للاتجاهات الخاطئة داخل الساحة الفلسطينية بهدف تصويبها باتجاه الموقف الصحيح استراتيجيا سواء فيما يتعلق بطرح البرنامج المرحلي او فيما يتعلق بالموقف من الحركة الشيوعية العالمية ، وجدنا من يستغل هذه الاتجاهات الخاطئة لشن حملة شعواء ضد الاتحاد السوفياتي متهما اياه بالامبريالية الاشتراكية وبممارسة سياسة الهيمنة والنفوذ ، واصبحت الدعوة الى « الاستقلالية » مترادفة مع الدعوة الى محاربة الاتحاد السوفياتي والاحزاب الشيوعية العربية واصحاب البرنامج المرحلي ، وانعكست هذه المواقف على سلسلة من الممارسات العملية الخطيرة والضارة .

واندفع اصحاب هذا الاتجاه يبحثون عن المقولات الصينية التي تشكل اسلحة بايديهم ضد الاتحاد السوفياتي والاحزاب الشيوعية ، فوجدوا في مقولة « الاتجاه الاستقلالي لدول العالم الثالث بعيدا عن مناطق النفوذ الامبريالي » واحدا من اسلحتهم . فراحوا من خلال هذه المقولة يصفقون بحرارة لموقف السادات الاستقلالي بطرد الخبراء السوفيات كما راحوا يحيون « **النظام السعودي الذي تطمح طبقته الحاكمة الى مزيد من الاستقلالية** » . وقادهم ذلك الى المناداة بالتضامن العربي حتى ولو كان « **يضم بين صفوفه انظمة مفرقة في رجعيتها وفي خضوعها للامبريالية الاميركية** » . ما دام مثل هذا التضامن سيتصدى للامبريالية الاشتراكية وسياسة الهيمنة والنفوذ التي يمارسها الاتحاد السوفياتي حتى وصل الامر ببعض اصحاب هذا الاتجاه الى اعتبار « **الاتحاد السوفياتي اشد خطرا من الامبريالية الاميركية** » . واذا كان اصحاب الاتجاه الاول قد وقعوا في خطأين استراتيجيين حين غلبوا المرحلية .. على الاستراتيجية ، فان اصحاب الاتجاه الثاني قد وقعوا في سلسلة من الاخطاء الاستراتيجية والمرحلية :

اولا : لقد رفعوا شعاري « الاستقلالية » و « التحرير الكامل » ولكنهم رهنوا هذين الشعارين في خزانة التضامن العربي الذي تهيمن عليه الرجعية العربية المرتبطة بالامبريالية الاميركية ، وهي ذات الخزانة التي تضم قرار ٢٤٢ كما تضم الاتفاق المصري ـ الاميركي ـ « الاسرائيلي » الاخير .

ثانيا : اذا كان اصحاب الاتجاه الاول قد اخلوا بميزان الموقف من الحركة الشيوعية العالمية حين ركزوا على الاتحاد السوفياتي وتجاهلوا الصين الشعبية ، فان اصحاب هذا الاتجاه يقومون بعملية تخريب كاملة للموقف بحربهم المكشوفة ضد الاتحاد السوفياتي وضد الاحزاب الشيوعية العربية التي يقف بعضها في خندق قتال دموي الى جانب الثورة الفلسطينية .

ثالثا : لقد حسم الواقع الموضوعي الان والى درجة كبيرة مسالة السلطة الوطنية وبات الجميع يدرك ان المواجهة الضارية الان هي ضد الامبريالية الاميركية وادواتها وضد مشروع الملكة المتحدة ، وهذا يساعد الى حد كبير على تعديل صورة الموقف لدى اصحاب الاتجاه الاول نحو الالتزام بالبرنامج الاستراتيجي الفلسطيني ، وهنا يمكن اكتشاف نقطة تقاطع فعلية وصحيحة مع الاتحاد السوفياتي في مواجهة الامبريالية الاميركية ، ان العمل المشترك فوق هذه النقطة — مع رؤية خطوط التقاطع — مسالة هامة استراتيجيا في خوض معركة منتصرة ضد الامبريالية الاميركية ومشاريعها ، وهذا العمل المشترك يصب فعلا في معركة الانتصار النهائي للبرنامج الاستراتيجي الفلسطيني .

وفي نفس الوقت فان الهجوم على الاتحاد السوفياتي سيصب في طاحونة الامبريالية الاميركية والرجعية العربية ، ويجعل معركتنا اشد صعوبة وقسوة . نحن لا نرهن معركتنا وانتصارنا بالعوامل الخارجية وحدها ولكننا نعتقد أن قراءة خريطة الوضع الدولي وموازين القوى فيه مسالة هامة واساسية في انتصار ثورة تواجه « اسرائيل » والصهيونية العالمية والامبريالية الاميركية والرجعية العربية . مرة ثانية لنتذكر النموذج الفيتنامي .. ولنتذكر ان ثوار فيتنام قد قاتلوا بطائرات « ميج » وبالدبابات السوفياتية وبصواريخ « سام » ، كما قاتلوا بالرشاش « ماو » وبالقنبلة الصينية .

دراسات عربية — تشرين الثاني ١٩٧٥

الوجه الاخر للتسوية

مع صدور قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ دخل مفهوم التسوية الى قاموس السياسة العربية اليومية ولم يخرج منه حتى الان .

وفي فترات متعددة كان يبدو أن التسوية قد صارت على الابواب ، وبأن كل ما تحتاجه ليتم ابرامها يوم أو أيام من المفاوضات والاتفاقات .

وفي كل مرة كان الحماس يشتد ، وا،لانفعالات **تضيق بصدور** اصحابها ممن يريدون اعلان الرفض والادانة والمواجهة لهذه التسوية التي سيتم التوقيع عليها بين ليلة وضحاها . ثم . . لا تلبث النفوس ان تهدأ ، فلا تكاد التسوية تذكر الا لماما الى ان يجد عارض جديد فتلتهب النفوس من جديد لتعود فتهدأ مجددا وهكذا دواليك كما يقولون .

وفي هذه الايام تشهد مختلف العواصم والدول العربية والعالمية نشاطا بالغا مكثفا ومتنوعا ومتواصلا وعلى مختلف الاصعدة ، والهم الوحيد لهذا النشاط كما يبدو هو التسوية السياسية وكيف يمكن البدء بتنفيذها خلال اشهر فقط ، ويكون من الطبيعي والحال كذلك ان تشتعل النفوس اكثر حتى تكاد تختنق بانفعالاتها وتساؤلاتها :

هل هناك تسوية ام لا ؟

هل هناك تسوية واحدة ام تسويات ؟

وهل التسوية اميركية ام سوفياتية وطنية ؟ او خليط من تسويتين ومنزلة بين المنزلتين ؟

وهل التسوية ستعقد هذه المرة الان ام انها ستؤجل مرة

اخرى كما سبق لاحتمالات تسوية سابقة ؟ وبينما نغرق وسط دوامات هذا الحماس والتساؤلات والانفعالات في كل جولة من جولات الحديث عن التسوية ومنذ العام ١٩٦٧ ، نجد أن التسوية كالماء تمر من تحتنا منذ سنوات دون أن نشعر بها ونحن منشغلون بالتساؤل : هل التسوية قادمة أم لا ؟

ونجد ايضا بأن هذه التسوية التي قطعت اشواطا واسعة لا زالت بانتظار المزيد من الحلقات كما سنتبين بعد قليل .

□

هل هناك تسوية أم تسويات ؟

قبل الحديث عن مفهوم التسوية وحدودها واحتمالاتها لا بد من حسم مسألة هامة وهي هل هناك تسوية واحدة ام تسويات ؟

ذلك ان حسم هذه المسألة يساعد في تركيز التحليل باتجاه التسوية الفعلية القائمة دون التشعب في تحليلات متعددة حول تسويات محتملة لا علاقة لها بالواقع . ومما يساعد في هذا المجال ايضا نزع الوهم الشائع حول تعبير التسوية نفسه ، والذي يعني بأن اطرافا متناقضة بينهما حد من التوازن في نسب القوى يسمح بعقد تسوية لمصلحة مختلف الاطراف وعلى ضوء نسب القوى المفترض تحققها في الواقع .

ان التسوية بهذا المعنى غير قائمة ، لان كل ما نشهده من تنفيذ لحلقات التسوية يشير بوضوح الى الهيمنة الاميركية شبه المطلقة على مسار التحرك السياسي حتى تكاد المخططات الاميركية في هذا المجال تكون شبه اوامر يجري تنفيذها من قبل قاعدتها الصهيونية وعملائها في المنطقة وفي ظل ميزان قوى شديد الاختلال لمصلحة قوى المخطط الاميركي .

وان ما يبدو ظاهريا من ان هناك معوقات حقيقية تواجه حلقات التسوية ليس في واقع الامر سوى جزء من المخطط الاميركي نفسه .

وان قراءة سريعة لهذا المخطط على سبيل المثال تشير بوضوح الى استحالة ان ينفذ مشروع روجرز الاميركي عام ١٩٧٠ .

ذلك ان الولايات المتحدة ليست معنية بالبحث عن صيغة اتفاق بين مختلف الاطراف والوصول الى الحد الادنى في هذا المجال .. لكنها معنية بتوفير شروط التسوية المادية في ارض الواقع نفسه ــ كما سنرى ــ ومثل هذا الامر يحتاج الى تنفيذ حلقات عديدة وسنوات طويلة .

وفي اطار هذا الوضع فاننا نرى بأن الترويج لتسويات اخرى سوفياتية او غيرها لا يحقق مثل هذه التسويات لكنه فقط يهيء المناخ لتمرير التسوية الاميركية وحدها على حساب الاتحاد السوفياتي نفسه وعلى حساب دعاة التسوية الوطنية . ان نظاما كنظام السادات يجد في نفسه الجراة ليعلن بأن دولة عظمى مثل الاتحاد السوفياتي تدعمنا بالسلاح والامكانيات تريد تسوية واعترافا ، وبسقف سياسي معلن هو ٢٤٢ وهو اي السادات لا يستطيع ان يقف هكذا وحده ضد ارادة القوى العظمى ..

ومثل هذه الوضعية تضعف الى درجة كبيرة قوى المعارضة الثورية والتقدمية لمسالة التسوية ولمشروع ٢٤٢ مما يمكن السادات وامثاله بالتالي من ضرب هذه القوى ومن طرد السوفيات والارتماء في احضان الامبريالية الاميركية ومخططاتها ، فلا بد اذن من فرز حاد وواضح بين برامج ومخططات الاعداء وبين برامج ومخططات القوى الثورية والتقدمية وحلفائها .

ان طرح البرامج المرحلية وتقديم التنازلات التكتيكية ليست امورا ضد المواقف الثورية والمبدئية اذا كانت هذه البرامج والتنازلات من اجل تحقيق مكاسب مادية تسهم وتقرب انجاز الهدف الاستراتيجي لهذه القوى الثورية . وان تقديم مثل هذه البرامج والتنازلات ليست مرهونا بالرغبات والارادة الذاتية لكنه امر مرتبط بمجموع الوضع الكلي وموازين القوى الفعلية فيه ، وامكانية ان لا توظف هذه التنازلات والبرامج المرحلية والحلول الوسط في خدمة مخطط الاعداء كما هو حادث الان وليس في مصلحة القوى الثورية وبرنامجها .

والان ماذا عن التسوية كمفهوم حقوقي وواقعي ؟

كيف نفهم التسوية ؟

يرتبط مفهوم التسوية بأذهان الكثيرين بصيغة حقوقية يتم ابرامها والتوقيع عليها من قبل الاطراف المعنيين بما يسمى بمشكلة الشرق الاوسط ، وعبر هذا الفهم تحتل « جنيف » وضعا في غاية الخطورة والاهمية ، بحيث يبدو كل ما عدا « جنيف » هامشيا لا يعبر عن اية اخطار فعلية . ان التعامل مع التسوية باعتبارها صيغة حقوقية وخوض الصراع ضدها على هذا الاساس يفتح ثغرة خطيرة لتمرير التسوية بكل ابعادها ودلالاتها ونتائجها .

من هنا فان علينا أن نميز بحسم بين التسوية كاجراء تفاوضي حقوقي (جنيف) وبين التسوية بمعناها الحقيقي أي بتوفير الشروط المادية الواقعية والعملية التي تشكل الشرط الموضوعي لتسوية قد انجزت ، وتنتظر مراسيم التوقيع .

ان خوض الصراع ضد التسوية كحلقات متتابعة يجري تنفيذها كل يوم على ارض الواقع ، هو الصراع الوحيد المجدي للتصدي للتسوية ككل ، أما الصراع ضد « جنيف » التفاوض والتوقيع فلا يعني سوى القفز من فوق التسوية الفعلية نحو الفراغ واللاجدوى .

وانطلاقا من هذا الفهم فاننا نرى ان التسوية قد قطعت بالفعل اشواطا واسعة وتم تنفيذ حلقات اساسية فيها . ونحن الان بمواجهة يومية لتنفيذ مزيد من هذه الحلقات . ويسهم النشاط السياسي والدبلوماسي المكثف الذي تقوم به أوساط عربية ودولية متعددة ومن مواقع مختلفة بالتأكيد ، بشد الانظار بعيدا الى الامام : « جنيف » بينما التسوية تنفذ على الارض مباشرة وفي هذه الايام بالذات ان توجيه زاوية الرؤية والاهتمام والتصدي لوقائع التسوية العملية هي المهمة الملحة الان لمن اراد بالفعل أن يتصدى للتسوية لان ان يناطح طواحين الهواء .

ان التصور الخاطىء لمسألة التسوية ينبع اساسا من

التقدير بأن التوقيع الحقوقي على وثيقة التسوية هو الذي سيفتح المجال لتنفيذ الخطوات العملية الخطيرة التي تمثلها عملية التسوية بينما نعتقد نحن بأن الخطوات العملية التي نفذت ويجري تنفيذها الان هي التي تفتح المجال للمراسيم الاجرائية المتعلقة بالصلح والاعتراف .. الخ .

ولتأكيد هذه الحقيقة ما علينا سوى أن نجري مقارنة سريعة بين النتائج العملية المنتظرة التي ستعقب التوقيع وبين الحلقات العملية التي تم ويتم تنفيذها فعلا .

وقبل اجراء هذه المقارنة لنتأمل هذه المواقف والمقدمات :

« ان تعبر الجرارات الاسرائيلية الحدود العربية بدلا من الدبابات .. هذه هي التسوية » .

« التسوية في نظري هي ان اذهب لاتسوق من الموسكي والحميدية دون ان يبدو ذلك امرا مستغربا » .

هذا ما اعلنته جولة مائير في مناسبات سابقة اعقبت حرب حزيران . ويؤكد موشي دايان رفضه « عقد اي صلح مع زعيم عربي قد ينقضه غدا ضابط مغامر » .

وبعد حرب تشرين راقبت جولدا مائير بفرح حركة البناء والعمران الجارية في مدن السويس واعتبرت ذلك خطوات عملية هامة وذات دلالات كبيرة للتمهيد للتسوية ، وهي بنظرها اهم من غشرات المواثيق والعهود .

وفي منتصف نيسان من العام الحالي مجلس الوزراء الاسرائيلي يراقب بكثير من التقدير الدور المصري في زائير .

ان مجموع هذه المواقف الاسرائيلية وعشرات غيرها تكشف بوضوح تام جوهر الاستراتيجية الاميركية الاسرائيلية الثابتة المتعلقة بمفهوم التسوية ، كما تكشف حقيقة المهدات المادية المطلوبة قبل الوصول الى الصيغ الحقوقية والقانونية .

التسوية الوحيدة

ان قطع العلاقات الاقتصادية والسياسية مع المعسكر

الاشتراكي ، واعادة ربطها مع السوق الراسمالي الامبريالـــي ، وما يتطلبه ذلك من تغييرات في مواقع القوى الطبقية والسياسية في كل قطر عربي ، يمثل المهد الرئيسي ماديا وعمليا ، لصيغـــة قانونية لتسوية قد تمت بالفعل .

وتحت هذا العنوان العريض تندرج العديد من التفصيـلات الهامـــة :

● ضرب حركة التحرر العربي بكل فصائلها المسلحـــة والتقدمية والوطنية .

● ضر ب المنجزات الديمقراطية التي تحققت في ربع القرن الاخير اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا .

● الهيمنة الامبريالية ــ الصهيونية على المنطقة العربيـــة بما تمثله من موقع استراتيجي واسواق ومواد اولية وايدي عاملة .

● ان تقوم الانظمة العربية ومن على ارضية التسويـــة هذه ، ومن مواقع التبعية الاقتصادية والسياسية بلعب دور الاداة للامبريالية ومخططاتها في المجالين الافريقي والعربي .

ان نظرة سريعة لوقائع التسوية وتفصيلاتها تكشف لنـــا بوضوح ما تم انجازه من حلقات التسوية ، كما تكشف امكانية تنفيذ ما تبقى من حلقات ما لم يواجه بفعل مضاد على كافة جبهات التسوية وضد كافة حلقاتها التي تمت والتي لم تتم .

وعلى هذا الطريق ، طريق تنفيذ حلقات التسوية الفعليـــة وخلق المهدات المادية لها تمت سلسلة من العمليات :

ــ ضرب الثورة في الاردن .

ــ محاولات تصفية الثورة الفلسطينية المستمرة في لبنان .

ــ عمليات الحصار والتضييق المستمرة ضد الثورة في معظم الدول العربية .

ــ طرد السوفيات من مصر .

ــ ضرب الثورة الوطنية في السودان .

ــ محاصرة القوى الوطنية في سوريا وتصفيتها خـــلال المرحلة الماضية .

ـ تصفية القوى والمواقع الوطنية واليسارية والناصرية في مصر وانتهاج السادات سياسة جديدة باتجاه الولايات المتحدة .

ـ ضرب الثورة في الخليج العربي بواسطة ايران والرجعية العربية ، ومحاصرة الثورة في عدن .

ـ زعامة السعودية « فيصل » للمنطقة العربية .

ـ الانفتاح الاقتصادي على الغرب وضرب التحولات الاقتصادية الديمقراطية التي تمت في عدة دول في المنطقة ، وفي هذا المناخ تجيء حرب تشرين لتحريك قطار التسوية ولتكرس الزعامة الرجعية للمنطقة (الحلف السعودي المصري) ولتنتقل اميركا في عرف هذه الزعامات ومواقفها الى صديق ووسيط بعد أن كانت العدو رقم واحد للامة العربية .

ويتبع ذلك محاولات تصفية الثورة في لبنان والدور السوري في هذا المجال ، اضافة الى ضرب الحركة الوطنية في لبنان ، وخنق الحريات الديمقراطية النسبية في الكويت ولبنان ومصر .

وتكرس عبر هذا الوضع عمليات التسوية على الجبهتين المصرية والسورية ويشتد نفوذ دعاة التسوية المرحلية في الساحة الفلسطينية .

والمطلوب من كل ذلك خلق الظروف الموضوعية والتمهيد العملي لمراسيم التفاوض والتوقيع . وقد اشار السادات بوضوح بعد لقائه الاخير بكارتر على ضرورة العمل والتمهيد عبر لجنة العمل برئاسة فانس ودون انتظار مؤتمر جنيف .

وجنيف هنا بمعنى توقيع اجراء شكلي على حلقة من حلقات التسوية وليست توقيع حل نهائي لا زال امامه اشواطا طويلة لم يقطعها بعد ، وهذا ما يفسر مهلة الثماني سنوات التي اعطاها الرئيس الاميركي كارتر قبل ابرام العقد النهائي ومن اجل التمهيد له .

ما معنى ذلك .. ؟

ان كافة الحلول المطروحة ومشاريع التسويات والمواقف والتصريحات المختلفة لا تستهدف بحقيقتها ترتيب الامور وتقريب وجهات النظر لاعداد صيغة التسوية حقوقيا . لكنها بحقيقة الامر تستهدف التعامل اليومي مع حلقات التسوية لتنفيذها عمليا ، وبعد استكمال كافة الشروط المادية المطلوبة فقط ، ومن على ارضية التسوية الفعلية ستطرح الصيغ القانونية النهائية للتسوية وبما يتفق مع جوهر الاستراتيجية الاميركية ــ الاسرائيلية التي سبق لنا الحديث عنها .

هل معنى ذلك اننا نستبعد عقد مؤتمر جنيف ؟

نعم .. اذا كانت جنيف تعني اقرار الصيغة الحقوقية والقانونية النهائية للتسوية .

اما ان يعقد مؤتمر جنيف لتهيئة المناخ لتنفيذ حلقات او خطوات جديدة من التسوية فهذا محتمل الا ان جنيف هنا ستساوي الخيمة (١٠١) فقط وهذه على اية حال جنيف اخرى .

□

التسوية الاميركية في عهد كارتر

اذا كنا نقول ان التسوية الوحيدة المطروحة عمليا هي التسوية الاميركية فان علينا الان ان نكشف خطوط هذه التسوية في عهد الادارة الاميركية الجديدة والتي لا تختلف في اهدافها وجوهرها عن المخطط الاميركي السابق ، وان اختلفت في خطوطها وتفاصيلها واساليبها . ان اكتشاف السياسة الاميركية الجديدة مرتبط بكشف الطريقة التي جاء بها كارتر الى السلطة وعلاقة ذلك « باللجنة الثلاثية » الاميركية الاوروبية اليابانية . فاذا كان روكفلر هو الذي اسس هذه اللجنة ، واذا كان كيسنجر واحد من ابرز عناصرها المائتين ، فان كارتر وبرجنسكي وفانس بالاضافة الى ستة عشر آخرين من ابرز عناصر الادارة الاميركية الحالية هم اعضاء رئيسيين في هذه اللجنة ، كما نلاحظ ان ابرز اولئك الذين قادوا حملة كارتر الانتخابية هم بدور اعضاء في اللجنة الثلاثية .

لقد مثلت قضية الطاقة (النفط اساسا) المحور الرئيسي لعمل هذه اللجنة وكان برجنسكي رئيسا للجنة الطاقة بالاضافة الى كونه رئيسا للجنة الثلاثية .

الكارتل العسكري الاميركي بدوره كان ممثلا بقوة في هذه اللجنة ، وهذا الكارتل كما هو معروف ضد سياسة التعايش والانفتاح ومع الاتجاهات التي تدفع نحو الحرب والعنف في العالم ، وهذا يفسر ما حدث لاحقا من فشل مفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية مع الاتحاد السوفياتي . وهذا الاتجاه يلتقي كذلك مع اتجاه الحزب الديمقراطي الاميركي الذي قاد طوال العهود الماضية كل العمليات الحربية الاميركية سواء في كوريا او فيتنام او كوبا او جواتيمالا .

ان اهتمام اللجنة الثلاثية بمسألة الطاقة والنفط اساسا باعتباره عصب الاقتصاد العالمي دفع كيسنجر التعايش والوفاق نفسه ، الى التهديد عام ١٩٧٤ باحتلال منابع النفط ، فماذا عن سياسة كارتر وادارته الجديدة وحزبه الديمقراطي ؟

لقد حددت اولويات السياسة الاميركية مع مجيء الادارة الجديدة على الشكل التالي :

اولا : الامن الدولي .

ثانيا : الاقتصاد الدولي .

ثالثا : التسوية في الشرق الاوسط .

ثم فجأة نجد ان الشرق الاوسط قفز الى المرتبة الاولى من سلم الاهتمامات الاميركية . فهل معنى ذلك ان الولايات المتحدة جادة فعلا في تنفيذ التسوية في المنطقة حتى لو كانت تسويتها هي ؟ وهل الاهتمام الاميركي بحقيقته هو باتجاه التسوية في الشرق الاوسط أم هو اهتمام بالشرق الاوسط نفسه لعلاقته بأولويات الاهتمام الاميركي الامن الدولي والاقتصاد الدولي وفي مقدمته الطاقة والنفط ؟ لقد سبق لنا القول بأن المخطط الاميركي يسعى لفرض ظروف موضوعية في المنطقة العربية وهذا امر يحتاج الى زمن

طويل ، ولا يحتاج الى ايجاد صيغة اتفاق قانوني يمكن الوصول اليه بسرعة .

ومما يؤكد هذه الحقيقة تصريح كارتر نفسه عن مدة السنوات الثمانيـــة .

اذن فالاهتمام الاميركي المستجـــد مرتبـــط بالشرق الاوسط لعلاقته بالامن والطاقة وليس لارتباطه بالتسوية في الشرق الاوسط . الا ان هذا الاهتمام نفسه سيعالج بالتأكيد مسألة التسوية ولكـــن فقط على ضوء المخطط الاميركي الاسرائيلي وبما يتصل من هـــذه المسألة بقضيتي الامن والاقتصاد الدوليين ، وتحديدا بالسعـــــي للسيطرة على منابع النفط سواء عبر الوجود المباشر او بواسطـــة العملاء والادوات الرجعيين او بمحاولة تحريك ادواته في المنطقـــة باتجاه مواقع النفط الخارجة عن نفوذه كما هو الحال في العـــراق وليبيا والجزائر .

ومن هنا نستطيع انتظار مشاكل اقليمية عديدة مع هذه الدول وجيرانها المرتبطين بالمخططات الاميركية وفي اطـــار الهيمنـــة الاميركية على مقدرات المنطقة العربية كموقع استراتيجي ومـــواد اولية واسواق وايدي عاملة ، وعلى انقاض حركة التحرر العربيـــة والعلاقات مع المعسكر الاشتراكي هذه في تقديرنا الاتجاهـــات الرئيسية لمسار السياسة الاميركية الحالية وعلاقتهـــا بالشرق الاوسط وموضوع التسوية .

اضافة الى ذلك وعلى صعيد تنفيذ حلقة او حلقات مـــن التسوية . فان متابعة التحركات السياسية عبر مساراتها المتشعبة والمتداخلة والمتعارضة من قبل مختلف الاطراف تمكننا من اكتشاف نقاط تقاطع خطيرة تمثل في تقديرنا مراكز مواجهة اساسية لضرب مفصلية حركة التسوية ونقاط ارتكازها الفعلية .

العلاقة الاردنية ــ الفلسطينية

وفي تقديرنا ان ابرز نقاط التقاطع هذه واخطرها هي العلاقـــة الاردنية ــ الفلسطينية .. وباستثناء فوارق درجية في مواقـــف مختلف الاطراف من هذه المسألة ، يبدو واضحا بأن هناك امكانية

لاجراء اتفاق ما اردني ــ فلسطيني على صيغة هذه العلاقة وارتباطها بالضفة الغربية والانسحابات الممكنة والكيان الفلسطيني وشرق الاردن .. الخ ..

ان الرفض الاسرائيلي لاقامة دولة ثالثة بين اسرائيل والاردن لا يتعارض مع الطرح التكتيكي الشكلي الذي اعلنه كارتر حول ما اسماه **بسكن** للفلسطينيين ، وهذا الطرح التكتيكي يكشفه بعد ايام كارتر نفسه وهو يعلن حماسه الشديد لتصريح الرئيس انور السادات حول الاتفاق الاردني ــ الفلسطيني الذي يسبق مؤتمر جنيف . واصفا ــ اي كارتر ــ السادات بالرجل الشجاع . وقد سبق للزعامة الاسرائيلية ان رحبت بتصريح مشابه للسادات واعتبرت بأنه يزيل عقبة حقيقية من طريق التسوية .

فاذا اضفنا الى ذلك التصريحات الرسمية وشبه الرسمية المتكررة حول **العلاقة الخاصة** الاردنية ــ الفلسطينية ، تبدو خطوط اللوحة السياسية اكثر بروزا .. اما الحديث عن مشاريع الوحدة والتوحيد والاتحاد في المشرق العربي فيشكل الرتوش الضرورية لخلق الانسجام والتناغم بين عناصر اللوحة وعناصر الواقع مانحا اياها بعدها القومي العروبي وطموح الامة بالوحدة .. !! وفي ظل هذه التقاطعات ايضا فان مشروع آلون وحزام مستعمراته على نهر الاردن يشكل التطبيق المادي لاقتراح كارتر حول الحدود القانونية والحدود التي يمكن الدفاع عنها .

اما القدس فمسألة دينية اعتبارية لها وضع خاص واستثنائي لتكون التأكيد العملي على حسن الجوار وسلامة النوايا وعبور السياح والجرارات ، والمتسوقين في شوارع القدس القديمة والموسكي والحميدية كما تصر جولدا مائير .

واذا كنا قد قطعنا شوطا زمنيا في تصور الامكانيات العملية للحل كما تشير ممهداته الان فلكي ننبه بقوة على خطورة الحلقة الراهنة من حلقات التسوية ، والمحددة بايجاد صيغة اتفاق قانوني تفاوضي **للعلاقة الخاصة** الاردنية ــ الفلسطينية ، هذه العلاقة التي سيحدد شكلها الفعلي موازين القوى المحلية والعالمية . اما النوايا الطيبة فقد رصف اصحابها ارض الجحيم منذ زمن بعيد .

□

اذا كنا ننطلق في تقديراتنا من ان التسوية قد تمت وتتم على حلقات (الخطوة خطوة .. الحلول الجزئية .. الاتفاقات الثنائية .. الخ ..) فان الوصول الى شروط الحد الادنى لدى مختلف الاطراف يعني امكانية تنفيذ حلقة من حلقات التسوية . وهذا ما اسميناه بنقطة التقاطع .

وفي هذا المجال فاننا نكتشف نقطة تقاطع اخرى على الجبهة المصرية لا تقل خطورة عن النقطة السابقة .

كيف ..؟

« الارض مقابل السلام » ..

هذه هي مقايضة « شيلوك » الذي يرتدي الان الزي الرسمي للقيادة الاسرائيلية .

والارض هي في مقابل السلام فقط عندما لا تكون الارض تعني شيئا خاصا في البرنامج الاسرائيلي .

ارض الضفة الغربية هامة جدا ، والحكومة الاسرائيلية لا تستطيع المقايضة عليها حتى في مقابل السلام الا بعد استفتاء شعبي .

والجولان ايضا خارج لعبة المقايضة والسلام هذه بسبب الحدود الامنة ، والمدافع المحتملة على الهضبة السورية . اما صحراء سيناء التي هي خارج كافة برامج التوسع والحدود الامنة والعلاقة التاريخية .. الخ .. فيمكن عندها فقط الحديث عن الارض والسلام .

هذه الامكانية الاسرائيلية لعقد صفقة جديدة (حلقة) على الجبهة المصرية ، تتفق مع الرغبة الاميركية بدعم النظام المصري في وجه حالة التذمر في اوساط الجيش والشعب . فاذا كان مطلوبا من الجيش المصري أن يلعب دورا افريقيا في وجه « التغلغل الشيوعي » فلا بد من اجراء عملية تنفيس في اوساط الجيش الذي سيتساءل عن معنى القتال في زائير . والارض المصرية لا زالت

محتلة ؟! « السادات اعلن اشراك الطيران المصري في زائيـــر بعد كتابة هذا التحليل » .

مجلس الوزراء الاسرائيلي يقدر تماما هذا الحرج الـــذي سيصيب النظام المصري ولهذا فهو يبحث هذه المسألة كبند رقـم واحد على جدول اعمال اجتماعه الوزاري .. وهكذا يتقاطع الموقف الامريكي ـ الاسرائيلي مع الاتجاه العام للسياسة المصريـة على ارضية التسوية المادية التي تحدثنا عنها . والثمن كما اشـار السادات هو اعلان انهاء حالة الحرب . هنا بالضبط يبدو واضحا معنى التسوية والسلام الاسرائيلي بأن يدير الجيش المصري ظهره للعدو الصهيوني متجها نحو الغرب والجنوب لمواجهة الكفـر والالحاد والشيوعية . ان اخراج مصر من المعركة على هذه الشاكلة سيعني حتى غياب امكانيات التشدد على الجبهات الاخرى ، ممـا سيفسح المجال واسعا لانجاز حلقات اخرى على طريق التسويـة الكاملة والنهائية .

ان حديثنا عن حلقات التسوية وامكانياتها لا يعني للحظـة واحدة افتراضنا بنجاح هذه الحلقات .. ذلك ان قطار التسويـة لا يسير في الفراغ وبدون مجابهات مضادة .. اردنا فقط ان نشير الى النقاط الارتكازية التي تعتمدها حلقات التسوية التالية ولنعرف من اين يأتي الخطر الفعلي والى اين يجب ان تصوب النيران .

هذا المقال نشر في شؤون فلسطينية في ايلول ١٩٧٧ ، دون ان يتضمـن الحلقة الخاصة بالعلاقة الاردنية ـ الفلسطينية .

حركة ٢٣ يوليـــو :

الموقع الطبقي والدور التاريخي

قبل الحديث عن حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ نجد من المهـــم ان نسجل الملاحظات التمهيدية التالية :

الملاحظة الاولى : ان حركة ٢٣ يوليو لم تدخل بعد في اطـــار البحث التاريخي الاكاديمي ولا زالت تمثـــل مجالا حيـــا للصراع السياسي مصريا وعربيا . ومن هنا فان ادعاء الحياد المجرد فـــي تناول هذه الحركة غير وارد في تقديرنا من قبل جميع من سيتنـــاول هذه المسألة .

الملاحظة الثانية : ان معظم من تناول حركة ٢٣ يوليو حتـــى الان قد استقطب باتجاه الدفاع او الهجوم على منجزات النظـــام الناصري او على سلبياته ، والذين تقدموا خطوة على هذا التنازل اجروا تعدادا ميكانيكيا للايجابيات والسلبيات دون ان يضيفـــوا جديدا في فهم جدلية النظام الناصري وسياسته المركبة والمتحركة .

الملاحظة الثالثة : هي محاكمة المرحلة الناصرية من ٥٢ ــ ٧٠ باعتبارها مرحلة واحدة يصدق عليها حكم واحد بالسلب او الايجاب وليس باعتبار هذه المرحلة مسارا تاريخيا شهد سلسلة هامـــة من التعرجات والانعطافات والانكسارات الاساسية والهامة .

الملاحظة الرابعة : تتعلق في فهم بنية النظـــام الناصري وتركيبه الطبقي ومنشأ وتطور هذا التركيب مما اوقع الكثيريـــن في مطبات نظرية وسياسية فادحة الخطورة وخاصة على الصعيـــد الداخلي في مصر .

بعد هذه الملاحظات التمهيدية يمكننا الدخول في موضوعنا .

الثورة لا تبدأ من فراغ كما قال عبد الناصر والا فانها ستصب في الفراغ نفسه . فما هو تاريخ حركة ٢٣ يوليو واين صبت في نهاية المرحلة الناصرية ؟

لقد حددت الارضية الاجتماعية وتشكلاتها الطبقية المسار الفعلي لحركة الضباط الاحرار وختامها التراجيدي .

واذا اردنا ان نستعير من الميثولوجيا اليونانية تفسيرا لسر هذه الخاتمة التراجيدية لقلنا ان « اللعنة » قد بدأت مع الولادة الشاذة للبرجوازية المصرية .

ان الولادات الشاذة للبرجوازيات المحلية في دول العالم الثالث هي الظاهرة الاكثر شيوعا في عصرنا . وتشكل البرجوازية المصرية هو احد الامثلة البالغة الوضوح لهذه الظاهرة .

لم تأت ولادة البرجوازية المصرية كنتيجة طبيعة لتراكم ونمو راس المال العربي في مصر وفي اطار ثورة برجوازية ديمقراطية للاطاحة بالاقطاع واحلال علاقات الانتاج البرجوازية الجديد ، بل جاءت هذه الولادة المشوهة في كنف « حاضنات » راس المال الغربي . ولهذا نجدها عبر تشكلها واستمرارها تخضع لقانونين اساسيين :

الاول : التعايش مع الاقطاع والتحالف معه .

الثاني : استمرار ارتباطها « بالحبل السري » مع حاضنات راس المال الغربي والاعتماد عليه وارتباط مصالحها به .

من هنا ظلت البرجوازية المصرية هشة وضعيفة سواء على صعيد موازين القوى الداخلية بعلاقتها مع الاقطاع ، او على صعيد الموقف من الاحتلال الاجنبي واساليب التصدي له . لقد ظل الهدف الحقيقي لمختلف الصراعات التي خاضتها البرجوازية المصرية منذ سعد زغلول هو الوصول الى شكل افضل للمشاركة في السلطة المصرية الى جانب القصر والاقطاع والاحتلال .

وتجيء الحرب العالمية الثانية ليشهد الاقتصاد المصري

عملية تضخم واسعة لسد احتياجات السوق المحلي والحرب وجيوش الاحتلال بسبب انقطاع خطوط المواصلات البحرية ، وقد انعكس هذا التضخم الهائل على دور وحجم البرجوازية المصرية كما انعكس على الطبقة العاملة المصرية التي تضاعف عددها عدة مرات .

وكما كانت الحرب سببا في تضخم دور البرجوازية ، كانت نهايتها سببا في ازمة الاقتصاد المصري وافلاس عدد كبير من المصانع والمنشآت والشركات ، وتشريد الوف العمال المصريين . على ارضية الازمة الاقتصادية هذه تحتل القضية الوطنية المطالبة بالاستقلال دورا بارزا ومتقدما تشكل فيه لجان العمال والطلبة العمود الفقري لحركة النضال المصري الذي تشارك فيه شرائح متعددة من البرجوازية المحلية والصغيرة . وفي هذه الفترة تبدأ مقدمات الحرب الفلسطينية وتحتل عناصر اوسع فاوسع من البرجوازية المصرية الصغيرة مواقع لها في صفوف الجيش المصري، فتدخل المسألة القومية العربية بصورة حادة ومباشرة في صلب القضايا المطروحة على جدول اعمال النضال المصري ، وبين صفوف الضباط والجنود بدرجة اعلى واشد كثافة ، ولعل هذا ما يفسر لاحقا احد العوامل الهامة في تبني وتعميم حركة ٢٣ يوليو لمبادىء وشعارات الوحدة والعروبة وتركيز الاهتمام على المسائل القومية المتعددة .

على قاعدة هذه التشكلات الطبقية بأزماتها المتعددة والمعقدة وفي مناخ النهوض الوطني والجماهيري المعادي للاحتلال الانكليزي والسراي والاقطاع والباشوات ، وفي مرحلة انحسار الاستعمارين الانكليزي والفرنسي الذي اعقب الحرب العالمية الثانية .. في ظل هذه الاوضاع جميعها يتمكن تنظيم الضباط الاحرار من الاستيلاء على السلطة في مصر ليحقق عدة اجراءات هامة :

- الاطاحة بالملكية .
- اخراج المحتلين الانكليز من مصر .
- توجيه ضربات قوية للاقطاع وتوزيع الاراضي على الفلاحين .

● تأميم البنوك والشركات الاجنبية وفي مقدمتها شركة قناة السويس .

● عقد صفقة الاسلحة التشيكية وتعزيز العلاقات الاقتصادية والسياسية مع المعسكر الاشتراكي .

● التصدي للاحلاف والمعاهدات الاجنبية وخوض معارك قومية ظافرة في هذا الاتجاه .

● تكريس الاتجاه الوحدوي والعروبي خلال عام ٥٨ باعلان الوحدة مع سوريا .

● الاعلان عن الاشتراكية وتطبيقها ، والقيام بحركة تصنيع واسعة وبناء السد العالي وما يمثله من كهربة القطر المصري وتطوير ثرواته الزراعية . يبدو واضحا من سلسلة هذه الانجازات التي حققها نظام عبد الناصر خلال عشر سنوات انه لم يكن معبرا عن مصالح طبقة معينة فقط ، بل يبدو جليا بان مختلف طبقات الشعب المصري ــ باستثناء الاقطاع ــ قد حققت مكاسب فعلية سواء كانت مؤقتة او تاريخية :

● البرجوازية المصرية لم تمس اقتصاديا وان ضربت او ازيلت بعض رموزها السياسية ، الا ان حركة ٢٣ يوليو قد ازالت من طريقها كل المعوقات التي حالت سابقا وبسبب ضعفها دون استيلائها على مقدرات الحياة الاقتصادية وبالتالي السياسية . فبعد ان كانت « تناضل » لكي تكون شريكا في السلطة الى جانب القصر والاقطاع والاحتلال جاءت حركة ٢٣ يوليو لتزيل من طريقها كل هؤلاء وتفتح امامها الطريق واسعا وممهدا للاستيلاء التام على السلطة عند اكتمال الشروط المادية اللازمة لذلك .

● الفلاحون هم بدورهم حققوا عدة مكتسبات بتوزيع اراضي الاقطاع عليهم وبتطوير المشاريع الزراعية الضخمة كالسد العالي وادخال وسائل التقنية والمكننة الحديثة للريف المصري . كما يكون الاعلان الرسمي عن حقهم مع العمال بالمشاركة بنسبة ٥٠ بالمئة في مختلف الهيئات والمؤسسات والتنظيمات ما يمكن اعتباره اطاراً شرعيا يساعد العمال والفلاحين في ملء هذا الاطار الاعلاني بمضمون فعلي .

● العمال ، وتأتي مكاسبهم المعلنة متأخرة بعد عام ٦١ على الرغم من نشاط حركة التصنيع . الا ان الانجازات « الاشتراكية » لم تلبث ان تعطلت مع الخطة الخمسية في عام ٦٥ ولتأتي السنوات الأولى من السبعينات لتجهز عليها .

● اما البرجوازية الصغيرة التي خرج من بين صفوفها معظم رجال السلطة الجديدة فان مكاسبها الفعلية ترتبط اساسا بوضع الطبقات الرئيسية في المجتمع . الا انها شعرت بدرجة من الرضا لتحقيق عدد من مطالبها العامة التي تشارك فيها طبقات الشعب الاخرى بسقوط الملكية وطرد المحتلين والقضاء على الباشوية والامتيازات الاقطاعية والاجنبية ، اضافة الى سلسلة التدابير الاصلاحية الداخلية التي اتاحت لعناصر هذه الطبقة ملء الكادرات الاساسية في مؤسسات الدولة ، وخاصة مع سن قانون التعليم الجامعي المجاني .

اذا كانت حركة ٢٣ يوليو قد حققت نسبيا مصالح مختلف فئات وطبقات الشعب المصري فأين هو الموقع الطبقي الفعلي لحركة ٢٣ يوليو وما هو الدور الذي لعبته فعلا على الصعيد التاريخي في تراتب الطبقات الاجتماعية وعلاقات انتاجها الجديدة ؟

قبل الاجابة على هذا السؤال فلنلاحظ وجه التشابه التالي :

لقد كان طبيعيا في عصر الثورات البرجوازية الاوروبية ضد الاقطاع ان تسعى القوى البرجوازية الى حشد كافة فئات الشعب الاخرى للاطاحة بالاقطاع ولهذا فقد كانت ترفع الشعارات والمبادىء المعبرة عن مصالح مجموع فئات الشعب :

الحرية .. العدالة .. المساواة

الا ان هذه الشعارات ــ المبادىء لا تلبث بعد استيلاء البرجوازية على السلطة ان تفقد مضمونها وتصبح حكرا على الطبقة المستغلة الجديدة . الا ان هذا لا يعني على المستوى التاريخي ، ان هذه الثورات البرجوازية لم تمثل خطوة تقدمية بعكس بعض جوانبها الايجابية على طبقات الشعب الاخرى وخاصة الفلاحين .

هذه الوضعية التاريخية تأخذ في ظروف عالمنا المعاصر شكلا جديدا ومركبـــا .

لقد ادى الغزو البرجوازي الاستعماري لدول العالم الثالث الى وقف النمو الطبيعي لعلاقات هذه الدول الانتاجية ــ ما قبـــل الرأسمالية ــ والى فرض نمط علاقات الانتاج البرجوازي الغربي على هذه الدول مما ادى الى تشوه هذا الاقتصاد وتبعيته للمركـــز الاستعماري . وكان ابرز اشكال هذا التشوه عملية التزاوج غير الشرعية بين نمط الانتاج الاقطاعي والبرجوازي الجديد ، ويأتي نمو الطبقة العاملة وتشكلها في اطار هذه الهيمنة الاقتصاديـــــة السياسية المشتركة لهذا التزاوج .

ان علاقات الانتاج المركبة والشاذة هذه تمثل معوقا اساسيا امام عملية الانتاج وفي مواجهة قوى الانتاج العمالية والفلاحية .

فاذا كانت الثورة البرجوازية وهي تطيح بعلاقات الانتـــــاج الاقطاعية تحقق مكاسب فعلية للطبقة الاساسية الحليفة لهـــا وهي طبقة الفلاحين ، فان ظروف التشكلات الطبقية المركبـــة والشاذة بين الاقطاع والبرجوازية تدعو في لحظة الاطاحة بعلاقات الانتـــاج هذه الى تحقيق مكاسب للقوى الطبقية المشاركة في التصـــــدي لعلاقات الانتاج السابقة . ومن هنا يصبح مفهوما على ارضيـــــة الظرف الموضوعي الخاص والمحدد في مصر ان تكون انجازات حركة ٢٣ يوليو قد خدمت مصالح عدة طبقات اجتماعية بصورة نسبية ، وان كانت تمثل مصالح البرجوازية المصرية في جوهر حركتها ودورها التاريخي .

وفي ظل الاوضاع المركبة السابقة نفسها لا يكون غريبا ايضا ان تقفز عناصر من طبقة اخرى ، كما حدث في مصر لتلعـــب الدور التاريخي للبرجوازية المصرية الضعيفة والمتعايشة مع الاقطـــــاع والمرتهنة للاجنبي ، الا انها وهي تلعب هذا الدور لا تلعبه لحسابها وانما لحساب احدى الطبقتين الاساسيتين في مجتمع اقطاعـــي ــ برجوازي . فالبرجوازية الصغيرة تنجذب لأحد قطبي المجتمع ولا تشكل بنفسها مصالح طبقية مستقلة . وهي في النموذج المصري لعبت الدور لمصلحة البرجوازية المصرية بصورة تامة تتجلى بمـــا

وصلت اليه الان بصورة طبيعية ومتدرجة منذ عام ٦٥ وانعطافا بعد ٦٧ وتكريسا لهيمنتها المطلقة مع بداية السبعينات . قلنا انه في عصر الثورات البرجوازية الاوروبية ترتفع شعارات : الحرية .. العدالة .. المساواة .

اما في دول العالم الثالث وفي عصر الاشتراكية وحيث تتشكل الطبقة العاملة في ظل تزاوج الاقطاع والبرجوازية فليس غريبا ان ترتفع الشعارات المناسبة لهذه الظرفية الخاصة :

الحرية .. الاشتراكية ويضاف عليها عربيا **الوحدة** . الا ان هذه الشعارات وبعد ان تستكمل البرجوازية صعودها وهيمنتها الكاملة على وسائل الانتاج الجديدة سواء في اطار ملكيتها المباشرة او غير المباشرة عبر برجوازية الدولة والقطاع العام المدار من البرجوازية نفسها .. ان هذه البرجوازية بعد صعودها وهيمنتها تفقد هذه الشعارات من اي مضمون نسبي لها ، وتبدأ على الفور بصياغة اوضاعها الجديدة بما يتلاءم مع طبيعة النظام الرأسمالي نفسه الذي استقرت له الامور فيبدأ بالانجذاب الطبيعي لمثيله وشبيهه الرأسمال العالمي كما يبدأ بالبتر القطعي او التدريجي لعلاقاته مع المعسكر الاشتراكي . ومن هنا فان اطلاق وصف « الوطنية » على هذه البرجوازية كصفة دائمة وتحديد لموقعها الطبقي وهو وصف خاطىء .

ان الذي يحدد الاتجاه الفعلي لحركة ٢٣ يوليو ــ بعيدا عن الشعارات والمنجزات والمكاسب النسبية ــ هو موقفها العملي الذي اطاح بالتنظيمات الجماهيرية التقدمية والاحزاب والقوى اليسارية . هذا الموقف ترك كل شيء بعيدا عن ايدي الجماهير وقواها السياسية الفعلية ليسلمها بلا اية رقابة شعبية للبرجوازية التي مهدت الطريق امامها وازيلت العقبات التي حالت سابقا دون استيلائها التام على السلطة الفعلية الاقتصادية والسياسية .

لا نريد هنا ان نحاكم النوايا والدوافع الانية التي دفعت حركة ٢٣ يوليو لتوجيه ضرباتها المتلاحقة للاحزاب الاشتراكية والتنظيمات العمالية ، لكننا نريد ان نتفحص موضوعيا مثل هذه الاجراءات في اطارها الموضوعي وما نتج عنها عمليا .

قلنا ان البرجوازية المصرية التي تمثل طموحها في عهد السراي بان تدخل شريكا في السلطة ، قد تنامت قواها ودورها خلال سنوات الحرب العالمية الثانية مما اتاح لها مجالا متقدما لتلعب دورا سياسيا واقتصاديا هاما في الحياة المصرية .. وكما قلنا ايضا فان هذا الوجود الفعلي لم يمس من قبل حركة ٢٣ يوليو ، بل العكس ازالت من امامه العقبات . وفي المقابل فان الطرف النقيض والمتمثل بالطبقة العاملة المصرية وقواها السياسية قد كيلت له الضربات المتلاحقة من الناحية الفعلية ، كما ان الاجراءات الاشتراكية التي اعلن عنها عام ١٩٦١ قد تعثرت وفشلت عام ٦٥ ، وهكذا كانت الطبقة العاملة وقواها السياسية اقل الاطراف استفادة من انجازات حركة ٢٣ يوليو مما مكن البرجوازية المصرية مع بداية السبعينات وبسهولة من الهيمنة الكاملة على السلطة في مصر .

وهذا بالضبط هو الذي يحدد الموقع الطبقي لحركة ٢٣ يوليو ودورها التاريخي بغض النظر عن انتماءات عناصر هذه الحركة للبرجوازية الصغيرة عام ١٩٥٢ ، وبغض النظر عن نواياها ايضا .

اثيوبيـــا .. ارتيريا .. المازق والحل

(كتب هذا المقال قبل انفجار الحرب الاثيوبية ــ الصومالية ، وتركز على بحث المعضلة الاثيوبية ــ الارتيرية ، مع التنبيه الـــى خطورة احتمالات الوضع على الجبهة الصومالية) .

بعد زائير وشابا وانغولا ينتقل مركز الاهتمام هـــذه الايـــام باتجاه القرن الافريقي الذي بات مرشحا للانفجار والتوسع بصورة خطيرة ، افريقيا وعالميا ، واكثر بكثير مما شهده الصراع الاخيـــر على مناجم شابا .

واذا كانت الحرب الزائيرية قد اجرت عملية فرز واستقطاب على مستوى القارة الافريقية وخارجها فان ما يحدث الان في القرن الافريقي هو عملية خلط واسعة للمواقف والادوار والقوى تعود باكبر الضرر على مسار حركة التقدم والتغيير على صعيد القـــارة والمنطقـــــة .

ومما يزيد في تعقيد الوضع وخلط الاوراق فيه . ان طرفـــــي الصراع الاثيوبي الارتيري لا يمثلون طرفين احاديين على صعيـــد تقرير الموقف فالنظام الاثيوبي بقيادة هايلي مريام لم تحسم الاوضاع فيه على **مرتكزات مادية تقدمية شعبية** داخل اطارات تنظيميـــــة لكنه نظام انقلابي لا يزال عرضة للهزات والتغييرات الحادة التي قد يقدم عليها احد اطراف الانقلاب كما فعل مريام نفسه في وقـــت سابق ، وهذه التشكيلة الانقلابية غير المنسجمة تصنع محصلـــــة الموقف الاثيوبي وتراعي موازين القوى والمواقف داخل المجلـــس العسكري . هذا ما سنبحثه بعد قليل .

الطرف الثاني في معارك الصراع وهو الثورة الارتيرية لا تشكل بدورها طرفا احاديا يستطيع التقرير ، فمعروف ان هناك ثلاث اتجاهات رئيسية داخل الثورة ترتبط كل منها بسلسلة من المواقف والتحالفات مما يحول بينها وبين انخاذ موقف موحد من النظام الاثيوبي الجديد على افتراض ان هذا النظام وضع مشروعا معقولا للحل .

وعلى سبيل المثال اذا اعلن مريام هدنة عسكرية مع الثورة الارتيرية فان الاطراف الرجعية في المنطقة المعادية للنظام الاثيوبي ستدفع احد الاتجاهات المعروفة داخل الثورة الارتيرية لرفض هذه الهدنة واستمرار القتال .

وفي المقابل فان هايلي مريام اذا اعلن موقفا كهذا اي اعلن الهدنة تمهيدا للمفاوضات فان تركيبة الوضع غير المنسجم داخل المجلس العسكري قد تطيح به ★ ، وهذا ما سنبحثه الان .

لقد تشكلت اثيوبيا من وحدة عدة قبائل وقوميات . ثم جرى الحاق ارتيريا وضمها اليها في اطار الصفقات والتسويات الاستعمارية . وتشكل القبيلة الامهرية التي ينتمي اليها هيلا سلاسي والمجلس العسكري الجديد ايضا الفئة الممتازة والمسيطرة والمتعلمة في اطار وحدة القبائل والقوميات ، وهذه القبيلة هي اصغر هذه القبائل والقوميات ولكنها رغم ذلك تحتكر كل مقدرات البلاد وتحتل المواقع الرئيسية في اجهزة السلطة ، مما اثار في المقابل ردود فعل (قومية) وقبلية حادة تطالب بالانفصال وحق تقرير المصير او المشاركة .. الخ .. وتشهد هذه التجمعات القبلية والقومية عمليات تمرد وانتفاضات منذ سنوات طويلة ولكن بصورة متفاوتة القوة والفعالية . وكان نظام هيلاسلاسي يقوم بسحقها بمنتهى العنف والوحشية .

★ لا شك ان تطورات حاسمة قد تمت خلال الشهور الماضية ـ بعد كتابة هذا المقال ـ لمصلحة هايلي مريام ومجموع الاتجاه التقدمي مما يمكنه من السيطرة الفعلية والكاملة في اثيوبيا ، ويتيح له امكانية اعلان مثل هذا الموقف دون مخاوف تذكر .

ان اعطاء حق تقرير المصير والانفصال لمجموع هذه القميات والتجمعات يعني ان تزول اثيوبيا تماما من الخريطة السياسية وهذا ما يقابل المجلس العسكري دون حدوثه .

ان الوضع في ارتيريا لا ينطبق عليه هذا المقياس في اطار اي فهم او تحليل لمعضلات الوضع الاثيوبي ، ذلك ان ارتيريا كما قلنا هي اقليم عربي الحق او ضم حديثا لنظام هيلاسلاسي الا ان علينا ان نرصد المشكلة من وجهة نظر المجلس العسكري بقيادة حايلي مريام لفهم الموقف على حقيقته :

ان اعطاء حق تقرير المصير للشعب الارتيري في ظروف تنامي الدعوات الانفصالية لدى القوميات الاخرى سيعزز ويقوي التوجهات الانفصالية هذه ، مما سيطيح بوحدة اثيوبيا نفسها . وهذا الوضع من وجهة النظر الاثيوبية يدعو لرفض اعطاء شعب ارتيريا حقه في تقرير مصيره .

هذا الظرف المعقد يضع النظام الاثيوبي الجديد في مأزق فعلي ، كما يضع تقدميته في دائرة الاستفهام .

وفي المقابل فان الثورة الارتيرية حين تجد نفسها في مواجهة عسكرية حادة مع هذا النظام فان رجعيات المنطقة المعادية للنظام الاثيوبي وتحالفاته — تسارع باقامة تحالفات قوية معها ، فتكتشف اي الثورة الارتيرية بانها تقف في خندق الرجعية على صعيد المنطقة وفي موقع المعاداة للمعسكر الاشتراكي على الصعيد العالمي ، وهذا يضعها ايضا في مأزق خطير ، ويضع تقدميتها في دائرة الاستفهام .

ويكاد هذا المأزق يسحب نفسه على الصومال ايضا وان يكن بصورة اقل حدة **ولكن ليس باقل خطورة** .

لا يمكن فهم المأزق الاثيوبي — الارتيري باختزاله كصراع بين طرفين وانما علينا ان نفهمه عبر خريطة الصراع الاستراتيجي **على مستوى القارة الافريقية والمنطقة** .

ان فهم الدعم السوفياتي للنظام الاثيوبي باعتباره عملا موجها لتصفية وسحق الثورة الارتيرية هو فهم تبسيطي وتجزيئي لا يرى حقائق الصراع الكبرى على مستوى القارة والعالم .

وفي المقابل فان من لا يرى نتائج هذا الدعم على صعيد التهديد الفعلي للنضال العادل والمشروع الذي تخوضه الثورة الارتيرية هو بدوره يقفز فوق الحقائق الفعلية في ارض الواقع ومصير ثورة بأكملها .

اذ كان من الطبيعي والهام ان يدعم الاتحاد السوفياتي الانظمة الوطنية والتقدمية المعادية للامبريالية والرجعية والعنصرية في افريقيا (انغولا موزامبيق الصومال) فانه من الطبيعي ايضا ان يدعم ويعزز الاتجاهات التقدمية في تشكيلة المجلس العسكري الاثيوبي ويدفع بمجمل الوضع الاثيوبي على طريق معاداة الامبريالية والرجعية والعنصرية . .

الا ان هذا التحرك الاستراتيجي السوفياتي على صعيد القارة حين يتقاطع مع الوضع الاثيوبي الخاص ومأزقه بعلاقته مع ارتيريا يقع هو نفسه في المأزق .

والنتيجة . .

* نظام اثيوبيا التقدمي بفعل اوضاعه الخاصة يرفض منح حق تقرير المصير لشعب ارتيريا ويسعى لسحق ثورته .

* ثورة اريتريا التقدمية تجد نفسها في خندق التحالف مع القوى الرجعية في المنطقة ومعاداة المعسكر الاشتراكي .

* الاتحاد السوفياتي في اطار دعمه الاستراتيجي للانظمة التقدمية يهدد وجود ثورة ارتيريا التقدمية . .

الاطراف الثلاثة اذن في المأزق ، مما ادى ويؤدي الى هذا الخلط الخاطىء للاوراق ومما سيقود اذا استمر الى نتائج سلبية على صعيد انتصار الخط الاستراتيجي التقدمي في المنطقة .

فما هو الحل ؟

اولا : وقف تدهور وتصعيد الوضع العسكري ومحاولة تجميد الوضع كما كان في السابق .

ان طبيعة الوضع البشري والجغرافي في ارتيريا لن تمكن القوات الاثيوبية من تحقيق نصر عسكري حاسم على الثورة بل سيكون من نتيجة مثل هذه العمليات العسكرية الكبيرة دفع مجمل وضع الثورة الارتيرية الى خندق الرجعية في المنطقة **والاخلال بموازين القوى داخل صفوف الثورة نفسها لمصلحة الاتجاهات اليمينية .**

والنتيجة تغيير وجه الثورة دون التمكن من القضاء عليها فيصبح النظام الاثيوبي محاصرا من قوى رجعية من الغرب والشمال وكذلك من الصومال في الشرق والجنوب ، اذا لم تعالج مشكلة مقاطعة اوغادين معالجة ثورية صحيحة . ★

ثانيا : في معالجة المأزق الاثيوبي .

لقد كان القهر والتحكم والاستغلال الذي مورس من قبل الفئة المسيطرة في اثيوبيا على القوميات والقبائل الاخرى الدافع الاساسي لدعوات الانفصال التي اعلنتها هذه القوميات ولا شك ان السير على طريق المساواة والعدالة الاجتماعية سينهي الى حد بعيد عوامل التذمر بين هذه المجموعات ويدفعها للتمسك بالوحدة الاثيوبية التي يرأسها نظام تقدمي .

ثالثا : فصل المسألة الارتيرية عن المسألة القومية الاثيوبية .

ان ارتيريا تحتل وضعا خاصا متميزا في اطار العلاقة الالحاقية مع اثيوبيا **مما يستدعي بالقطع والضرورة منحها الحق في تقرير المصير .**

ان تثبيت هذا الحق واعلانه لا يتم الا عبر حوار مباشر بين

★ لا بد هنا من التذكير بالفارق النوعي بين الوضعين الصومالي والارتيري فبينما تخوض الثورة الارتيرية الكفاح المسلح منذ العام ١٩٦١ ضد نظام هيلاسيلاسي ، نجد زياد بري في الصومال لا يطلق رصاصة واحدة ضد ذلك النظام بينما يسارع لتحريك جيوشه ضد النظام التقدمي الاثيوبي ، واقامة شبكة تحالفات، مع رجعيات المنطقة للاطاحة به .

النظام الاثيوبي والثورة لارتيرية وتراعى فيه مسألتين : مراعاة مشكلة القوميات الاثيوبية وازالة اسباب تفاقمها ومراعاة مطلب الشعب الارتيري في تقرير مصيره ويمكن هنا لوسطاء بين الطرفين كالثورة الفلسطينية مثلا ان تلعب دورا هاما في هذا الاطار .

رابعا : ان تراعي الثورة الارتيرية **زمنيا** معضلة القوميات في ارتيريا وان تنظر للصراع الاثيوبي الارتيري في اطار خريطة الصراع الاستراتيجي في المنطقة لتحمي نفسها من شرك الوقوع في تحالفات خطيرة مع رجعيات المنطقة .

خامسا : ان الاتحاد السوفياتي يستطيع ان يلعب دورا هاما واساسيا في عدم تصعيد الوضع العسكري على الجبهة الارتيرية وفي دعم التحولات الاقتصادية والاجتماعية على الصعيد الاثيوبي الداخلي .

ولا بد ان يكون مفهوما في العلاقة السوفياتية الاثيوبية ان التناقض الاثيوبي هو مع الامبريالية والرجعية والعنصرية وليس مع الثورة الاريترية .

ان وطن لينين يجب ان يظل دائما مع حق تقرير المصير للشعوب .

وهذا المقياس نفسه مطروح بدوره على النظام الاثيوبي .

ان التمسك بهذا المقياس اي حق تقرير المصير يشكل الان مازقا تكتيكيا للنظام الاثيوبي لكنه وحده هو خلاصه الاستراتيجي .. وهو وحده الذي يدفع الثورة الارتيرية بعيدا عن خنادق الرجعية تمهيدا لصياغة تحالف تقدمي صحيح يشمل اثيوبيا وارتيريا والصومال (قبل ان ينخرط في التحالفات الرجعية في المنطقة) وعدن وفي اطار التحالف مع المعسكر الاشتراكي في مواجهة الامبريالية والعنصرية والرجعية .

السفير ١٩٧٧/٧/٢

حول الارهاب والارهاب الاوروبي

الخوف من التصنيفات الشائعة : مع الارهـــاب ، أو ضد الارهاب ، يبعد الكثيرين عن مناقشة هذه المسألة ، رغم انها قـــد باتت **اكثر** من ظاهرة ، من ظواهر هذا العصر .

ومرد الخرج في تناول موضوع الارهاب عائد في تقديـــري الى عاملين :

الاول : هو اختلاط اشكال الارهاب في الوعي العـــــام ، فعمليات خطف الطائرات تساوي عمليات العنف التي تقوم بهـــا المجموعات والفصائل المختلفة داخل المعسكر الرأسمالي : بـــادر ماينهوف المانيا ، الجيش الاحمر اليابان ، الفصائل اليسارية الحمراء في ايطاليا وفرنسا الخ .. هذا الاختلاط تصنعه وتقوده بذكـــاء أجهزة الاعلام البرجوازية وحلفاؤها وامتداداتها في انحاء العالم . وهذا الموقف يتقاطع مع التنديد المستمر الذي يعلنه اليسار الرسمي دولا واحزابا ، ضد العنف والارهاب .

الثاني : ان معظم المفكرين التقدميين خاضعون اما لنمـــط الاخلاقيات البرجوازية الدارجة التي تتأذى من اعمال العنـــف والقتل ، واما لانها لا تود ان تسجل موقفا يتعارض مع قناعاتهـــا العامة والسلفية في الغالب حول دور الارهاب الفردي ، الـــذي يناقض دور الحزب الجماهيري كما قال لينين في سياق محـــدد ، وهي ايضا ، لا تود الاعلان عن موقف يصب في طاحونة الاعلام البرجوازي .. مع النظام الرأسمالي الالماني مثلا ، وضد جماعة بادر ـــ ماينهوف .

ونتيجة هذين العاملين يتحرج الكتاب والمفكرون التقدميون من

نناول موضوع الارهاب ، مما يعني ترك المجال كاملا ومفتوحا لتشويهات الاعلام البرجوازي المستمرة . مما ينقل المسالة بمجموعها الى « مانشيتات » الاثارة الصحفية ، وصور عائلة « شلاير » المنكوبة ، ودون ان يقترب احد من **الدوافع** الموضوعية التي تقف خلف عمليات العنف والارهاب ، او تفسر مغزى **استمرار** هذه الجماعات « الارهابية » **وتناميها وانتشارها** في مختلف البلاد الرأسمالية .

وحين ننتقل الى الجانب الاخر من الصورة ، وحيث تمارس الاجهزة والسلطات الرأسمالية ارهابها اليومي والمبرمج ، والذي اخذ ابشع اشكاله بتصفية عدد من قادة جماعة بادر ـ ماينهوف في المعتقل الالماني ، فان ردود الفعل على هذه الجريمة ، لا يكاد يذكر باستثناء بعض التعبيرات العصبية العنيفة التي نفذتها مجموعات يسارية صغيرة في ايطاليا وتركيا وفرنسا بالاضافة الى المانيا ، والسبب مرة ثانية عدم الرغبة ، والتحرج في تناول موضوع الارهاب . اضف الى ذلك ان المفكرين والقوى السياسية التقدمية تعتقد بأن موقفها المعارض للراسمالية العالمية والامبريالية هو شهادة كافية ، لا تحتاج معها الى تنديد جديد بهذه الانظمة وبارهابها المتواصل ، خاصة والموضوع متعلق بهذا « الارهاب المخجل » .

ونتيجة هذا **الشلل** في الموقف مرة ثانية ، هو اعطاء هذه الانظمة مشروعية الارهاب والقتل ، ولتواصل احكام قبضتها على الاوضاع وبما يحفظ للطبقات انحاكمة الاستمرار في عمليات نهبها واستغلالها محليا وعالميا ، ولامد طويل قادم .

المصالح العليا للراسمالية تلتقي في كل مكان من العالم لمواجهة مجموعة « ارهابية » . « الدول » تلتقي وتنسق وتتبادل الخبرات والمعلومات والامكانيات ، و « الانتربول » يحمل الصور والقوائم ويوزعها على اعضائه في انحاء العالم .. الحدود والمطارات والموانىء شبكات هائلة لاصطياد اولئك الذين يعكرون مزاج هذا العصر وامنه و « رفاهيته » المستقرة ، والقيم « الديمقراطية » السائدة فيه .

ورغم ذلك كله ، وفي مواجهته لا يرتفع صوت ، بسبب هذا الشلل وهذا الحرج الذي يسببه الارهاب .

□

نحن بداية سنخرج من اسار الخلط الشائع لاشكال الارهاب ، وننرر رفضنا لعمليات خطف الطائرات التي تهدد بقتل الركاب وتصفيتهم . على الرغم من ان اية جماعة لم تقم حتى الان بتنفيذ تهديدها بقتل الرهائن . ولهذا دلالة كبيرة ، لا تحب اجهزة الاعلام البرجوازي الاقتراب منها .

بعد ذلك تبقى عمليات العنف التي تنفذها المجموعات اليسارية داخل الدول الراسمالية ، وهذا هو موضوع بحثنا هنا .

ان تحديد موقف مبدئي من عمليات العنف داخل المعسكر الاوروبي والراسمالي العالمي ، لا بد ان يرتبط بفهم مسبق لبنية النظام الراسمالي بصورته الراهنة ، لا ان نلبسه احكاما مسبقة لظروف اوروبا والنظام الراسمالي العالمي في اواخر القرن الماضي وبدايات هذا القرن .

فحين تنبأ « البيان » ودعا البروليتاريا الاوروبية « لدك كل النظام الاجتماعي القائم بالعنف » . وهتف : « فلترتعش الطبقات الحاكمة امام الثورة الشيوعية . فليس للبروليتاريا ما تفقده سوى قيودها واغلالها » (١) . حين فعل « البيان » ذلك كانت صورة الوضع الاجتماعي والاقتصادي الاوروبي جد مختلفة ، كما كانت نذر الثورة الطبقية الشاملة تتجلى بصورة مباشرة عبر العديد من الظواهر المتفجرة : الازمات التجارية الدورية ، وحيث « ينقض على المجتمع وباء فيض الانتاج ... فيرتمي المجتمع فجاة في حالة همجية ، حتى ليخيل للمرء ان هناك مجاعة او حربا طاحنة

---

(١) ماركس ـ انجلز ـ البيان الشيوعي ـ مختارات ـ المجلد الاول ص ٩٦ دار التقدم ـ موسكو .

تقطع على المجتمع وسائل معيشته ووسائل رزقه ، وكأنما الصناعة والتجارة اتى عليهما الخراب والدمار » (٢) .

فكيف تتغلب البرجوازية على ذلك كله ؟.

يجيب البيان : « تتغلب بالتدمير القسري لمقدار من القوى المنتجة من جهة ، وبالاستيلاء على اسواق جديدة وزيادة استثمار الاسواق القديمة من جهة اخرى . بماذا اذن ؟ بتحضير ازمات اعم واهول » (٣) .

والنتيجة ان العامل « لا ينفك يهوي في انحطاط ، الى ان ينزل الى مستوى هو ادنى واحط من شروط حياة طبقته . ويسقط الشغيل في مهاوي الفاقة ، ويزداد الفقر والاملاق بسرعة تفوق سرعة ازدياد السكان ونمو الثروة » (٤) .

وعلى قاعدة توالي الازمات ، والانحدار المريع في ظروف البروليتاريا يتضخم على الدوام « جيش العمال الاحتياطي » وتتعاظم نذر الثورة مع الملايين البروليتارية الجائعة لتعصف بأسس المجتمع القديم ، وتدك اركانه بالعنف الثوري . على ارضية مثل هذا التشكل يكون الموقف الماركسي الصحيح ، باندفاع الشيوعيين في صلب الثورة البروليتارية « لتنظيم البروليتاريين وهدم سيادة البرجوازية ، واستيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية » (٥) .

في ظل مثل هذه الاوضاع ليس هناك مجال او ضرورة ، لاعمال العنف التي تنفذها مجموعات او عناصر خارج اطار الاندفاع الثوري للجماهير العمالية ، وخارج اطار برنامجها . ويقينا ان اعمال العنف الفردي في مثل تلك الاوضاع تلحق ضررا بالغا بالحركة الثورية العامة ، وتعطي اجهزة القمع البرجوازية ذرائع

---

(٢) المصدر السابق ص ٥٧ و٥٨ .
(٣) المصدر السابق ص ٥٨ .
(٤) المصدر السابق ص ٦٥ .
(٥) المصدر السابق ص ٦٧ و٦٨ .

جديدة لتصعيد اشكال بطشها وتنكينها بمجموع القوى الثورية . على الرغم من ان اجهزة القمع البرجوازية لن تترك سلاحا الا وستستخدمه في **اللحظات الحاسمة** دفاعا عن مصالحها وامتيازاتها . فتكون الخطيئة اذن ان يعجل العنف الفردي بتصعيد عمليات القمع البرجوازية قبل ان تستكمل البروليتاريا الثورية المنظمة استعداداتها للاطاحة بالسلطة الطبقية .

فهل احكامنا على العنف الفردي في مثل تلك الاوضاع الثورية هي نفس احكامنا على العنف الذي يمارس في الدول الرأسمالية هذه الايام ؟

ان شرط الاجابة بنعم تفترض اساسا ان تكون أوضاع الرأسمالية الاوروبية في اواخر القرن الماضي ، وبداية القرن الحالي ، اوضاعا متشابهة . فهل هي كذلك ، حتى بخطوطها العامة والرئيسية ؟ قبل الاجابة على هذا السؤال لنستعرض موقف لينين من الارهاب الفردي في اطار سياقه التاريخي المحدد .

لم تكن ولادة الحركة الارهابية في روسيا بقرار ارادي . يؤمن باستخدام الارهاب كوسيلة للتغيير وللاطاحة بالقيصرية . وانما نشأ الارهاب هناك كردة فعل عنيفة ضد مصادرة كافة الحريات الديمقراطية ، حتى بمفهومها البرجوازي الشكلي ، وضد اعمال البطش والتنكيل التي كانت تمارسها « الاوكرانا » القيصرية ضد اي شكل من اشكال المعارضة ، او حتى تلك التي تنادي بالاصلاح والتغيير . كانت البداية عام ١٨٧٠ حين تشكلت جمعية ادبية فلسفية في روسيا متأثرة بأفكار باكونين وهرزن وغيرهما من المفكرين الروس والغربيين ، واخذت تدعو لاجراء اصلاحات سياسية واجتماعية داخل المجتمع الروسي ، الا ان هذه الدعوة ووجهت بعمليات قمع شرسة وعنيفة من « الاوكرانا » الروسية . مما اضطر اعضاءها الى النزول تحت الارض ، وتنظيم قواهم من جديد ، كما استمروا باتصالاتهم بجماهير الطلاب والمثقفين والعمال والفلاحين ، لنشر افكارهم ومبادئهم . واستمرت مطاردة اعضاء الجمعية من قبل « الاوكرانا » في كل مكان ، حيث كان المعتقلون يتعرضون لابشع اشكال التعذيب واكثرها وحشية ،

ومات سبعون واحدا منهم تحت التعذيب وفي ظل الظروف السيئة في السجون القيصرية وفي سيبيريا .

وفقط بعد ثماني سنوات من عمليات المطاردة والقتل والتعذيب قررت الجمعية انشاء فرع للعمل الارهابي للرد على عمليات القمع الوحشية التي تنفذها اجهزة السلطة القيصرية .

كما قامت الجمعية بطبع آلاف المنشورات والبيانات بالاضافة الى جريدتهم « الارض والحرية » وتوزيعها في كل مكان .

وبدات بسلسلة من العمليات الارهابية والاغتيالات حتى توصلوا الى اغتيال القيصر نفسه في ١٣ مارس ١٨٨١ م ، وكان عدد الذين حولوا الى سيبيريا قبل هذا التاريخ وخلال سنة واحدة فقط اثني عشر الف معتقل من مختلف القوى السياسية .

وكانت آخر عملياتهم الكبيرة اطلاق النار على رئيس الوزراء عام ١٩١١ ، الا ان قواهم كانت قد ضعفت نتيجة الضربات المتلاحقة . جاء ★ تشكيل منظمة « زيمليا اي فوليا » اى « الارض والحرية » في عام ١٨٧٦ ، وكانت هذه المنظمة ترى بالفلاحين القوة الثورية الاساسية في روسيا ، وحاولوا استنهاض الفلاحين للانتفاض على القيصرية وقاموا بسلسلة من الانتفاضات والعمليات الثورية في عدد من المحافظات الروسية .

الا ان عمليات القمع العنيفة التي جوبهت بها المنظمة واخفاقها في العمل الثوري بين الفلاحين دفعها الى تشكيل فرقة من الارهابيين بين صفوفها كما اسلفنا ، وقد ادى هذا الوضع الى حدوث انقسام

★ المعلومات الواردة عن حركة الارهاب في روسيا مأخوذة عن مقال سابق للكاتب منشور في جريدة فتح الاسبوعية ٢٣ ايلول ٧١ العدد ٣٠٤ .

ومأخوذة كذلك عن هامش رقم (٧٩) ص ٦٣٣ وهامش رقم (١٥٣) ص ٦٥٥ من المختارات ـ لينين ـ المجلد الاول ـ دارالتقدم موسكو ١٩٧١ .

داخل المنظمة : « نارودنايا فوليا » اي « ارادة الشعب » التي سلكت طريق الارهاب و « تشيرني بيريدين » اي « التقسيم الاسود » التي ظلت متمسكة بمواقف « الارض والحرية » ، ومن بين صفوف هؤلاء خرج مؤسسة اول منظمة ماركسية روسية فرقة « تحرير العمل » عام ١٨٨٣ ومن هؤلاء : بليخانوف واكسيلرود وزاسوليتش .

التقاء لينين اللاحق بفرقة « تحرير العمل » يعكس من احد جوانبه الخلاف النظري والسياسي مع « نارودنايا فوليا » ورغم ذلك نجد لينين وهو ينتقد جوهر النظرية النارودنية ويصفها بعدم الاستناد الى نظرية ثورية اصلا . وانها « لم تعرف او لم تستطع ربط حركتها ربطا وثيقا بالنضال الطبقي في داخل المجتمع الرأسمالي » . (٦) رغم ذلك نجده يرد على من يتهم « الايسكرا » بانها جريدة جماعة « النارودنايا فوليا » فيقول : « وغني عن القول اننا لم نر في هذا الاتهام غير نوع من المديح ، اذ انه هل وجد اشتراكي ديمقراطي جدير بهذا الاسم لم يتهمه الاقتصاديون بالسير على خطى « النارودنايا فوليا » . هذه المنظمة يصفها لينين بتلك « المنظمة الرائعة التي كانت لدى الثوريين في العقد الثامن والتي ينبغي لها ان تكون نموذجا نحتذيه جميعا » . ويضيف : « ان كل اتجاه ثوري شرط ان يقصد فعلا القيام بنضال جدي ، لا يمكنه ان يستغني عن مثل هذه المنظمة . فجماعة « نارودنايا فوليا » لم تخطىء اذ دابت على ان تجذب الى منظمتها جميع الساخطين وعلى ان توجه هذه المنظمة الى النضال الحازم ضد الحكم المطلق ، بل انما كان ذلك ، بالعكس مأثرتها التاريخية العظمى » (٧) .

في مجال آخر يعترف لينين « **في بداية نشاطنا ، اضطررنا في اغلب الاحيان الى الدفاع عن حقنا في الوجود في غمرة النضال ضد انصار « نارودنايا فوليا » ، الذين كانوا يعنون « بالسياسة » نشاطا منفصلا عن الحركة العمالية ، ويحصرون السياسة في**

---

(٦) لينين ـ ما العمل ـ المختارات ـ المجلد الاول ص ٣٠٠ .

(٧) المصدر السابق ص ٣٠٠ .

الأمر فقط » (٨) (التشديد من عندنا) .

يلاحظ مما تقدم ان انتقادات لينين لارهاب النارودنيين منصب أساسا على برنامجهم السياسي ، فيما « اشاد باحترام كبير بما اظهره اعضاء « نارودنايا فوليا » من البسالة في النضال ضد القيصرية ، كما اشاد بما اظهروه من براعة في فن النشاط السري والتنظيم المبني على المركزية الصارمة » (٩) .

هذه الاشادة تتم في غمرة صراع لينين السياسية مع القوى والتنظيمات الاخرى وفي السنوات التي سبقت انتفاضة ١٩٠٥ ، وحيث روسيا تمر بمخاضات الثورة الاتية ، ولينين يقاتل بكل ما يملك من قوة من اجل انتصار برنامج الطبقة العاملة ، على برامج كافة القوى السياسية في الساحة ، وفي مقدمتهم منظمة « نارودنايا فوليا » « الارهابية » !!

□

والان ما هو المشهد الذي يرتسم امامنا في اوروبا اليوم مقابل (اوروبا البيان الشيوعي) التي تعصف فيها الازمات الاقتصادية ونذر الثورة البروليتارية الكاسحة ؟

اوروبا اليوم ، وفي ظل وحدة وتكافل النظام الراسمالي العالمي ، بقيادة الامبريالية الاميركية ، تجاوزت الى حد بعيد الازمات الدورية الطاحنة .

الولايات المتحدة تعرف كيف ولماذا تمد يد العون للجنيه الاسترليني المتدهور ، ولماذا تسهم في اعادة بناء المانيا اقتصاديا وعلى النمط الراسمالي ، وكذلك اليابان .

ان العملية هنا تتجاوز مسالة الاستثمارات الاميركية وما

---

(٨) لينين ـ المهمات الملحة لحركتنا ـ المختارات ـ المجلد الاول ص ١٤٧ .
(٩) المصدر السابق هامش ٧٩ ص ٦٣٤ .

تحققه من ارباح ، لانها تتصل بالمصالح الاستراتيجية العليا لمجموع النظام الرأسمالي العالمي ، وضرورة الحفاظ عليه في وجه النموذج الاشتراكي ، وتهديدات الثورة الطبقية الكامنة . الملايين من « جيش العمال الاحتياطي » والبروليتارية الاوروبية الجائعة كفت منذ زمن ان تكون ملايين **اوروبية** تدخل في صلب علاقات الانتاج داخل المجتمعات الرأسمالية . لقد توزع فائض النهب الامبريالي لتحسين شروط الحياة والعمل بالنسبة للعامل **الاوروبي** . وامتصاص عوامل التفجير الثوري الملحقة باحتياجات العامل للرغيف والدواء ، مطالب العامل الاوروبي اليوم تتصل بامتلاك السيارة والتلفزيون والمسكن اللائق ، وهذه تشكل دوافع لنضالات اصلاحية لكنها لن تفجر حربا طبقية دامية ضد المستغلين .

« جيش العمال الاحتياطي » اليوم داخل الدول الرأسمالية هو تلك الملايين المسحوقة من افريقيا السوداء والمغرب العربي والهند والباكستان وتركيا واميركا اللاتينية .. هذه الملايين التي تسعى لتحسين شروط حياتها المادية بالتدافع باتجاه العواصم الاوروبية والمدن الصناعية .

ايد عاملة رخيصة من مختلف انحاء العالم الثالث توفر للرأسمالي الصناعي « فائض قيمه » مرتفعا ، مقابل منح العامل الاجنبي دخلا مرتفعا نسبيا بالقياس الى شروط حياته السابقة . وملايين العمال الاجانب في اوروبا والذين تحسنت شروط حياتهم نسبيا عنها في مواطنهم السابقة الا انهم يعيشون في ظروف حياتية قاسية لا توفر لهم الحد الادنى من شروط الحياة الانسانية الكريمة .

هذه الملايين هي المهيأة على ضوء اوضاعها ان تكون مادة الثورة ، الا ان وجودها كجسم اجنبي غريب يخضع لشروط « الاقامة » و « الترحيل » في ظل القوانين السائدة في معاملة الغرباء يضعف كثيرا دور هذه الملايين المسحوقة ، ويحول بينها وبين الانخراط في العمل السياسي والنضالي الذي تخوضه الاحزاب والقوى السياسية الاوروبية .

النظام الرأسمالي العالمي لا يزال اليوم راسخا وقويا ، والى امد طويل قادم وفي ظل استمرار الشروط القائمة ، سيظل

راسخا وقويا .. على الاقل بعيدا عن الحروب الطبقية الدامية بين الملايين البروليتارية الجائعة وبين حفنة من المستغلين الجشعين واجهزة قمعهم .

« الاسترخاء » الديمقراطي في الدول الرأسمالية تعبير موضوعي عن قوة هذه الانظمة .. فقتائل التفجير الثوري منزوعة بفعل الاسترخاء الاقتصادي (بغض النظر عن اسبابه) .

دعهم يتكلمون ودعنا **نعمل** ، ولا بأس من بعض التنازلات الاصلاحية بين الحين والاخر حفاظا على **الامن الاجتماعي** . ولكن حذار من العنف . فان اذرع انظمة البرجوازية طويلة وقادرة وقوية وتستطيع الوصول حتى الى معتقلات « الارهابيين » وتصفيتهم !!

لتكن اللعبة هي الديمقراطية اذن . وهذه برلمانات الشعب مفتوحة للجميع ، فلتحملكم اصوات الشعب الى برلمانات الشعب . ومنها لاستلام السلطة السياسية بدون عنف او ارهاب او ثورة ؟! البرجوازية تضع شروطا « عادلة » للعبة ، وتسمح للجميع بممارستها « بحرية » ، والسباق مفتوح للجميع بحقوق متساوية .

لكن البرجوازية الذكية تخفي وراء ظهرها ورقتين ، تستطيع ان تحسم بهما الامور عند الضرورة :

الاولى : ان تلغي بعض شروط اللعبة الديمقراطية او ان تلغي الديمقراطية بمجموعها ، سيقولون في اللحظة الحاسمة والمناسبة : يكفي هذا لقد لهونا بما فيه الكفاية وعلى قوات الجيش والامن واجهزة القمع ان تخلي الملعب من المشاغبين الذين يتآمرون على « مصلحة الوطن العليا » .

واحة الديمقراطية الاميركية قدمت نموذجها « المكارثي » منذ وقت مبكر .

ولا زالت الديمقراطية هناك تسمح لك بأن تعارض او حتى تنتقد رئيس الولايات المتحدة الاميركية !! ولكن ان تكون شيوعيا او تدعو للشيوعية فهذا تهديد مباشر وخطير لمصالح الوطن العليا ،

والبرجوازية هي الحارس الامين على هذه المصالح وبما فيها مصالح الزنوج العليا .

الثانية : ان البرجوازية ليست وحدها في « معركة » الديمقراطية . فالنظام الراسمالي العالمي كله متضامن متكافل لحماية الانظمة الراسمالية . مهما كان من خلافات بينها ، الا انها في مواجهة اي تهديد فعلي . فانها تعرف جيدا كيف تحمي مصالحها المشتركة وتحافظ على سلامة النظام الراسمالي العالمي ، لتحول دون الانفراد باحد اطرافه والاطاحة به .

الا ان النقطة الحاسمة في اللعبة الديمقراطية لا تتصل بتلك الاوراق التي تخفيها البرجوازية وراء ظهرها . لكنها تتصل اساسا بالقاعدة التي تجري عليها اللعبة نفسها . فاذا كان الناخب الاوروبي يعطي صوته لانظمة برجوازية قامت بالفعل بتحسين شروط حياته المعيشية . فان مرد هذا التحسين اساسا هو عمليات النهب والاستغلال التي تقوم بها المؤسسات والاحتكارات الراسمالية لشعوب العالم الثالث . ولملايين العمال البائسين المسنوردين للآلة الصناعية الاوروبية .

هذا الوضع ينقل المسألة من جانبها الاقتصادي الاوروبي المباشر الى المجال السياسي والى الدور الذي يلعبه النظام في اطار المعسكر الراسمالي بقيادة الامبريالية الاميركية او بالتبعية المباشرة اقتصاديا وسياسيا للولايات المتحدة . وسنكتشف بعد قليل ان ظاهرات العنف الاوروبي تتصل مباشرة بهذا الوضع . وهذه التبعية .

كيف تتم اذن مجابهة هذه الانظمة الراسمالية ؟

بالطبع لن نجيب نحن على هذا السؤال . ولكننا سنرى الاجابة العملية التي قدمتها « المعارضة » الاوروبية ، ممثلة بالاشتراكيين وخصوصا الشيوعيين .

على ارضية الاسترخاء الديمقراطي والاقتصادي ، كيفت الاحزاب الشيوعية الاوروبية برامجها السياسية بمقتضى الحال .

وبما هو مفيد في معركة التنافس على اصوات الناخبين . وفي هذا السياق اجرت سلسلة من « التحالفات التاريخية » مع الاشتراكيات الاوروبية ، ولم تلبث ان بدأت عدا عكسيا « مراجعا » للمبادىء والاسس الماركسية . كان اخرها على الصعيد النظري الغاء مقولة دكتاتورية البروليتاريا من قبل اكبر الاحزاب الشيوعية الاوروبية . واشاعة مقولة الشيوعية الاوروبية على الصعيد السياسي ، مما دفع الاتحاد السوفياتي والعديد من الاحزاب الشيوعية في العالم الى توجيه انتقادات نظرية وسياسية لمواقف هذه الاحزاب وبرامجها .

التراجعات السياسية والنظرية التي اقدمت عليها الاحزاب الشيوعية الاوروبية منحتها مزيدا من القوة على المستوى الانتخابي وعززت مواقعها في اوساط طبقية متعددة ، الا ان الثمن الذي دفعته مقابل ذلك كان غاليا : فقد بدأت تفقد لونها الشيوعي وتمايزها الطبقي باعتبارها حزب البروليتاريا الثوري . ان الاسماء لا تخيف البرجوازية انما البرامج السياسية هي التي تعنيها وتتعامل معها . فهيمنة الاحزاب **الاشتراكية** هي التي تجلس الان في قمة السلطة في عدد كبير من الدول الراسمالية الاوروبية .

وفي اطار مثل هذه المعادلة . الا يحق لنا ان نخشى اذا استمرت هذه التراجعات السياسية والنظرية ان يصبح الشيوعيون مقبولين جدا حتى من قبل البرجوازية ، ما دامت برامج هذه الاحزاب لا تهدد مصالحهم وامتيازاتهم بل تتكيف مع واقع التركيب الاقتصادي في الانظمة الراسمالية .

وهل يجوز مثلا حتى من باب « التاكتيك » ان يتضمن برنامج الحزب الشيوعي الايطالي نصا على ان تبقى ايطاليا في حلف الاطلسي . بقيادة الامبريالية الاميركية ؟

نحن لا نريد ان نبالغ في حجم التراجعات النظرية والسياسية التي اقدمت عليها الشيوعية الاوروبية حتى الان . فهي تقف في الخندق التقدمي المعادي للامبريالية وللراسمالية العالمي ، وهي تدعم بقوة حركات التحرر والنضال الوطني على الصعيد العالمي ، وخاصة حركة الكفاح الفلسطيني المسلح . نحن اذن لسنا في مجال

توجيه انتقادات مجانية . لكننا نريد عبر تحديدنا للارضية التي تقف عليها « المعارضة » الشيوعية الاوروبية ان نكشف دوافع انتقال قوى يسارية اوروبية اخرى الى ارضية مغايرة ، ترفض لعبة الديمقراطية البرجوازية . وتنتهج العنف وسيلة اساسية لمجابهة انظمة الرأسمالية المتحالفة تحت قيادة الولايات المتحدة .

□

يحلو للصحافة البرجوازية عادة ، وهي بصدد تفسير ظاهرة ما . ان تعقد سلسلة من المقارنات ، بين عدة ظواهر ، لتكتشف دافعا مشتركا بينها ، وهي تصيغ بلباقة وذكاء منطقا شكليا ، يوصلها الى هدفها المحدد اساسا ، وموقفها المسبق من هذه الظاهرة .

ظواهر العنف التي نحن بصددها الان كما ترى الصحافة البرجوازية ولدت في المانيا وايطاليا واليابان ، وهذه الدول ذات الماضي النازي والفاشي خرجت مهزومة من الحرب العالمية الثانية .

هل تريد هذه الصحف القول بان العنف الثوري في هذه الدول قد ولد في رحم العنف الفاشي وكرد فعل للهزيمة ضد الامبريالية الاميركية ؟ لا . . انها اكثر ذكاء من ان تقول ذلك ، لكنها تصوغ المقدمات (المنطقية) التي توصل تشويهاتها للرأي العام ، وهي تبدو في غاية الموضوعية والالتزام بالتحليل والمعلومات .

هكذا ينتقل ذهن الملتقي للاعلام البرجوازي من تحديد العوامل الموضوعية المباشرة للعنف الموجه ضد الامبريالية الاميركية الى ايحاءات تتصل بالعنف الفاشي وبالثأر والانتقام من هزيمة بعيدة . ولكن ماذا تقول الحقائق ؟ وما هي الدوافع الفعلية لحركة العنف التي يشهدها العالم الصناعي ؟

ولدت حركة بادر ـــ ماينهوف في غمار المظاهرات والاضرابات التي شهدتها الجامعات الالمانية في عامي ١٩٦٧ و١٩٦٨ ، وكانت شرارة الانطلاق شعار : « لا للاساتذة النازيين » ، والشعار موجه كما هو واضح ضد الاساتذة المعروفين بماضيهم النازي ، والذين عادوا بعد الحرب يطبقون اساليبهم القديمة باستخدام السلطة

الجامعية . النظام الالماني واجه التحرك الطلابي بكثير من العنف مستخدما كل قواه السياسية والجامعية والبوليسية . مما ناقم الاضرابات والمظاهرات . واخذ الاتهام بالنازية يوجه لسلطة القمع والارهاب الالمانية نفسها . خاصة بعد « التحالف المقدس » بين الحزب الاشتراكي الديمقراطي والحزب الديمقراطي المسيحي ، وهما اكبر قوتين سياسيتين في المانيا . فغاب اي شكل من اشكال المعارضة السياسية الديمقراطية لاجراءات الحكومة الالمانية . مما دفع الحركة الطلابية الجامعية الى جانب عدد من القوى السياسية الاخرى لتقوم بدور المعارضة والنضال السياسي .

وهكذا شهد هذان العامان سلسلة مظاهرات واضرابات ضد زيارة نائب الرئيس الاميركي السابق همفري . وضد زيارة شاه ايران والامبراطورة . وعديد من مظاهرات التأييد للثورة الفيتنامية . الى جانب المطالب الجامعية المختلفة .

البوليس الالماني يغتال الطالب « بينو اوهنسبورغ » . وهذا يعني تصعيد المجابهة الى اشكال عنف اعلى .

« غودرون اينسلين » التي تم قتلها يوم ١٨ تشرين الاول من هذا العام في زنزانتها المنفردة والمعزولة في سجن « شتامهايم » صرخت يوم اغتيال « بينو » عام ١٩٦٧ : « انهم يريدون قتلنا جميعا . . لا سبيل الى الحوار معهم . . انهم من رعيل « اوسفيتز » . . علينا ان نتهيأ لمقاومتهم . علينا ان نجابه عنفهم بالعنف » تلك لم تكن صرخة حرب فقط . كانت تصويرا صادقا لطبيعة النظام الالماني « لا سبيل الى الحوار معهم . لانهم يريدون قتلنا جميعا » . . لا شك ان « غودرون اينسلين » قد تذكرت كلماتها هذه حين امتدت ايدي القتلة الى زنزانتها . لتشنقها حتى الموت .

عمليات العنف التي نفذتها جماعة بادر — ماينهوف والتي ستعرف في عام ١٩٧٠ باسم الجبهة الالمانية للجيش الاحمر . تكشف طبيعة الدوافع الموضوعية التي تحرك هذه الجماعة كما تحدد اهدافها : ٣ نيسان ١٩٦٨ ثم تنفيذ اول عملية باحراق مجمعين تجاريين من اكبر مجمعات مدينة فرانكفورت .

هذه العمليه دفعت البعض لربط جماعة بادر ـ ماينهوف بالفيلسوف هربرت ماركوز ومدرسته الفلسفية في فرانكفورت التي تنادي بوجود اوهما بمصدره « دولة الاستهلاك للاستهلاك » التي تتحكم بانسان المجتمعات الصناعية المتقدمة . وان الطلبة كما يعلن ماركوز « هم المرشحون لكونهم يؤلفون ضمير المجتمع الواعـــي للاخطار الاستهلاكية لقيادة الناس نحو الانتفاضة الثورية » .

ولكن ماذا يقول بادر نفسه :

« لقد حاولت الجماعة ان تخلق علاقات طيبة مع الطبقـــــة العمالية ولكنها فشلت . لان العمال غير مهيئين للقبول بهذا النوع من العمل الثوري الذي يريد ان يعيد **تنظيم الجماهيـــــر** وان دور الجماعة **دور عابر** بانتظار تحرر البروليتاريا الالمانية من قمع الفاشية لها » هذا ما نقله سارتر عن لسان بادر بعد مقابلة معه في سجنـــه استمرت حوالي ساعتين .

ويضيف سارتر : « ان بادر وجماعته عملوا على تأسيس تعاون فعال مع العالم الثالث . العرب والاميركيين الجنوبيين » .

هذه السطور القليلة تلخص جوهر الموقف النظري والسياسي للجبهة الالمانية للجيش الاحمر :

العالم الصناعي راسخ وقوي ومستقر وخاصة في المانيـــا واليابان . ولا يعاني من أية تهديدات ثورية من قبـــل البروليتارية (المرغبة) بفائض استغلال شعوب العالم الثالث .

المجابهة اذن لا بد ان تنطلق من هذا الفهم . خاصة بعد ان ثبت بالتجربة فشل تحريك الطبقة العاملة الالمانية .

الاسلوب : **توجيه ضربة مزدوجة للنظام الرأسمالي العالمـــي لتحقيق هدف تكتيكي هام وصولا للهدف الاستراتيجي .**

الضربة المزدوجة هي العمليات الثورية التي تقوم بها حركات التحرير وقوى الثورة في العالم الثالث « ضد الامبريالية والرأسمالية والصهيونية » كما تحددها بيانات الجبهة الالمانية للجيش الاحمر .

الضربة الثانية يوجهها ثوار المدن في العالم الصناعي لهز الانظمة الرأسمالية وارباكها ، وايقاظ الوعي الثوري لدى البروليتاريا الصناعية .

ان تصعيد هذا النضال المشترك وتحقيق انجازات فعلية عن طريقه خاصة بالنسبة للعالم الثالث ، سيؤدي الى تقليص عمليات النهب التي يغدق بواسطتها العالم الرأسمالي على عماله ، اي نزع « **الرافع الايرلندي** » الذي سبق لماركس التنبيه اليه .

هذه الضربة المزدوجة ، تحقق **الدور العابر** الذي تحدث عنه « بادر » اي تحرر البروليتارية الاوروبية الصناعية من قبضة الفاشية والنظام الرأسمالي العالمي .

وذلك وصولا الى الهدف الاستراتيجي بأن تتولى البروليتاريا عملية الاطاحة بالسلطة الطبقية واستلام السلطة السياسية . (ماذا لو تصورنا للحظات ان الاحزاب الشيوعية والقوى الثورية في جميع انحاء العالم ومدعومة بالمعسكر الاشتراكي قد نفذت بتنسيق مشترك مثل هذا البرنامج ؟! الا يقرب ذلك نهاية الامبريالية والرأسمالية والصهيونية في وقت مبكر ؟) وفي مقابل هذا التصور حين نتذكر ان « تاكتيك » احد الاحزاب الشيوعية الاوروبية الكبرى يدعو الى بقاء بلده في حلف الاطلسي . فألا يبدو العنف الثوري في مدن الصناعة الرأسمالية هو الوسيلة الفعلية المتاحة لهز اركان النظام الرأسمالي ؟ ومحاربة الامبريالية ؟ في مطلع ايار ١٩٧٢ اقدم الكاتب الياباني « يوكيو ميشيما » على الانتحار مع اثنين من اتباعه على طريقة « سابوكو » بعرض دموي رهيب .

« ميشيما » ترك رسالة يقول فيها بأنه انتحر ورفاقه اعتراضا على الوجود الاميركي الاقتصادي والعسكري في اليابان .

« الجيش الاحمر الياباني » فضل الانتحار على طريقته ، وهو يجابه الامبريالية والرأسمالية والصهيونية .

بعد ايلول ١٩٧٠ الجبهة الالمانية للجيش الاحمر تنفذ احدى عشر عملية كبيرة فتصيب القواعد الاميركية في مدينتي فرانكفورت

وهيدلبرغ ودار سبرنغز للنشر والدوائر الرسمية في نوسداو ولاس — غونس واكثر من ستة مصارف . كما نفذت الجماعة سلسلة من عمليات الاغتيال ، واخذ عدد من الرهائن من بين كبار الشخصيات السياسية والمالية وذلك بهدف الافراج عن رفاقهم المعتقلين . هذا الالحاح المتواصل للافراج عن المعتقلين ليس من باب الاخلاص والوفاء للرفاق وانما بالاساس لانقاذ المعتقلين من جنون محقق .

البرجوازية الالمانية (الديمقراطية) افردت لكل عضو من الجبهة الالمانية للجيش الاحمر زنزانة خاصة في سجن شتوتغرت — شتامهايم يصفها سارتر كما يلي :

« زنزانة منفردة . جدرانها وسقفها مدهونة كلها باللون الابيض . ولا يسمع فيها اي صوت باستثناء وقع اقدام الحراس الذين يأتون بالطعام ثلاث مرات كل يوم . وتبقى الزنزانة مضاءة طوال النهار » و « الليل كذلك مما يحولها الى اداة تعذيب قمعية تبدد عقل الموقوفين وتوازنهم النفساني » كما يقول كروامان محامي المعتقلين في مذكرته الاحتجاجية .

ومن اجل الخلاص من هذه الاوضاع لجأ المعتقلون مرارا لاستخدام السلاح الوحيد الممكن وهو الاضراب عن الطعام . وكان آخرها الامتناع عن الطعام والشراب طيلة ثلاثة اسابيع ابتداء من اواخر حزيران الماضي .

ورغم كل هذه الترتيبات الديمقراطية المعدة للمعتقلين ، فان الهر « هلموت شميت » يجر على الكذب الوقح بأن المعتقلين كانوا يمتلكون في زنزاناتهم هذه ، المسدسات واجهزة الراديو ووسائل اتصال سلكية او لاسلكية اتفق المعتقلون خلالها على عملية الانتحار الجماعي !!

ولكن هل هذه هي الخاتمة التي تنتظر بعض الرتوش بالقاء القبض على ١٦ عضوا من المنظمة يجري البحث عنهم ، ثم يقفل الستار عن العنف الثوري في مدن الصناعة الالمانية على الاقل ؟

التقديرات الاخيرة لعدد اعضاء الجبهة الالمانية للجيش الاحمر تشير بان عددهم يتراوح بين ١٢٠٠ — ٢٠٠٠ عضو (١٠) . وفي استفتاءات للراي العام الالماني اظهرت ان ٤٢٪ مع اطلاق السجناء مقابل الافراج عن الرهائن في مقديشو . مقابل ٤٢٪ برفض اطلاق السجناء (١١) .

الهر هلموت شميت يعلن امام البرلمان الالماني ان « الارهاب لم يمت لا في المانيا ولا في بقية انحاء العالم » . ويدعو في مؤتمر صحفي الى « وحدة عالمية تشارك فيها جميع الدول والانظمة الديمقراطية » وذلك « لمواجهة وحدة المنظمات الارهابية التي تعمل من واقع ايديولوجي واحد ، وبنفس الاساليب والشروط » واذا لم يحدث ذلك فسيبقى « هذه الظاهرة الشاذة « **ميكروب » العصر** الذي يهدد المجتمع الانساني بالقتل والتدمير » (١٢) .

العنف الثوري ما زال مطروحا على جدول اعمال المستقبل داخل العالم الصناعي . وفي كل مكان . وسيتخذ اشكالا اشد عنفا . ان قتل المعتقلين قد انهى حتى مفاوضات المتحاربين .

---

(١٠) النهار العربي والدولي العدد ٢٦ السبت ٢٩ سبتمبر/ايلول ١٩٧٧ بحسب المعلومات الواردة في هذا المقال مستقاة من هذا العدد .

(١١) الحوادث اللبنانية العدد ١٠٩٤ الجمعة ٢٨ سبتمبر/ايلول ١٩٧٧ .

(١٢) الجديد اللبنانية العدد ٤٩٨ الاربعاء ٢٠ سبتمبر/ايلول ١٩٧٧ .

فهرس

تقديم ٣

حركـــة الثورة العربية

بين واقع التجزئة . . ووحدة المهمات والأداة ٧

رد على القائلين بوجود « أمم وقوميات عربية » ١٩

« دراسات نقدية لفكر المقاومة . . » للدكتور صادق العظيم

منهج خاطىء ونتائـــج مضللة ٥٣

رد على موضوعات « الجبهة الديمقراطية »

حول البديل الوطني لمشروع الدولة الفلسطينية ٧٩

« المرحلية » في النضال الفلسطيني

هل هي ممكنة في المرحلـــة الراهنة ؟

« رد على كريم مروة » ٩٩

نظرية العوالم الثلاثة الصينية

والايدلوجية الجديدة لليمين العالمي ١١١

منير شفيق ومناقضات التحليل مع الماركسية اللينينية ١٥١

الثورة الفلسطينية والفكر التوفيقي

« رد على مقولات ناجي علوش » ١٧١

الثورة الفلسطينية والموقف من قضايا الخلاف

في الحركة الشيوعية العالمية ٢٠٩

الوجه الاخر للتسويـــة ٢١٩

حركة ٢٣ يوليو »

الموقع الطبقي والدور التاريخي ٢٣٣

اثيوبيا – اريتريا المأزق والحل ٢٤١

حول الارهاب والارهاب الاوروبي ٢٤٧

صدر المؤلف :

الشعر الفلسطيني المقاتل .

سيصدر قريبا :

- الجذور التاريخية للأمة العربية.

  التشكل القومي قبـــل الاسلام ـ الجزء الاول ـ

- جـدل الشعر والثورة .
- مختارات من الشعر الثوري الفلسطيني (١٩٠٠ ـ ١٩٧٥)

صدر عـــن
دار ابن رشد للطباعة والنشر
ص . ب ٥٥٣٧/ ١٤ ـ بيروت

١ ـ نورما ورجل الثلج (قصص) يحيي يخلف .

٢ ـ الفهـــد (رواية) حيدر حيدر .

٣ ـ الملك هو الملك (مسرحية) سعدالله ونوس .

٤ ـ انهم يقتلون الجياد (رواية) هوراس ماكوي
ترجمة نوح حـزين .

٥ ـ الحمار (رواية) غنتر ايبرون ـ ترجمة صنع الله ابراهيم .

٦ ـ الحرب في بر مصر (رواية) يوسف القعيد .

٧ ـ التخلف العربي والتحرر العربي (دراسة نظريـــه)
محمد حافظ يعقوب .

٨ ـ استمع ايها الصغير (بحث عن الحرية) ولهلم رايتش
ترجمة اسامة احمد .

٩ ـ الامة العربية (القومية وصراع الطبقات) سمير امين ـ
ترجمة كميل داغر .

١٠ ـ كبوشي (وثيقة حياة ونضال المطران كبوشي من الطفولة الى المنفى) . اعداد وتقديـم حيدر حيدر

١١ ـ الوعول (قصص) حيدر حـيدر .

١٢ ـ عرس بغل (رواية) الطاهر وطار .

صدر من ادب الارض المحتلة

١٣ ـ جسر على النهر الحزين (قصص) محمد علي طه .

١٤ ـ الى الجحيم ايها الليلك (حكاية اوتوبيوغرافية) سميح القاسم .

١٥ ـ الصبار (رواية) سحر خليفة .

قيـــد الاعـداد

١ ـ عبد الكريم الخطابي وجمهورية الريف (تاليف مجموعـة مـن المفكرين المغاربة والفرنسيين) .

٢ ـ العرب في العاصفة محمد المصمودي .

٣ ـ مسرح التغيير بريخت .

٤ ـ شارلي شابلن اعداد ابراهيم العريس .

للطباعة والإعلان
يونيفرسال UNIVERSAL

دار ابن رشد للطباعة والنشر
كورنيش المزرعة - بناية مومني - تلفون ٣١٨٢٦٨
بيروت - لبنان

الثمن
١٠ ليرات لبنانية
أو ما يعادلها